مجلة متنوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 13، إبريل 2019، السنة الثالثة

مَرَاوِد

سلطان
يتسلّم القلادة الذهبية لـ «الفن الشعبي»

اختتام أعمال الجمعية العمومية لـ «الفن الشعبي» وتكريم المسلّم وآخرين

تحت شعار
حِرَفية وحَرَف

انطلاق الدورة السابعة عشرة من أيام الشارقة التراثية

طاجيكستان
ضيف الشرف

برنامج ثقافي وتراثي زاخر يحتفي بالحِرف والحَرَف

الصين
ضيف مميز

عدد خاص

أيام الشارقة التراثية
SHARJAH HERITAGE DAYS
الدورة 17 Edition

02 20 إبريل April

Craft & Calligraphy

MARAWED Issue, 13 (APR 2019), The Third Year

مَرَاوِد العدد 13، إبريل 2019، السنة الثالثة

MARAWED

Issue, 13
(APR 2019)
The Third Year

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

أيام الشارقة التراثية
SHARJAH HERITAGE DAYS
الدورة 17 Edition

02 20 إبريل April

Craft & Calligraphy

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

065014898 - 0567927270

m.bounama@sih.gov.ae

مراود

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

الحِرفة نافذة الهوية

الهويـة الوطنيـة لهـا بوابـة ونوافـذ، بوابتهـا اللغـة والتقاليـد، ونوافذهـا الـزيّ والحِـرف اليدويـة والفنـون بأشـكالها؛ فنـون الألحـان والتشـكيل وفنـون الطعـام؛ لـذا نحـرص هـذا العـام على إبـراز الحِـرف اليدويـة في الـدورة السـابعة عـشرة مـن «أيـام الشـارقة التراثيـة».

كلّ شـعب يعمـل بيديه تظـلّ ذِكـراه راسـخةً في ذاكـرة الإنسـانية، فالمكتشـفات الأثريـة التـي أبـرزت الكثـير مـن الحضـارات، مـا هـي إلا تأكيـد عـلى حِـرفٍ ومهـنٍ إنسـانية.

وفي الإمـارات كنّـا نـأكل ونلبـس ونتزيّـن ونلعـب ونبنـي بأيدينـا لا بأيـدي الغريـب، نأخـذ مـن الطبيعـة موادنـا الأوليـة، ونصنـع مـا نحتاجـه مـن أدوات وآلات ومسـتلزمات، نسـيّر بهـا حياتنـا، ونسـتمتع بأوقاتنـا.

ضيوفنـا هـذا العـام جمهوريـة طاجيكسـتان (ضيـف الـشرف)، وجمهوريـة الصـين الشـعبية (الضيـف المميـز)، وجمهوريـة أوكرانيـا (ضيـف أسـابيع الـتراث الثقـافي العالمـي)، كلهـم أتـوا إلى الشـارقة ليسـتعرضوا حِرفهـم اليدويـة، وفنونهـم التشـكيلية والأدائيـة، وأطباقهـم، وليشـاركوا الشـارقة احتفاءهـا بـتراث العـالم.

انطلقـت الـدورةُ السـابعةَ عـشرةَ مـن «أيـام الشـارقة التراثيـة» بمشـاركة نحـو 700 مشـاركٍ مـن خـبراء وحرفيـين وباحثـين وكتّـابٍ وإعلاميـن مـن أكـثرِ مـن 60 دولـةً مـن شـتى أنحـاء العـالم، أبرزهـا: (السـعودية، أذربيجـان، طاجيكسـتان، أوكرانيـا، كنـدا، بريطانيـا، السـودان، الصـين، اليابـان، البرازيـل، إسـبانيا، الهنـد، المكسـيك، النمسـا، البحريـن، مـصر، هولنـدا، العـراق، سـلطنة عـمان، سـولوفاكيا، الأرجنتـين، نيجيريـا، إيطاليـا، المغـرب، الجزائـر، الأردن، فلسـطين، موريتانيـا) وغيرهـا، بالإضافـة إلى المشـاركات المتنوّعـة للمؤسسـات الحكوميـة والمراكـز والمنظـمات والجامعـات، ضمـن البرنامـج العـام لـ«الأيـام»، ومـا يشـتمل عليـه مـن تنـوّع وثـراء.

كـما تتضمـن أجنحـة «الأيـام» 3 معـارض تراثيـة، وهـي: معـرض «قديمـك نديمـك» للفنانـة الكويتيـة بـدور المعيـلي، وهـو عبـارة عـن مجسـمات تراثيـة للبيـت الكويتـي والأسـواق والمـدارس وغيرهـا مـن الملامـح التراثيـة الكويتيـة، ومعـرض «تـراث فـون»، يسـتعرض شـخصية (بايوجـرافي) لكوكبـة مـن رواد الطـرب الشـعبي في دولـة الإمـارات العربيـة المتحـدة، مـن موسـيقيين ومطربـين، بالإضافـة إلى بعـض المقتنيـات الموسـيقية، ومعـرض «حـرف إماراتيـة» للفنـان السـعودي عبدالعزيـز المـبرزي، ويحتـوي عـلى 20 لوحـة زيتيـة تجسّـد بعـض الحِـرف الإماراتيـة الرجاليـة والنسـائية، عـلاوة عـلى كـمّ هائـلٍ مـن الإصـدارات المتنوّعـة التـي تنـوف عـلى الثلاثـين عنوانـاً.

في هـذا العـدد مـن مجلـة مـراود نقـدّم للقـارئ توثيقـاً شـاملاً للـدورات السـابقة لـ«الأيـام التراثيـة»، بالإضافـة إلى تفاصيـل عـن الـدورة الجديـدة (السـابعة عـشرة)، بالإضافـة إلى العديـد مـن المقـالات والدراسـات المهمـة التـي تلامـس مختلـف جوانـب الـتراث الثقـافي الإمـاراتي والعـربي والعالمـي.

صدر حديثاً

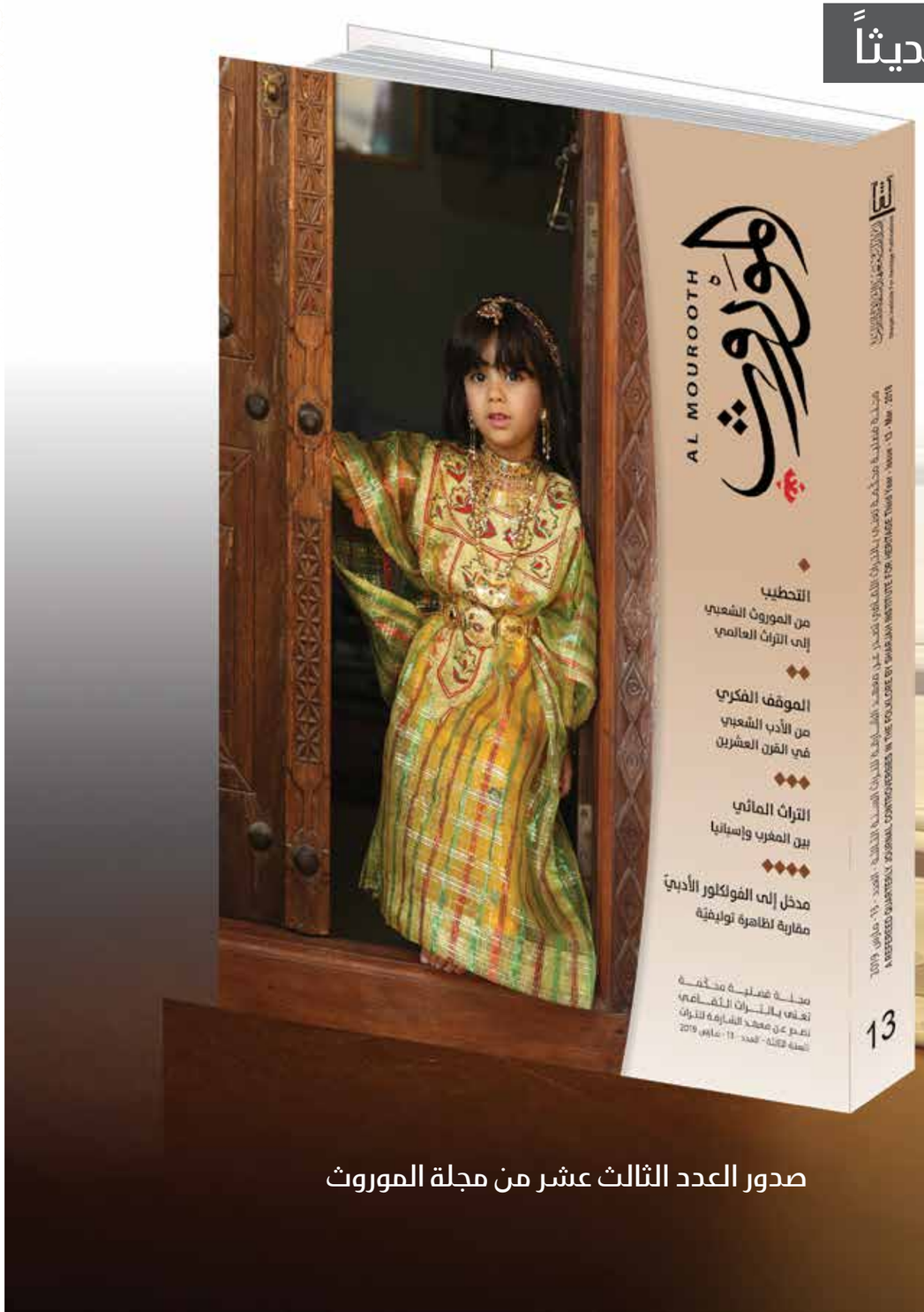

صدور العدد الثالث عشر من مجلة الموروث

محتويات العدد

سلطان يفتتح «الأيام التراثية» ويتسلّم القلادة الذهبية لـ «الفن الشعبي»

10

انطلاق "الأيام التراثية" في دورتها الـ 17 تحت شعار "حرفة وحرف"

14

ملف العدد
ذاكرة الأيام التراثية 2003 - 2018

26

«شجرة الرولة مظلّة التسامح والتعايش»

70

الافتتاحية

5

إصدارات الأيام

18

المعارض التراثية

22

الآلات الموسيقية الشعبية
علي العشر

66

قصيدة «أتنفسك» للشاعرة شيخة الجابري تدفق شعري وفكري

68

السنة الأمازيغية الجديدة 2969 وطقوسها (يناير)

74

اختتام أعمال الجمعية العمومية «للفن الشعبي» وتكريم المسلّم وآخرين

24

علي بن رحمة الشامسي
عتيج القبيسي

62

«حَيّ بشرتا الهبايب»
علي العبدان

64

«التحطيب»
فن أدائي موغل في القدم

78

نواعير حماة
تختزن ألق التراث السوري العريق

84

البندا
أفضل حيوان لدى الصينيين

88

المقشامة في بلاد اليمن السعيد..
تُراث حضاري وإبداع فنّي
90

منطقة دبي التاريخية
من خلال رحلة طلبة "التراث العمراني" بـ «الشارقة للتراث»
94

مشربيّات الأرواح في إزم
96

آثار الصومال تسرد قصة الماضي
98

أمك طنقو:
طقوس الاستمطار في تونس قديماً
100

أبق جذورك ثابتة
واجعل أغصانك تستقبل كل الطيور
104

من رياضات الماضي في التراث الموريتاني
105

من رمسة أهل الإمارات
108

أنت أيدي..
عبدالله خلفان الهامور
110

التراث والتسامح
112

أحبك هذا منطوقي
113

اللوح: الوظيفة والرمز
114

الرمز في الفن الشعبي اليمني
118

الظّاي الصّغير
120

طابع الفنون الإسلامية
جمال في الأشكال وإبداع في المحتوى
122

رقصة غوما
125

«جندي في شبه الجزيرة العربية»
يستعرض فصلاً من تاريخ الإمارات
126

صوغه..
قصائد مرتعة بالإحساس
129

جدات اللحظة..
أبناء اللهجة
132

شرفة
134

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

الهيئة الاستشارية
عتيج القبيسي
علي العبدان
د. محمد لملوكي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
عزيز معادي

افتتح فعاليات «الأيام التراثية» في دورتها الـ 17 سلطان يتسلّم القلادة الذهبية رفيعة المستوى من «الفن الشعبي»

تسلّم صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، القلادة الذهبية رفيعة المستوى للمنظمة الدولية للفن الشعبي، وذلك تكريماً لسموه، واعترافاً بجهوده في دعم الفنون الشعبية والتراثية في مختلف دول العالم، وتقديراً لدور سموه المتواصل في دعم المنظمات العاملة في هذا المجال، ولإنشائه عدداً من المراكز التراثية والثقافية في أقطار متنوّعة حول العالم.

وتفضّل سموه بتسلّم القلادة الذهبية من سعادة علي عبدالله خليفة، رئيس المنظمة الدولية للفن الشعبي، وقد جاء هذا التكريم المستحق لسموه كرسالة تقدير وشكر وعرفان من المنظمة لسموه، بوصفه أحد المتميزين من القادة وكبار المفكرين والأدباء الذين يلعبون أدواراً عالمية في تطوير ودعم الفنون والتراث.

جاء ذلك خلال افتتاح سموه الدورة الـ17 من «أيام الشارقة

التراثية»، بحضور سمو الشيخ سلطان بن محمد بن سلطان القاسمي، ولي العهد نائب حاكم الشارقة، التي انطلقت مساء الثلاثاء الموافق للثاني من إبريل 2019، تحت شعار «حِرفة وحَرف»، وذلك في منطقة التراث بقلب الشارقة.

حضر حفل الافتتاح الشيخ سالم بن عبدالرحمن القاسمي، رئيس مكتب سمو الحاكم، والشيخ محمد بن حميد القاسمي، مدير دائرة الإحصاء والتنمية المجتمعية، وسعادة علي عبدالله خليفة، رئيس المنظمة الدولية للفن الشعبي، وسعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، وسعادة اللواء سيف الزري الشامسي، قائد عام شرطة الشارقة، وسعادة راشد أحمد بن الشيخ، رئيس الديوان الأميري، وسعادة خميس بن سالم السويدي، رئيس دائرة شؤون الضواحي والقرى، وسعادة عبدالله بن محمد العويس، رئيس دائرة الثقافة، وسعادة الدكتور طارق بن

خادم، رئيس دائرة الموارد البشرية، وسعادة سالم بن محمد النقبي، رئيس دائرة شؤون البلديات والزراعة والثروة الحيوانية، وسعادة محمد بن عبيد الزعابي، رئيس دائرة التشريفات والضيافة، وسعادة الدكتور راشد الليم، رئيس هيئة كهرباء ومياه الشارقة، وسعادة علي المري، رئيس دارة الدكتور سلطان القاسمي، وعدد من المسؤولين ومديري الدوائر والدبلوماسيين وممثلي المنظمات الدولية، وحشد من الإعلاميين والأدباء.

وعلى وقع الأهازيج الشعبية والرقصات التراثية تم استقبال سمو حاكم الشارقة ترحاباً واحتفاءً به، وحفاوة بتشريفه هذه الدورة الاستثنائية من «الأيام التراثية»، حيث قدّمت الفرق الوطنية المشاركة من مختلف الدول عروضاً فنية فولكلورية تمثل ثقافة بلدانها، وهي جمهورية طاجيكستان، ضيف شرف «أيام الشارقة التراثية»، وجمهورية الصين الشعبية، ضيف الشرف المميّز، والمملكة العربية السعودية، وكرواتيا، وإيطاليا، ومملكة البحرين، وبنما، واليونان بالإضافة إلى الفن البحري والفن الجبلي وفن العيالة الإماراتي.

وتجوّل سموه في أروقة فعاليات «أيام الشارقة التراثية»، مستمعاً إلى شروح وافية حول أبرز البرامج والأنشطة المصاحبة لهذه الدورة، كما اطلع سموه على مختلف

الأجنحة والدوائر والمؤسسات المشاركة في فعاليات «الأيام» هذا العام، بالإضافة إلى البيئات التراثية الإماراتية العريقة، التي تقدّم لوحة تراثية متناغمة تعود بالجمهور والزوار إلى الحياة الإماراتية التقليدية القديمة: (الزراعية والجبلية والصحراوية).

كما عرّج سموه على جناح جمهورية طاجيكستان، ضيف الشرف الرسمي هذا العام، وتعرف على ما يحتوي عليه الجناح من برنامج ثقافي وتراثي وفنون تراثية، وعروض متنوّعة، مسرحية وموسيقية وأدبية وورش عمل فنية وتفاعلية.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث رئيس اللجنة العليا المنظمة لـ«الأيام»: «تحظى (أيام الشارقة التراثية) بدعم كبير ومستمر من قبل صاحب السمو حاكم الشارقة، منذ النسخة الأولى، وبفضل هذا الدعم أصبحت نموذجاً يحتذى في تنظيم المهرجانات الثقافية الشعبية الكبرى، ويسعى المعهد وفق أجندته من خلال هذه التظاهرة العالمية الكبرى، إلى التعرف على

الموروث المادي والمعنوي، بما يسهم في خلق جيل مرتكز في تطلعاته على الأصالة، وعلى خبرات عريقة، آخذاً بيعن الاعتبار أهمية وضرورة تعزيز فرص التواصل بين الأجيال».

تحت شعار «حِرفة وحَرف»

انطلاق أيام الشارقة التراثية في دورتها الـ 17 ببرنامج ثقافي وتراثي استثنائي

شهدت الدورة الجديدة من «الأيام التراثية» زيادة في عدد المشاركين، وتنوّعاً في البرامج والفعاليات، حيث يشارك فيها نحو 700 مشاركٍ من 60 دولةً، و22 فرقة دولية، و18 فرقة من داخل الدولة، و22 جهة حكومية، 16 منظمة.

جاء ذلك خلال المؤتمر الصحفي الذي عقدته اللجنة العليا المنظمة للكشف عن تفاصيل الدورة الجديدة من «الأيام التراثية»، في فندق شيراتون الشارقة، برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس المعهد، وبمشاركة المهندس بدر الشحي، المنسق العام لـ«الأيام»، وحضور رؤساء اللجان ومديري المعهد وموظفيه.

عبدالعزيز المسلّم:
دورة استثنائية بامتياز بمشاركات دولية ومحلية هي الأولى من نوعها

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم: تأتي الدورةُ السابعةَ عشرةَ من «أيام الشارقة التراثية» تحتَ شعارِ «حِرفة وحَرف»، وهو شعارٌ جامعٌ مانع، ننطلق منه لنسافر بكم في عوالم التراث الفسيحة، وندعوكم إلى استكشاف خباياه وأسراره، التي يبوح بها بين جنبات المنطقة التراثية بقلب الشارقة، وفي أرجائها، لنمنحكم فرصة للتذكّر والاستحضار، والعيش في أزمنةٍ غابرةٍ وأمكنةٍ حاضرةٍ، لاتزال شامخةً بألقها وبريقها الوهّاج، من خلال برنامج استثنائي يقدّم إضافة نوعية في الشكل والمضمون.

بدر الشحي:
تظاهرة ثقافية كُبرى تعكس اهتمام الشارقة بالتراث حمايةً وصوناً

وأشار إلى أنّ جمهورية طاجيكستان ستكون ضيف الشرف الرسمي، لما تمتلكه من مخزون ثقافي وتراثي غنيّ ومتنوّع، يشكّل إضافةً نوعيةً إلى مسيرة «الأيام» الحافلة بالتميّز، كما ستحلّ جمهورية الصين الشعبية

ضيفاً مميزاً، وذلك تفعيلاً لمذكرة التفاهم مع جامعة زهيجيانغ، بينما تحلّ جمهورية أوكرانيا ضيف أسابيع التراث العالمي لشهر إبريل 2019. كما شهدت هذه الدورة زيادة ملحوظة في عدد المشاركين إذ بلغوا نحو 700 مشاركٍ من خبراء وحرفيين وباحثين وكتّابٍ وإعلاميين من أكثرِ من 60 دولةً مثل: (السعودية، أذربيجان، طاجيكستان، أوكرانيا، كندا، بريطانيا، السودان، الصين، اليابان، البرازيل، إسبانيا، الهند، المكسيك، النمسا، البحرين، مصر، هولندا، العراق، سلطنة عمان، سولوفاكيا، الأرجنتين، نيجيريا، إيطاليا، المغرب، الجزائر، الأردن، فلسطين، موريتانيا) وغيرها. فيما بلغ عدد الفرق الدولية المشاركة 22 فرقة دولية، و18 فرقة من داخل الدولة، و22 جهة حكومية، 16 منظمة.

وقال المهندس بدر الشحي، المنسق العام لـ«أيام الشارقة التراثية»، غدت تظاهرةً ثقافيةً كُبرى، تعكس حجمَ الاهتمامِ الكبيرِ الذي يوليه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله، بالتراث الإماراتي، والجهود القيّمة المبذولة من قبل معهد الشارقة للتراث، برئاسة سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، من أجل التعريف بتراثنا الأصيل، وماضينا الجميل، في أيامٍ أصبحت علامةً فارقةً في أجندة الفعاليات التراثية في إمارة الشارقة، لما تستقطبه من جمهورٍ عريضٍ ومتنوّعٍ من كل

الفئات والمستويات، ومن مختلف الجنسيات، حيث يجد أصحابها في فعاليات «الأيام» وأنشطتها الغنية ما يحقّقُ لهم المتعة والفائدة.

واستعرض الشحي ملفاً متكاملاً عن تفاصيل الدورة الجديدة، مشيراً إلى أن هناك ثلاثة معارض كبرى، هي «قديمك نديمك» للفنانة الكويتية بدور المعيلي، وهو عبارة عن مجسمات تراثية للبيت الكويتي والأسواق والمدارس وغيرها من الملامح التراثية الكويتية، و«تراث فون»، وهو خاص بإدارة التراث الفني في المعهد يستعرض شخصية (بايوجرافي) لكوكبة من رواد الطرب الشعبي في الإمارات، من موسيقيين ومطربين، بالإضافة إلى بعض المقتنيات الموسيقية، و«حرف إماراتية» للفنان السعودي عبدالعزيز المبرزي، ويحتوي على لوحات زيتية تجسد بعض الحرف الإماراتية الرجالية والنسائية، بالإضافة إلى إصدارات متنوّعة تنوف على الـ31 إصداراً، ببرنامج تراثي زاخر سيحوّل منطقة التراث في الشارقة إلى عرس ثقافي بهيج، تلتقي فيه ثقافات الشعوب وحضارات الأمم بمختلف أعراقها وأجناسها.

بمشاركة
حوالي 700 مشارك من
60 دولةً و22 فرقة دولية،
و18 فرقة من داخل الدولة،
و22 جهة حكومية،
16 منظمة.

إصدارات الأيام

اتساقاً مع شعار «الأيام التراثية» في هذه الدورة، يقدّم معهد الشارقة للتراث باقة من الإصدارات والمنشورات القيّمة والمتنوّعة، من كتب ومنشورات، بالإضافة إلى عددٍ خاص ومميّز من مجلة مراود، التي تحتفي بشعار «الأيام».
ومن جملة الإصدارات:

«مؤرّخ العصر»

هذه الطبعة هي الترجمة الصينية لكتاب: «مؤرخ العصر.. مقاربة في مرتكزات الكتابة التاريخية عند سلطان القاسمي»، لمؤلفه الدكتور منّي بونعامة، وقد صدر في طبعته الأولى باللغة العربية، وهو يتناول الأعمال التاريخية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، من خلال دراسة المرتكزات التي قامت عليها الكتابة التاريخية عند سموه، إذ تتأسس على منهجي المقارنة والمقابلة بين الروايات التاريخية، والاعتماد على الوثائق الصحيحة في إعادة بناء الحدث التاريخي، وقراءة الماضي بعين فاحصة، وقلم جاد ينشد الصدق والموضوعية والحياد، بعيداً عن المواربة والمجاملة والانتقائية، كما تستند ـ في الوقت نفسه ـ إلى ركن شديد، وخلفية إسلامية عريقة، وبُعد قوميّ أصيل، أضفى على الكتابة طابعاً متمايزاً في القراءة والفهم والتوظيف.

كما تقوم الكتابة التاريخية على مقوّم الذات، بوصفه المحرّك الأساسي للمنافحة عن الهوية والتاريخ والثقافة والقيم الحضارية والإنسانية، التي تربّى عليها المؤرخ وشاب، وتشرّب منها، ونهل من معينها الزاخر، وأَثْرَتْ رؤيته التاريخية، وأَثَّرَتْ في فلسفته في الكتابة تأثيراً عميقاً.

«الثقافة الشعبية»

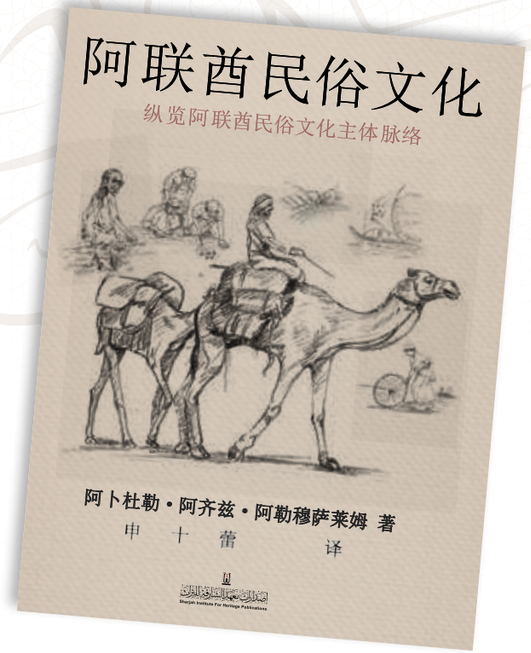

يبقى التراث ـ دوماً ـ المحور الأقوى في الحراك الحضاري في دول الخليج العربية، وعلى الرغم من أنّ الثقافة هي النطاق العام لمجمل هذا الحراك، فإنّ المصطلح ذاته ينزوي ـ دائماً ـ في ركن وحيد يتَّسم بالخصوصية المطلقة والنزوع نحو الفردية، أمّا التراث فهو في هذا المشهد بمقام العام لذلك الخاص؛ فيأتي ليعبّر عن الروح الجماعية والضمير الجمعي.

وتتفاوت درجات الاهتمام بالتراث والتعاطي معه، باختلاف المستويات الثقافية لفئات المجتمع، لكنه يبقى القاسم المشترك بينها جميعاً، ويراوح بين القبول المطلق والحذر المتعاطف، بينما يندر الرفض المطلق له؛ لأنه يُخرج من دائرة الجماعة؛ لذا فإنّ الاهتمام بالتراث يكون ـ دائماً ـ ضمن أولويات القيادات السياسية، ويدور في رحى الفعل الإداري لمخرجات عدد كبير من المؤسسات الحكومية وغير الحكومية، التي قد لا يكون التراث من صميم اختصاصها، لكنه يُستغلّ كواجهة دعائية للتقرب من وجدان المجتمع والانتماء إليه.

هذا العمل محاولة جادة لرصد عناصر التراث الإماراتي وجمعها ودراستها، وقد صدر باللغة العربية لجمهور القراء العرب قبل عامين، والآن نقدّمه في حلّته الجديدة مترجماً إلى اللغة الصينية لتعريف القارئ الصيني على جزء غني وعريق من تراثنا العميق.

«20 حِرفة إماراتية»

يقدّم الفنان التشكيلي السعودي عبدالعزيز المبرزي في هذا الكتاب 20 لوحة تراثية تحتفي بمجموعة من الحِرف الإماراتية بأنواعها وأشكالها كافة، وهي حِرفٌ شكَّلت، ولاتزال في أغلبها، حضوراً كبيراً، وفاعلاً في الحياة اليومية، بفعل تعلّق الإنسان الإماراتي بها، وسعيه إلى المحافظة عليها كـ«الكتاتيب، الغيص، فلق المحار، صناعة الدخون، المعقصة، خبز الرقاق، المعالجة، تمليح السمك، السقا، صناعة السدو، بناء العريش، الرحى (طحن الحبوب - الشعير)، المقهوي، الغزل (الصوف)، السفافة، التلي، صناعة الفخّار، الحدادة، الصياد، صناعة القوارب (الشاشة)».

كما تقدّم اللوحات التراثية قراءة بصرية ماتعة للموروث الحرفي الإماراتي، مكتنزة جماليات أخّاذة تختزن عمق التراث وقيمه ورقيه، ونسيجه المتناغم مع الواقع والبيئة الحاضنة، والكاشف لتفاصيل رحلة التراث في الماضي، التي مازالت نابضة بالحياة، وحاضرة بقوة في تفاصيل حياتنا اليومية، عاكسة جماليات وروعة المظهر، مبرزة تطوير الإنسان في هذا المكان للبيئة والطبيعة من حوله، فجاءت كالدرر ينظم بعضها بعضاً.

«اللهجة الإماراتية (رمستنا)»

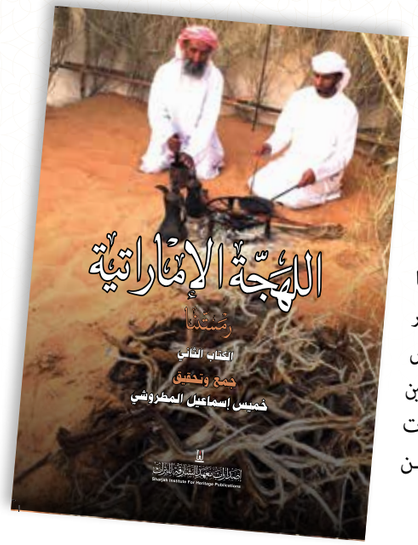

يتناول الباحث الإماراتي خميس المطروشي في هذا الكتاب اللهجة المحلية للألفاظ العامّية في دولة الإمارات العربية المتحدة، بالشرح والتحليل، ويعطي فكرة موجزة عن اللهجة والألفاظ العامّية ومعانيها، ومدى ارتباطها بالبيئة المحلية (الساحلية، الصحراوية، الجبلية، الريفية) والخليجية والعربية، ومدى تأثرها بدول المنطقة القريبة منها، أو التي ارتبطت معها بعلاقات تجارية واقتصادية، إضافة إلى ذلك يتناول الكتاب التطور والتغير الذي طرأ على بعض المفردات في اللهجة المحلية، من خلال تأثرها ببعض اللهجات أو اللكنات التي أدخلت إليها من التعايش الذي كان حاصلاً بين أبناء دولة الإمارات العربية المتحدة وأبناء الدول الأخرى من الجنسيات المختلفة التي وفدت إلى الدولة بحثاً عن لقمة العيش الشريفة، وبحثاً عن الأمن والأمان الذي مَنّ الله به علينا وعلى دولتنا الغالية.

«تراث العالم في الشارقة»

يستعرض هذا الكتاب مشاركة سبع دول في برنامج أسابيع التراث العالمي في الشارقة، خلال عام 2018، وهي: طاجيكستان، الأردن، النمسا، اليمن، تونس، الكويت، الإمارات، وعرّفت بملامح من تراثها الثقافي الزاخر والغني والمتشابه في بعض جوانبه وعناصره ورموزه، بحسب البيئات والأقاليم.
تجربة ثقافية وتراثية ثرية ورائدة، تنتظم في عِقْد مشروع صاحب السمو حاكم الشارقة ـ حفظه الله ورعاه ـ وتمثّل رسالة إلى العالم كلّه، تدعو إلى الانفتاح والتَّسامح والتَّعايش، والتَّعرّف إلى ثقافات الأمم والشعوب والاستفادة منها.
هكذا حوّلت أسابيع التراث العالمي، الشارقة، في أيّام، إلى منصّة عالمية لعرض تراث العالم، الزاخر والمتنوع، المختلف والمؤتلف في الوقت نفسه، وخلقت فرصة للتبادل الثقافي والحوار الحضاري، ومدّت جسور التعاون المشترك في مختلف الجوانب الثقافية والتراثية، وقدّمت أنموذجاً فريداً للعالم، يدعو إلى التسامح والتعايش السلمي وتقبّل الآخر، واحترام ثقافته وتراثه، والاستفادة من تجاربه ومعارفه.

«حصاد الأيام التراثية»

ولدت فكرة مهرجان «أيام الشارقة التراثية» من تطلّع إمارة الشارقة لإيجاد فعالية تبرز الهوية الإماراتية، وتجسّد الموروث الشعبي، وتترجم حرص أبناء الإمارات العربية المتحدة على حفظ ما تركه الأجداد من تراث زاخر وغني، ونشره والترويج له عبر فعاليات متنوّعة، ترتحل بالجمهور في فضاءات أكثر رحابة واتساعاً، ضمن أيام تراثية تستحضر العادات والتقاليد الإماراتية العريقة، وتحتفي بالبيئات التراثية الأصيلة، وتتواصل مع روح العصر، من خلال الاعتماد على تقديم عروض تراثية متنوّعة ومتميزة، تصاحبها بعض الفعاليات الثقافية، لتكون مرتكزاً لتأكيد الهوية الإماراتية، وتأصيل الموروث الوطني بشتى جوانبه، ومحاولة الإبقاء والحفاظ عليه؛ ليبقى ماثلاً للأجيال القادمة.
تم وضع تصورات مشروع «أيام الشارقة التراثية» لتقام في إبريل من كل عام، في منطقة الشارقة القديمة، وفق ثوابت ومعطيات وأهداف رسمت سلفاً من قبل المشرفين عليها؛ فالشارقة مدينة الثقافة والعلم والنور والفن، كانت ولاتزال الرائدة والسبّاقة في الاهتمام بكل صنوف وأوجه الثقافة والإبداع، من خلال رؤية وتوجيهات صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، صاحب الأيادي البيضاء، وراعي المشروع الثقافي والتراثي الإحيائي، الذي يهدف إلى الاعتزاز بالتراث الثقافي المحلي، والاحتفاء به، وعرضه وتصديره للعالم، لإبراز الوجه الحضاري للإمارات، وللشارقة الباسمة، عاصمة الثقافة العربية والإسلامية والصحافة العربية والسياحة، وصديقة الطفل.
يستعرض هذا الكتاب حصاد الأيام التراثية منذ انطلاقتها الأولى في عام 2003 حتى الدورة السادسة عشرة 2018، محتفياً بما تضمنته الدورات السابقة من تراث زاخر وغني ومتنوع.

«العمارة الدفاعية»

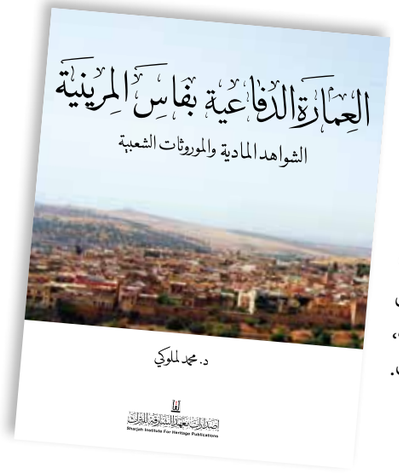

ورث بنو مرين [642-869هـ/1244-1465م] عن أسلافهم الموحدين بمدينة فاس عمارة دفاعية، امتزج فيها الإرث المحلي بالخبرة الأندلسية، وبالتأثيرات المشرقية، لكنهم زادوا على ذلك وتفردوا ببناء مدينة جديدة تحمل اسم «فاس الجديد»، ذات تحصين متكامل، شكل طفرة في العمارة العسكرية بغنى مكوناته، وازدواجية أسواره ومتانة مواد بنائه. وهذا ما تستعرضه هذه الدراسة بإسهاب.

المعارض التراثية

«قديمك نديمك»

استغرقت رحلة مشروع «قديمك نديمك» فترة طويلة تجاوزت السنتين، انقسمت بين بلورة الفكرة والقراءات والاستزادة بالمعلومات الخاصة بالتراث الكويتي، وابتكار شخصيات خيالية ناقلة لذلك التراث بشكل جديد وإبداعي قابل للتنفيذ، وتقسيم اللوحات والمشاريع المطبقة التي تحاكي واقع التراث، ثم كانت هناك فترة تجريبية للتأكد من قدرتي الشخصية على إنجاز ذلك المشروع بشكل يليق بما يحمله من إرث ثقافي. بعدها بدأت العمل وتقسيمه إلى جداول ورسومات وقياسات لكل مشروع، وما يحمله من تفاصيل، وعدد الشخصيات وهيئتها التي بنيت على أساس من القراءة والمعرفة، فتحول ذلك المشروع إلى عدد 15 مجسماً، وعدد 200 شخصية مبتكرة، تختلف عن بعضها بعضاً بهيئتها وتفاصيلها وأزيائها، تكاد كل شخصية تنطق باسمها وشخصيتها الفريدة.

تنقسم المشاريع المعروضة إلى أقسام عدة؛ لتغطي الجوانب المختلفة للتراث، وهي:

1. بداية ونهاية، وهو جانب من مراحل العمل في المشروع.
2. عادات ومناسبات: البيت الكويتي القديم - العرس الكويتي القديم (الدزة - اليلوة - زفة المعرس) - القهوة الشعبية - العماريات.
3. عادات في شهر رمضان: دق الهريس - الواردة - القرقيعان.
4. البحر قديماً: الحية بية - توب توب يا بحر - غسل الملابس.
5. المطوع: الختمة وزفة الخاتم.
6. فنون شعبية: جلسة فنون شعبية - فن الفريسة - فن الطنبورة - فن العرضة.
7. مهن من الماضي: الشاوي - بائعة الباجلا والنخي - بائع الثلج - النداف - الصفار - جليب نخم - النكاس - الكندري - السماك - الطراح - الحلواجي - العمارة - البزاز - الحواج (العطار) - المحسّن (الحلاق) - الخراز - بياع الزبابيط - المطوع (الملا).
8. ألعاب شعبية: لعبة الدوامة - لعبة المقصي - لعبة الكافود - لعبة الدرباحة - لعبة الحيلة.
9. حياة البادية في الصحراء: حياة البادية وبيت الشَّعر - الصميل - القهوة والضيافة - الصقر - سفينة الصحراء (الجمل) - السدو (غزله - صباغته - تجفيفه - حياكته).
10. حياة البحر: السفينة وطاقم السفينة - سطح السفينة (الطباخ) - الطواش والنواخذة - الغواصون والسيب - فلق المحار.
11. معلومات ومصطلحات: وهو ملحق يحمل المعلومات الوافية عن كل لوحة تم تقديمها بناء على مراجع ومصادر علمية.

الحِرف الإماراتية

يحتفي المعرض بالحرف التراثية الإماراتية، من خلال عشرين لوحة للفنان التشكيلي السعودي عبدالعزيز المبرزي، وهي حرفٌ شكّلت، ولاتزال في أغلبها، حضوراً كبيراً، وفاعلاً في الحياة اليومية، بفعل تعلّق الإنسان الإماراتي بها، وسعيه إلى المحافظة عليها كـ: «الكتاتيب»، الغيص، فلق المحار، صناعة الدخون، المعقصة، خبز الرقاق، المعالجة، تمليح السمك، السقا، صناعة السدو، بناء العريش، الرحى (طحن الحبوب - الشعير)، المقهوي، الغزل (الصوف)، السفافة، التلي، صناعة الفخّار، الحدادة، الصياد، صناعة القوارب (الشاشة).

تراث فون

مثّل الطرب الشعبي الإماراتي القديم سجلاً حافلاً وحافظاً لجزء مهم وكبير من الأدب الشعبي، وهو القصائد الإماراتية القديمة، كما قام الكثير من ألحانه على الاقتباس من الفنون الشعبية ومقاماتها الموسيقية في الإمارات، ولذلك فقد اكتسبت الأغاني الشعبية القديمة أهميةً خاصة ضمن التراث الثقافي المحلي والإقليمي، ويأتي معرض (تراث فون) كحدثٍ تثقيفي وتوثيقي ضمن «أيام الشارقة التراثية» للتعريف ببعض رواد الطرب الشعبي في الإمارات، ضمن الحقبة الممتدة من بداية الخمسينيات إلى أواسط السبعينيات من القرن العشرين، وهي الحقبة التي شهدت نشأة هذا الطرب، وتشكل هُويّته الفنية والأدبية.

اختتام أعمال الجمعية العمومية لـ «الفن الشعبي» وتكريم المسلّم وآخرين

اختتمت بقصر الثقافة في الشارقة أعمال اجتماع الجمعية العمومية السنوية للمنظمة الدولية للفن الشعبي (IOV)، الذي انطلق صباح الاثنين الماضي، واستمر على مدار أربعة أيام، بمشاركة وفود من ١٦٣ بلداً من بلدان العالم. وتضمنت أعمال الاجتماع جلسة افتتاحية، وعرض فيلم عن المنظمة الدولية للفن الشعبي، وتقرير عن إنجازاتها وأهميتها ودورها، وناقش المجتمعون على مدار أربعة أيام مختلف العناوين والمحاور، كما تم عرض التقرير المالي، بالإضافة إلى مناقشة عامة، وتكريم نخبة من الخبراء والمدراء تقديراً لجهودهم القيّمة التي يقومون بها من بينهم سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، مدير مكتب إقليم الشرق الأوسط وإفريقيا.

وناقش الاجتماع حزمة من القضايا والأفكار والمبادرات التي من شأنها الاستمرار في الارتقاء بعمل المنظمة، وقد جرى الاجتماع برعاية كريمة من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، وكذلك

أعمال المؤتمر العلمي ومهرجان الفنون الشعبية.

وتبدي المنظمة اهتماماً متواصلاً بتعزيز الجوانب العلمية التخصصية في تناول موضوع الثقافة الشعبية في المجتمعات الحديثة التي تتعرض لتمازج ثقافات جديدة وافدة.

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

تهنئة

أسمى آيات التهاني والتبريكات لـ :

صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة

بمناسبة تسلّم سموه القلادة الذهبية رفيعة المستوى من المنظمة الدولية للفن الشعبي تكريماً واعترافاً بجهود سموه في دعم الفنون الشعبية والتراثية، وتقديراً لدور سموه المتواصل في دعم المنظمات العاملة في هذا المجال، ولإنشائه عدداً من المراكز التراثية والثقافية في مختلف دول العالم.

الدكتور عبدالعزيز عبدالرحمن المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
ومديرو الإدارات وموظفو المعهد

ذاكرة الأيام التراثية

2018 - 2003

1 الدورة الأولى 9 ـ 18 إبريل 2003

«مرحلة التأسيس»

شـهدت الشـارقة ولادة الـدورة الأولى لمهرجان أيام الشـارقة التراثية، خـلال الفترة من 9ـ18 إبريـل 2003م، انطلاقاً من تطلع الإمارة إلى تكريـس موقعها كوجهة ثقافية وحضارية وسـياحية، ومنـارة علمية تنبـض بالعلم والمعرفة والفـن والإبداع.

تسـتند أيام الشـارقة التراثية إلى بنية تراثية أساسـية، متمثلة في منطقـة الـتراث (منطقة الشـارقة القديمـة)، وما تضمه من متاحف متعـددة، ومبان ذات عـمارة تقليدية، وزخارف جبسـية وأسـواق تراثية، ومبـان دفاعية وبراجيـل وأبراج، إضافة إلى مجموعة من المسـاجد الأثرية، كلها سـاعدت على جعل المهرجـان ذا طابع متميز، وخصوصيـة متفردة، وطبيعة تراثية تجذب كل الـزوار، وتعرفهم بالـتراث الإماراتي.

تميزت أيام الشـارقة التراثية بشـعار خاص تـم تصميمه بناء على مسـابقة أعدت خصيصـاً لذلـك، ورصد جائـزة مالية للفائـز بهـا، حيث تـم اختيار شـعار هو عبارة عـن قارب بداخلـه حصن تعبيراً عـن الحدث وارتباطه بـتراث الإمارات.

وحققـت «الأيام» نجاحـاً ملحوظاً في دورتهـا الأولى، وغدت، منذ ذلك الحـين، حدثاً ثابتاً لـه ميزانيتـه الخاصة، وأشرفت عـلى تنظيمه وتنفيذه إدارة التراث بالشـارقة (التابعة سـابقاً لدائـرة الثقافـة والإعـلام)، التي قامـت بتشـكيل اللجان الخاصـة، التي تتـولى تنظيم فعاليـات الأيـام وتطويرها، بما يناسـب الحدث ويثريه بـكل جديد.

يتضمـن مهرجان أيـام الشـارقة التراثية الكثير من التسـلية والترفيـه، مـن خلال العـروض الفنيـة والألعاب الشـعبية والمسـابقات التراثية، وعـروض الأزياء والحكايات الشـعبية،

إلى جانـب مجموعة المعـارض، وما توفره مـن معلومات عن تاريخ وحضـارة الإمارات.

يجمع المهرجـان إبداعات فنية متعـددة، متمثلة في مجموعة الرقصات الشـعبية والموسـيقى الشـعبية الإماراتيـة، التي تقدّمها فرق الفنون الشـعبية الإماراتية عـلى اختلاف أنواعها وتخصّصاتهـا، ويجمـع المهرجـان إبداعات نسـائية (صناعة التلي، والبراقع، والخـوص...)، ونقوش الحنـاء وعروض الأزياء الشـعبية والإماراتية.

يشـهد المهرجـان مجموعـة مـن المسـابقات والفعاليات التراثيـة التـي تشـارك في تقديمهـا جهـات ومؤسسـات مجتمعية مختلفة في إمارة الشـارقة، بهـدف إثراء المهرجان، وجذب أكبر عدد مـن الجمهور والترويج السـياحي للإمارة، إضافة إلى الهدايـا التذكارية المقدّمة للجمهـور، وهكذا يتم رسـم الملامح العامة لهـذه الفعالية التراثية منـذ البداية، بما يعكس مـدى اهتمام الشـارقة ودورها الحضـاري والثقافي الريـادي، في إبـراز صـورة حيّـة ونابضة بمفـردات التراث

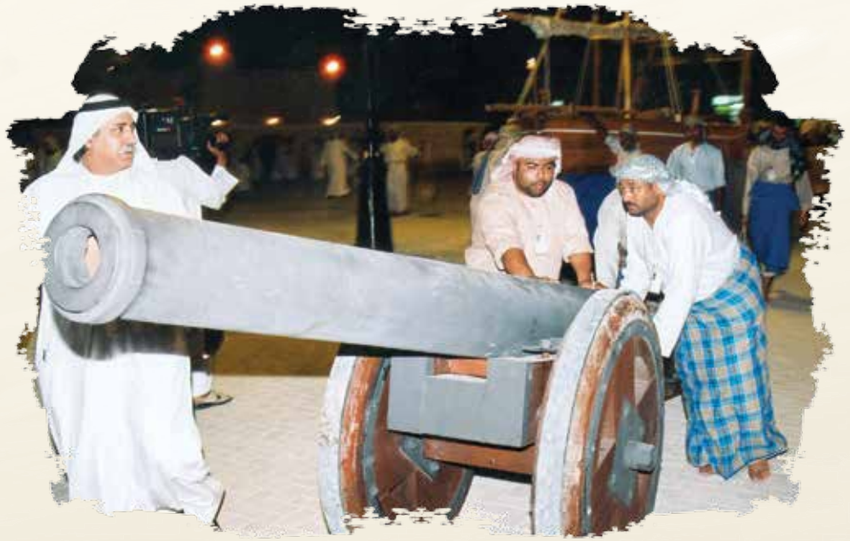

الشـعبي الإمـاراتي بصـوره وأشـكاله كافة، وإبـراز قيمه الجماليـة، فضلاً عـن كونه يُعدّ تجسـيداً للهويـة الوطنية للد و لة .

وقـد برزت في الدورة الأولى نماذج شـعبية عـدة، مثل عروض الحـرف اليدوية، وركن الغوص الذي اشـتمل عـلى مفردات صناعة الغـوص وأدواتـه، وعـروض الإبل والصقـور، وركن الطـب الشـعبي، وصناعـة الحلـوى التقليديـة والأطعمة الشـعبية المعروفة التي تصنعها النسـاء أمام الجمهور، وركن النقـش بالحناء.

وانتصبـت خيمة الـرواة التي وضعت خصيصـاً لتعكس روح الحيـاة الشـعبية، وتجسّـد للأجيـال قيم وتقاليـد وعادات الأجـداد، كـما اسـتمتع الجمهور بعـروض الأزيـاء والحلي الإماراتيـة، وشـهدت الأيام العديـد من الفعاليـات المماثلة بمناطق: الذيـد، وخورفـكان، وكلباء، ودبـا الحصن.

«شارقة التراث»

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها الثانية تحت شعار «شارقة التراث»، وشهدت إصدار شريطين مسموعين، يحتوي الأول على فنون الإمارات الشعبية، والثاني الحكايات الشعبية، وكتابين حول الأيام ومنطقة التراث بالشارقة القديمة، وقد كان التفاعل الإيجابي هو الميزة التي ميّزت هذه الدورة، التي نجحت في اجتذاب العديد من السياح الذين جاؤوها فرادى وأفواجاً وزوّاراً يعدون بالآلاف من المواطنين والمقيمين، وشكّلت بالتالي حلقة تواصل بين الماضي والحاضر، بما وفرته من أجواء تراثية ممزوجة بروح العصر.

كانت المباني القديمة قد أصبحت مجرد ذكرى نعود إليها كلما كان حنيننا إلى الماضي الجميل ورائحته المعطرة بعبق التاريخ، وقد سعت أيام الشارقة التراثية إلى أن تكون حلقة الوصل بين الماضي والحاضر، من خلال استعادة ذلك الماضي، وتعريف الأجيال به لتحقيق المصالحة بين الإنسان وهويته وموروثه الزاخر بالكثير من المعاني الرائعة.

«شارقة التراث»

عادت أيام الشارقة التراثية في دورتها الثالثة، التي انطلقت في العاشر من شهر إبريل 2005م، واستمرت إلى غاية 22 من الشهر نفسه، إلى مناخات الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، حيث البيوت والأسواق والمحال التقليدية والأبراج والبراجيل، من خلال تجديد الذكرى للبيوت والأسواق والمساجد بالشارقة القديمة، وما أصبح يعرف بمنطقة التراث، وهي في الأصل منطقة عريقة يعود تاريخها إلى أكثر من 850 عاماً، وقد أعيدت تهيئتها لتحتضن فعاليات الأيام، ولتكون فضاءً لاستنشاق عبير الماضي، والتعرّف إلى كنوز الآباء والأجداد، والتمتّع بالمعالم التاريخية التي تمتع الناظرين، من خلال جمالها وأصالتها وعمقها التاريخي من ناحية، ومن خلال العروض المختلفة التي أعدّت خصيصاً لتكون متناسقة مع هذا الفضاء التراثي، الذي أعدّ للاستعراضات الشعبية والفولكلورية ومعارض الحرفيين والمسابقات التراثية من ناحية الأخرى.

انطلقت الدورة الثالثة بالقافلة التراثية من كورنيش بحيرة خالد، في عرض ضخم لفرق الفنون الشعبية الإماراتية، فكانت «اليولة» والخيالة والبيئات المختلفة، والعروض والفعاليات اليومية الثابتة، والعروض المتغيرة التي تأخذ من كل جزئية ومحور تراثي بطرف.

استطاعت الدورة الثالثة لأيام الشارقة التراثية أن تؤسّس لشكل جديد من التعامل مع التراث الإماراتي، بالنسبة لأبناء الإمارات عموماً، والشارقة

خصوصاً، وبالنسبة إلى المقيمين والزوار، في غمرة تسارع عجلة التكنولوجيا، ولعل تواصل الأيام بخطى حثيثة، سواء من خلال الإعداد أو التنظيم والإقبال الكبير الذي حظيت به في الدورتين الماضيتين، وهو الذي شجّع الجميع على الاستمرار، مع الحرص على التطوير وفق رؤية تنشد الرقيّ والتقدّم والنجاح.

ضمّت الدورة الثالثة عروض الحرف اليدوية، مثل صناعة الليخ والشباك، وصناعة الخوص وغزل الصوف على النول التقليدي، إضافة إلى ركن الغوص، الذي اشتمل على مفردات صناعة الغوص وأدواته، إضافة إلى عروض الإبل والصقور، وركن الطب الشعبي، وصناعة الحلوى التقليدية والأطعمة الشعبية المعروفة التي تصنعها النساء أمام الجمهور، كما قدّم ركن النقش والحناء صورة جميلة عن المجتمع الإماراتي بعراقته وأصالته وبساطته.

كان للفرق الشعبية والآلات الموسيقية

التقليدية حضورها المميز، إضافة إلى استعراضات الألعاب الشعبية والسوق التراثي المصغّر، الذي قدّم للزائرين الكثير من المنتجات، أما خيمة الرواة التي نصبت خصيصاً لتعكس روح الحياة التقليدية، وتعرض عادات وتقاليد الأجداد، وتوفّر القهوة العربية الأصيلة وكرم الضيافة الإماراتية، وتعرض داخلها الأزياء المعبّرة عن الخصوصية والهوية الإماراتية.

وتمثّل المتاحف التراثية بمنطقة الشارقة القديمة فضاءات تحكي روعة الماضي، وقد استمتع فيها الزوّار بأقسام خصّصت للحلي والعملات والطوابع والطب الشعبي وبيت النابودة والمتحف البحري، هذا بالإضافة إلى الأسواق التراثية والمساجد الأثرية، التي يمثّل نمط بنائها وزخرفتها العمارة التقليدية التي وضعها الآباء والأجداد، مظهرة أن التطور الحاصل مستوحى من أسس عريقة ومبني على حضارة أصيلة.

مثّلت الدورة الثالثة لأيام الشارقة التراثية فرصة لتأكيد الدور الحضاري والثقافي الريادي لإمارة الشارقة، من خلال هذا المشروع السياحي الثقافي، الذي ينطوي عليه تراث المكان من مفردات حيّة ونابضة بالتراث الشعبي الإماراتي بكل صوره وأشكاله، وهو مشروع ثقافي حضاري تراثي، أبرز القيم الجمالية الكامنة في التراث الإماراتي، وجسّد الهوية الوطنية المتفرّدة للدولة، وخصوصيتها وعطائها اللاّمحدود، كما تؤكد أيام الشارقة التراثية أهمية الشارقة كمدينة للثقافة والعلم والفن، وأنها كانت ولاتزال الرائدة والسبّاقة في الاهتمام بكل أصناف وأوجه الثقافة والإبداع.

وشهدت هذه الدورة اهتماماً بالبيئات الثلاث: الصحراوية والرعوية والبحرية، واستطاعت «الأيام» أن ترصد طبيعة كل بيئة، وما تتمتّع به من إمكانات طبيعية، إذ تتميز البيئة الصحراوية بطبيعتها الرملية والسيوح والوديان، ويعتمد فيها الناس على رعي الإبل وتربية الحيوانات.

«غوص عميق في تراث عريق»

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها الرابعة تحت شعار «غوص عميق في تراث عريق»، ابتداءً من 12 إبريل، واستمرت إلى 26 إبريل 2006، وتزامنت مع اليوبيل الفضي لدائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة، حيث كانت إدارة التراث، ومع عقد الثقافة العربي أيضاً.

أقيم حفل الافتتاح في منطقة التراث، وكان حفلاً ضخماً حوى الجديد والمفيد، وأدخل البهجة والسرور على نفوس الزوّار والجمهور الذي أصبح يترقب بلهفة وشوق وحنين حلول الأيام في كل دورة، بعد الرصيد الايجابي الذي حقّقته على مدى دوراتها السابقة، الذي منحها تراكماً ثقافياً وتراثياً معتبراً، جعلها تتصدّر الأحداث والمشاهد كل عام.

تضمنت فعاليات الأيام حفلاً افتتاحياً فخماً وضخماً، ومعبّراً عن رغبة جامحة في تقديم التراث الثقافي الإماراتي في حلّة جميلة وصورة نقيّة، تسهم في إبرازه والترويج له على أوسع نطاق، وقد كان للفن حضوره وحظوظه، حيث تم الابتداء في الحفل ـ وللمرة الأولى ـ بأوبريت بعنوان «أرض الفرح»، وهو من تأليف وألحان الفنان الإماراتي عبدالله صالح، وإخراج محمود أبوالعباس، وكلمات الشاعر هشام ضاحي.

أصبحت أيام الشارقة التراثية تظاهرة من أكبر الفعاليات التراثية الثقافية المحلية والعربية، وأكثرها جذباً للزوّار، الذين يترقبون حلولها في شهر إبريل من كل عام، على أحرّ من الجمر. وقد حققت «الأيام» على مدى تلك السنوات رصيداً ثرياً وغنياً بالمعلومات التراثية والثقافية، وأسهمت في التعريف بالتراث الثقافي الإماراتي، وثقافات الشعوب، وما تزخر به من تنوّع وغنى، حيث غدت «الأيام» منبراً عالمياً لاحتضان تلك الثقافات.

«غوص عميق في تراث عريق»

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها الخامسة في 11 إبريل 2007 تحت شعار «غوصٌ عميق في تراث عريق»، واستمرت إلى الحادي والعشرين من الشهر نفسه، وقد كانت هذه الدورة عبارة عن حفل تراثي ضخم، يحتوي على عدد من الفقرات التراثية والبرامج الفنية والاستعراضية لفنون وتقاليد التراث الإماراتي الأصيل.

وشمل البرنامج المصاحب لهذه الدورة العديد من الفعاليات والأنشطة التراثية المهمة، التي استقطبت لفيفاً من الجماهير، وحدتهم لمتابعتها ومواكبة فعالياتها.

السوق الشعبي:

استعرض جميع الحرف القديمة للحضر والبدو وسكان الجبال وسكان القرى والواحات.

البيئة الزراعية:

عبارة عن مزرعة تراثية متكاملة، تظهر أساليب الزراعة التقليدية، وتضم أقساماً عديدة، منها: البئر (الطوي)، الأدوات الزراعية، الحيوانات، العريش.

قرية جبال الإمارات:

قرية مصغّرة لتراث قرى جبال الإمارات بكل ما تحويه من تفاصيل حياتية ومقتنيات وفنون وتقاليد.

البيئة البحرية:

استعرضت تفاصيل دقيقة للفنون والحرف والمهن ونكهات البحر الرائعة.

البيئة البدوية:

تجسيد حيٌّ للبيئة البدوية ببيوتها المتفرّدة كبيوت الشعر، وبيوت الجريد، ومجالس الرجال، والمهن البدوية والفنون الأصيلة.

سوق الأطباق الإماراتية:

ركن استعراض حيّ لروائع المطبخ الإماراتي بأطباقه الرئيسة وحلوياته ومشروباته الساخنة والباردة، في هذا الركن طعم أصالة الإمارات وذائقة أبنائها.

الاستديو التراثي:

كان فرصة قيّمة للزوّار لالتقاط صور تذكارية في أجواء الماضي الحميم بأزياء ومقتنيات وإكسسوارات تم اختيارها بعناية لتجسّد حقبة زمنية عالية.

معارض تراثية:

مجموعة من المعارض التي تحكي جزءاً من التراث الإماراتي بتوثيق علمي وتفاصيل مبهرة.

المقاهي والمطاعم الشعبية:

توزعت في ساحة الأيام الرئيسة العديد من المطاعم والمقاهي الشعبية، ليستريح الزوّار والجمهور، وقدّمت لهم ألواناً وأطباقاً من الأطعمة الإماراتية المفيدة.

بيت الخرايف:

عرض حيٌّ لبعض الشخصيات الخرافية من الحكايات الشعبية الشهيرة، التي تُقدّم في قالب من الإبداع التمثيلي والتشويق، بمؤثرات صوتية وضوئية، وجوّ خيالي خلّاق.

الفنون الشعبية:

مساحة استعرضت عشرات الألوان من الفنون، والرقصات، والأهازيج، التي تغطي مختلف الفنون الشعبية الإماراتية، مثل: العيالة، والليوة، والهبان، الحربية، الأنديما، البحرية، النوبان، رزيف الشحوح، الويلية، الحدوة، الرواح، الوهابية.... إلخ.

الألعاب الشعبية:

استعراض ألعاب شعبية عدة، تمثّل طرق التسلية القديمة، إضافة إلى الورش التراثية، ومسابقة للأطفال، تقام بالتعاون مع تلفزيون الشارقة، تدعوهم إلى التفكير في حياة الآباء والأجداد.

المسابقات:

حرصاً من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، على أن تعمّ الفائدة، ويستمتع أبناء الشارقة في جميع مناطقها ومدنها ببرامج وفعاليات «الأيام»، أصدر توجيهاته الكريمة عام 2007، بضرورة شمولية «الأيام»، وتوسيع نطاق احتفالاتها، لتكون في مناطق ومدن إمارة الشارقة الأخرى، وهي: خورفكان، كلباء، الذيد، الحمرية، دبا الحصن، وقد رُوعي في اختيار المناطق التي أقيمت فيها فعاليات الأيام التراثية في كل مدينة، أن تكون ذات موقع متميز، ومجهّزة بالمرافق المختلفة، وذات تصميمات تراثية معبّرة عن خصوصية المنطقة وعاداتها وتقاليدها، بأسلوب يثير إعجاب الزائرين.

«التراث رمز الهوية»

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها السادسة في 9 إبريل، واستمرت لغاية 18 إبريل 2008، متخذة من «التراث رمز الهوية» شعاراً لها، وذلك ما كشف عنه المنسق العام لـ«الأيام» سعادة عبدالعزيز المسلّم، في حديثه عن دوراتها السابقة، بقوله: «إن السنوات الست التي مرّت كانت بمثابة خط حروف التراث بأحرف من عرق الآباء والأجداد، وتلوين للصفحات بألوان اللوز والرمان والورس والحناء، تلك الألوان التي لوّنت الحياة في ذلك الزمان»، مؤكداً أن التوجيهات السامية لصاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم إمارة الشارقة، ودعمه اللامحدود لتلك الفعاليات، يتوج دائماً بالعمل والنجاح والتميّز.

كان الاحتفال بالأيام التراثية في هذه الدورة دعوة للتمسّك بالأصالة التي ورثها الإماراتي عن الأسلاف، وفرصة أخرى من الفرص النادرة التي وفّرتها إدارة التراث، لجمع وحفظ التراث الشعبي الإماراتي، من خلال مجموعة من الآليات التي تعنى بجمع وتدوين وتوثيق الموروث الشعبي الإماراتي، وإجراء التحليلات والدراسات بالطرق المنهجية والعلمية، وتوثيق وأرشفة الوثائق والصور التي تصوّر أو تشرح الحياة الشعبية اليومية للإنسان الإماراتي. كما يتجلى ذلك في بيت الموروث الشعبي، كما تهيأت بنية مناسبة لاستقبال الفعاليات، وتوفير فضاءات مرنة قادرة على استيعاب كل المحالّ والفضاءات التراثية على اختلافها.

الدورة السادسة لم تشذ عن القاعدة، من خلال تسليط الضوء على الثراء التراثي والثقافي الذي تتميز به الإمارات، نتيجة تعدّد البيئات، وقدرة الأيام التراثية، من سنة إلى أخرى، على استقطاب المزيد من الحرفيين والمختصين في الفنون الشعبية كافة، إضافة إلى إقبال العارضين لعرض نماذج حيّة من العادات والتقاليد المرتبطة بحياة الأسرة الإماراتية، الاجتماعية والاقتصادية، كما تعتبر «الأيام» فرصة رائعة للمشاركين والضيوف، للتعرّف إلى التاريخ الحضاري للإمارات، وأرضية تنطلق منها سبل وآليات التعاون الثقافي، وتبادل الزيارات لعرض هذا التراث في أنحاء العالم كافة.

وقد حرصت الدورة السادسة ـ كغيرها من الدورات السابقة ـ على تعميق التفاعل الثقافي بين مختلف الشعوب، من خلال عروض الفنون الشعبية والمعارض الحرفية، الأمر الذي أسهم في التعريف بتراث وهوية وثقافة الإمارات وأصالتها، فضلاً عن اطلاع الإماراتيين والمقيمين والزائرين على التراث الثقافي للشعوب الأخرى، إضافة إلى الإسهام في هذا الحدث الذي يفتح الباب على مصراعيه للحوار الحضاري والثقافي بين الأمم والشعوب.

تضمنت هذه الدورة مجموعة واسعة من البرامج والعروض الشائقة المتنوّعة، والأجواء الاحتفالية غير

المسبوقة، وعلى امتداد 15 يوماً قدّمت أكثر من 150 فعالية، بعضها للمرة الأولى، واكتسبت طابعاً خاصاً من ناحية الأفكار المبتكرة، وركزت على التجسيد الحيّ لمختلف أشكال الحياة الاجتماعية قديماً، في جوانبها الاقتصادية والتجارية، والعادات والتقاليد السائدة، إضافة إلى عروض الفنون والحرف والألعاب الشعبية، كما لعبت دوراً بارزاً في الترويج للمرافق التراثية، التي تعنى بإبراز التراث الشعبي الإماراتي.

كما تميزت هذه الدورة كذلك بعرضين كبيرين، الأول كان في حفل الافتتاح، وقد تميّز بتناغم كبير بين عناصره كافة، ابتداءً من الموقع المتميز على الوجهة المائية في منطقة الشارقة القديمة، ومسيرة القافلة التراثية، وصولاً إلى عروض فرق الفنون الشعبية، حيث تناغمت كل هذه العناصر مع بعضها لتشكّل لوحات

تراثية متكاملة تعلن بداية الدورة.

أما عرض الاختتام فلم يقلّ أهمية عن عرض الافتتاح، وخلاله تم تكريم الرعاة الرئيسين والفرعيين، وكل من أسهم في إنجاز هذا الحدث، بالإضافة إلى الإعلان عن الفائزين في العديد من المسابقات التي دارت على هامش «الأيام»، مثل جائزة أيام الشارقة التراثية لأحسن تغطية صحفية، وجائزة أحسن تحقيق صحفي، وجائزة التصوير الفوتوغرافي.

كما جاء البرنامج حافلاً بالعديد من الإضافات، مثل عرس البدو، وتراثيات القهوة، والزراعة التراثية، والشلاّت الشعبية، والمعارض التراثية لدول الخليج، وعروض الخيول العربية، وزهبة العروس، وحظيرة الحيوانات، بالإضافة إلى العروض السنوية التقليدية، التي دأبت «الأيام» على برمجتها منذ انبعاثها، مثل: عروض المسرح التراثي، المأكولات الشعبية، عروض الحرفيين التقليديين، المسابقات التراثية، بيت الخراريف، فضلاً عن الكثير من الفعاليات الأخرى، كما أسهمت المطبوعات والإصدارات المتعدّدة في خلق مناخ يشجّع على تبادل الأفكار والحوار بين الثقافات والشعوب المختلفة.

«بالتراث نرتقي»

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها السابعة في 5 إبريل 2009، واستمرت لغاية 18 من الشهر نفسه، وقد شهد حفل الافتتاح العديد من الفعاليات التراثية الاحتفالية، التي قدّمت فيها فرق الفنون الشعبية أهازيجها ورزفاتها الشعبية، التي أضفت على المكان عبق الأصالة وعمق الانتماء، ونسمات من الماضي العريق، بالإضافة إلى قوافل العروض المختلفة من خيالة، وصقارة، وإبل، وأزياء شعبية نسائية، وللأطفال، مرفقة بعدد من اللوحات الفنية الغنائية التراثية المحلية كالعازي، وعزف الربابة، واليولة، والندبة، والفن الصوري، إضافة إلى لوحات فنية وافدة، كالليوة والمديما والنوبان والهبان والمناديل والعصا وفن البلوش، كما تم استعراض عددٍ من الفنون البحرية.

اشتملت فعاليات أيام الشارقة التراثية في دورتها السابعة على ركن الشارقة القديمة، الذي عرض من خلاله أبرز المعالم القديمة التي اشتهرت بها إمارة الشارقة قديماً، مثل السينما وساحة الأعياد والاحتفاليات والقهوة الشعبية، كما تم من خلال هذا الركن تقديم عرض شامل عن الحياة داخل الأسواق الشعبية، واستعراض التعاملات التجارية، وصناعة الخناجر والأجهزة القديمة والساعات، وصيانة وبيع الأجهزة القديمة، والكراني والبريد والحلاقة والملابس الرجالية والعكّاس (المصوّر). تضمنت فعاليات هذه الدورة ركناً خاصاً بالمأكولات الشعبية الإماراتية وكيفية إعدادها، والأدوات المستعملة في المطبخ الإماراتي القديم، كما تم تقديم نماذج حيّة لبعض الطقوس والممارسات الشعبية الإماراتية، كالعرس الإماراتي التقليدي، والأزياء الشعبية، والبيت الإماراتي القديم والتومينة، والمجالس الشعبية، والبيئة البحرية، التي تضمنت عروضاً متنوعة لأنشطة السكان وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة الساحلية.

شملت الأنشطة التراثية المصاحبة للأيام عرضاً لحرف ومهن أهل الساحل، إضافة إلى عروض للفنون الشعبية، وركن خاص بأسماك ساحل الإمارات، وركن آخر بفلق المحار، وتقديم نماذج من السفن التقليدية الإماراتية.

كما تم تخصيص ركن خاص بالأطفال يحتوي على مناطق مجهزة بالأدوات والألعاب، وتقام فيه ورش عمل تعليمية وتربوية لتدريب الأطفال على صناعة بعض النماذج الجبسية والخشبية بإشراف مختصين، إلى جانب أجنحة لبعض المؤسسات المجتمعية، لعرض نماذج من منتجاتها التراثية، التي تجسّد من خلالها بعض الجوانب التراثية المرتبطة بمجتمع دولة الإمارات العربية المتحدة.

كما شهدت الدورة السابعة مجموعة من الفعاليات التراثية المهمة، مثل: «سكة الربعان»، حيث قدّمت خلالها عروضاً حيّة لعددٍ من الشخصيات الخرافية، إلى جانب عرض نماذج من تراث الشعوب الأخرى من الخليج والبلدان العربية، وآسيا وإفريقيا في يوم التراث العالمي، وقد مثّل برنامج هذه الدورة ـ بتنوعه وحرصه على تناول مختلف المجالات ذات العلاقة بالتراث ـ إضافة كبرى للأيام التراثية، وأسهم في الارتقاء بها، وجعلها وجهة لكل أبناء الشارقة وعموم الإمارات.

احتفاء بالقدس

شهدت هذه الدورة احتفالية خاصة بالقدس عاصمة الثقافة العربية 2009، وقد شاركت إحدى الفرق الفلسطينية (زهرة المدائن)، المختصّة بالتراث الشعبي الفلسطيني، في هذه الاحتفالية، واستطاعت أن تعرّف بتراث فلسطين وفنونها المختلفة. ولعلّ زيارة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو مجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، للجناح الفلسطيني بساحة التراث، والحديث مع عدد من المشاركين الفلسطينيين، كان له الأثر الطيب في نفوسهم، حيث أبدى سموه إعجابه بالمحتويات التراثية الفلسطينية المعروضة، ومختلف اللوحات التراثية والزخارف اليدوية المعبّرة عن الموروث الشعبي الفلسطيني في مختلف مناطق فلسطين.

كما شهد الجناح الفلسطيني عرض العديد من الأواني الفلسطينية والصناديق المطرّزة والمحفور عليها بعض الآيات القرآنية، والخرائط وأعمال الرسم على الخشب والجلباب الفلسطيني (الجنباز)، الذي يُعَدّ رمز هوية المرأة الفلسطينية المناضلة، والسروال المطرز يدوياً، والزعتر والزيتون... إلخ.

وقد تفاعل زوّار أيام الشارقة التراثية في دورتها السابعة مع ما قدّمته الفرقة الفلسطينية من وصلات فنية، وما عرضه الجناح الفلسطيني من مقتنيات رائعة ومعبّرة عن تراث شعب مكافح، وبهذه اللفتة الكريمة فتحت الأيام التراثية نافذة جديدة على محيطها العربي والإسلامي، للتأكيد على عمق الترابط والتواصل الثقافي، وقوة الانتماء العربي الإسلامي.

الأيام التراثية في المدن

احتفلت مدن الشارقة المختلفة بأيام الشارقة التراثية، فكانت المناسبة فرصة لاحتفالات بهيجة، تخلّلتها رقصات وأهازيج احتفى فيها الجميع بهذا العرس التراثي البهيج، في كل من الحمرية، والذيد، ودبا الحصن، وخورفكان، وكلباء.

«تراثنا أمانة»

انطلقت الدورة السابعة لأيام الشارقة التراثية في الرابع من إبريل 2010، واستمرت لغاية 18 من الشهر نفسه، وقد كانت هذه الدورة نقلة نوعية في المسيرة، حيث مثل برنامجها منعرجاً مهماً في عمر «الأيام»، التي اشتد عودها، وأصبح لها من الإشعاع والتميز ما جعلها مثالاً يحتذى به، في حسن التنظيم والإعداد والتطوير، والعمل بكل الأفكار والمقترحات الرائدة، فقد تنامت المشاركات، وتعدّدت بشكل لافت للانتباه، وكانت الندوة الفكرية الدولية حول الشارقة القديمة محمية التراث الثقافي غير المادي، فرصة للمزيد من التعريف بهذه الإمارة، التي انطلق مشروع إحيائها منذ عام 1990م، وتأسست بها منذ منتصف عقد التسعينيات إدارة للتراث، تعنى به بشقية المادي وغير المادي، وذلك بقصد ترسيخ الهوية المحلية برؤية ثاقبة ومنهجية علمية، وعمل يستلهم الطروحات الحديثة، ويستوعب المعيارية القيمة.

كما كانت الدورة الثامنة مناسبة لحضور العديد من ضيوف «الأيام» من مختلف أنحاء العالم، كالبحرين

ولبنان والمغرب وتونس وكندا والمملكة المتحدة وفرنسا وفنلندا وكينيا وقطر وإيطاليا ومصر وبولندا.

ندوة الشارقة القديمة: محمية التراث الثقافي غير المادي

تعتبر الشارقة القديمة واحدة من أقدم التجمعات الحضرية في شبه الجزيرة العربية، والمكان الذي عرف منذ قديم الزمان بدوره التجاري والاقتصادي في المنطقة ككل، واليوم تعد الشارقة حاضنة رئيسة للتراث المادي وغير المادي، وصورة مشرقة لتراث دولة الإمارات الحيّ على الدوام، والحاضر بامتياز، رغم متغيرات الحياة العصرية.

حظيت إمارة الشارقة باهتمام كبير من قبل الرحّالة والمستكشفين، ومن حقها اليوم أن تكون محمية للتراث الثقافي الإنساني من قبل منظمة «اليونيسكو»، ففي ظل الاهتمام الموصول بمنطقة الشارقة القديمة من لدن صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، طرح في أوائل التسعينيات مشروع إحياء الشارقة القديمة، خطة تنموية شاملة، فرمّمت البيوت، وأعيد افتتاح المساجد ومدارس تحفيظ القرآن، والمكتبات، والمتاحف، والأسواق الشعبية العتيقة، مثل سوق العرصة والسوق المسقوف وسوق البحر وسوق الظلام، فعادت إلى حالتها الأصلية، وأعيدت إليها الحياة من جديد، وأصبحت المدينة القديمة وجهة سياحية، تضم إدارات حكومية وجمعيات أهلية ومتاحف ومسارح وبيوتاً ونوادي.

تمثّل أيام الشارقة التراثية المناخ المناسب لاستعادة الماضي والموروث بتفاصيله الدقيقة، عبر الأنشطة المتعددة الملبية لمطالب كثير من الزوّار والضيوف، الذين يفدون عليها بعشرات الآلاف كل عام، وقد غدت الأيام التراثية منذ افتتاح الدورة الثامنة من أهم المشاريع الثقافية التراثية في منطقة الخليج العربي، كما ازداد إشعاعها ـ عربياً وعالمياً ـ عاماً بعد عام.

هذه الدورة التي استمرت لنصف شهر، غطت مدن إمارة الشارقة كافة: (خورفكان، كلباء، الذيد، الحمرية، مليحة، دبا الحصن)، واطلع خلالها الزوار على نماذج حيّة من تراث دولة الإمارات، تجلى بوضوح من خلال المعارض والمجالس والأنشطة الموازية على اختلافها.

في أيام الشارقة التراثية تلبس الإمارة حلة قدّت من عتيق عميق، قوامه فقرات وبرامج استعراضية، وفنون لم يزل أهالي المنطقة يحيونها في المناسبات والأفراح والأعياد، وتقاليد تراثية أصيلة، وحرف قديمة للحضر والبدو وسكان الجبال والقرى، وأدوات زراعية، وبيوت شَعر ومجالس وفنون يدوية، وقرى للمأكولات التقليدية، تقدم الأكلات الشعبية الإماراتية والخليجية، مثل: الهريسة واللقيمات والثريد، وغيرها من الأكلات، حيث جهزت أماكن جلوس مناسبة وبطرق متنوعة، تهدف إلى تقديم أرقى الخدمات التراثية للزائرين، إضافة إلى المقاهي الشعبية التي بنيت من سعف النخيل، وتقدّم فيها الأكلات الشعبية الخفيفة والمشروبات التقليدية بأنواعها. كما تنتشر فرق الفنون الشعبية في ساحة «الأيام»، مقدمة الرقصات والأهازيج المختلفة، مثل: العيالة، والهبان، والحربية، والنوبان، ورزيف الشحوح، والرواح، والوهابية وغيرها.

وللأطفال في أيام الشارقة التراثية مساحة ممتدة، يستعيدون فيها وهجهم، ويمرحون في أزمنة حيّة مملوءة بروح أجدادهم، ليتعرفوا إلى هذا التراث، حيث يتم يومياً عرض ألعاب شعبية عدة، إضافة إلى ورش تراثية، ومسرح للأطفال يتولى تقديم جوائز قيّمة، إضافة إلى المسابقات التراثية ومسابقة الأزياء الشعبية، ومسابقة التقارير والبحوث التراثية وغيرها.

«من التراث ننهل»

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها التاسعة في الثالث من إبريل 2011 في منطقة التراث بقلب الشارقة، تحت شعار «من التراث ننهل»، واستمرت فعالياتها لغاية الـ18 من أبريل 2011، وتضمنت الكثير من الأنشطة والعروض، من بينها عرض قافلة التراث، وعروض الفنون الشعبية.

حقّقت هذه الدورة الكثير من الإضافات على المستوى الفني والتنظيمي، والحرص على التطوير والاستفادة من مختلف الأفكار والمقترحات؛ فقد اتسعت ساحة التراث الرحبة لاحتضان الأجنحة المختلفة كأحسن ما يكون الاستعداد، وتوزعت في أرجائها شموع الفرح في استقبال راعي «الأيام»، صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، الذي كان له موعد متجدّد مع افتتاح هذه التظاهرة، من خلال عروض الفنون الشعبية، وسباق التجديف، والقافلة التراثية، والقافلة البحرية والأندية، بالإضافة إلى الأجنحة الرئيسة المتمثلة في جناح المعارض والمزادات، وجناح الجهات الحكومية والمشاركات الخارجية، والبيئات، والمسرح، وسكة الريعان، والألعاب، والقرى التراثية، وخيمة مشروع ذاكرة الشارقة، ومعهد الأيام للتراث.

درب الطيبات

ركن المقاهي والمطاعم التراثية، ركن المأكولات الشعبية، عرض حيّ للمطبخ الإماراتي والطبق الشعبي اليومي المميز.

سوق الغرب

احتوى على أكثر من 20 محلاً لبيع منتجات ومقتنيات تراثية، جناح الأسر المنتجة، وجناح «أول فال» سوق لمشاريع الشباب.

البيئة الجبلية

مشهد حيّ من بيئة جبال الإمارات، استعرض حرف ومهن وتقاليد أهل الجبال.

البيئة الزراعية

حرف ومهن البيئة الزراعية، الهياسة (الحراثة القديمة)، اليازرة (طريقة الري القديمة)، ومعرض الأدوات الزراعية.

البيئة البدوية:

شملت: قافلة الجمال، عازف ربابة، وركن القهوة، والضيافة الإماراتية.

الفنون الشعبية

أحيت فرق الفنون الشعبية الكثير من الفنون الفولكلورية الشعبية الإماراتية، مثل: الهبان، النوبان (الطنبورة)، العيالة، السومة، الرزيف (الوهابية) الدان، (اليولة) الحربية، الليوا، أنديمة، الرواح، الندبة وفنون بحرية بمرافقة الزمار.

إضافة إلى عروض الحرف والمهن الشعبية، من خلال ورش حيّة للمهن التراثية في «الأيام» تقدّم المشغولات اليدوية كصناعة الخناجر والطبول وترويب الليخ، وإعداد التوابل والعوال والسحناة وفلق المحار، ورعي الغنم وتصنيع القفال، ودق الحب والرحي وخبز سفاع والسخونة والمقطعة والعصيدة واليريش والغزل وصناعة اليص وصناعة البارود وصناعة المالح.

قرية الحرفيين

احتوت على ورش للحرف الإماراتية الرجالية، وورش للحرف الإماراتية النسائية، ودورات تدريبية، وعروض حيّة، وبيع منتوجات حرفية.

بستان الحكايات الشعبية: ورش تعليمية، رواة شعبيون، مرسم حر، ومسابقات أجمل زيّ تراثي.

قرية الرحّالة:

معرض صور الرحّالة، مقتنيات الرحّالة وشاشة عرض.

معهد أيام التراث: دورات تدريبية قصيرة من التراث الشعبي، أدب شعبي عادات وتقاليد، حرف ومهن شعبية وثقافة مادية.

خيمة مشروع ذاكرة الشارقة: تعريف بالشارقة القديمة، جمع معلومات من الشارقة، عمل مسرد لغوي للأسماء القديمة ومعانيها، ودورات تدريبية للجمع الميداني.

«عقد من التراث»

انطلقت في الرابع من إبريل 2012م فعاليات الدورة العاشرة لأيام الشارقة التراثية، تحت شعار «عقد من التراث»، بحفل افتتاحي اشتمل على عروض مختلفة من الفنون الشعبية والقوافل التراثية، والاستعراضات التي أبرزت التقاليد التراثية، وقد تعدّدت الأجنحة، وشملت:

ـ جناح إدارة التراث: وهو جناح مخصّص لعرض إصدارات إدارة التراث، واستعراض حصاد التراث وأنشطتها وبرامجها، وقد خصّصت مجلس ضيافة لزوّار المهرجان، ومكتب اللجان المنظمة والمكتب الإعلامي.

ـ جناح مركز الحرف الإماراتية: ضم العديد من ورش العمل (صناعة الدمى، صناعة السفافة، صناعة العطور والدخون، صناعة التلي، تدوير البيئة)، إضافة إلى عرض حيّ لزفّة العروس، وعرض الأدوات التراثية المستخدمة في زينة المرأة، والمسابقات التراثية في الألغاز والأمثال الشعبية والأشعار والكلمات القديمة وألعاب شعبية للبنات ودورات تدريبية في المأكولات الشعبية.

البيئات التراثية

شدّت البيئات التراثية الزوّار بما جسدته من نشاط حيّ لسكانها، وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية، ومن خلال مفرداتهم وعاداتهم، ففي البيئة الساحلية كان عرض الحرف والمهن الساحلية، وعروض الفنون الشعبية وغناء النهام ودكان الأسماك، إضافة إلى عرض نماذج من السفن التقليدية الإماراتية.

البيئة الزراعية

استعرضت الحرف والمهن الخاصة بالبيئة الزراعية، بما فيها سوق المنتجات، كما كان الزوّار على موعد مع معرض الصناعات السعفية واليازرة (طريقة الريّ القديمة)، ومعرض للأدوات الزراعية.

البيئة الجبلية

قدمت حرف ومهن أهل الجبال، وعروضهم الفنية الشعبية، وعاداتهم وتقاليدهم.

البيئة البدوية

تضمنت قافلة البدو وعازف الربابة، وركن القهوة والضيافة العربية، وعرضاً مفصّلاً للحرف والمهن البدوية، إضافة إلى فنونهم ومأكولاتهم المختلفة.

احتفت أيام الشارقة التراثية في دورتها العاشرة بمرور عقد من التراث، ببرنامج فكري متنوّع، اشتمل على العديد من الموضوعات المهمة، والمقاربات الفكرية العميقة، التي لامست جوانب مختلفة من التراث الثقافي.

كما كان للمقاهي الثقافية دورها في إثراء الحوار حول العديد من المسائل في الحقل التراثي، من خلال مقهى الحصن، ومقهى البارجيل.

وتم تخصيص 40 محلاً لبيع منتجات ومقتنيات تراثية إماراتية بالسوق الشعبي، و40 محلاً بسوق الدوار، لتشجيع وتسهيل وتطوير ودعم المشاريع الصغرى، و20 محلاً لدعم المشاريع الجديدة للشباب الإماراتيين، وعرض منتوجات تراثية بسوق «أول فال».

كما كان لدرب الطيبات حضوره المتميز، من خلال الأكلات الشعبية الإماراتية، وكيفية إعدادها والأدوات المنزلية المستخدمة في المطبخ الإماراتي القديم، وقد خصصت أركان متعددة لهذا الغرض، كركن المقاهي والمطاعم التراثية، وركن المأكولات الشعبية، وعرض حيّ للطبخ الإماراتي، وتقديم طبق شعبيّ إماراتي رئيس يومياً.

وكانت المشاركات العربية حاضرة بقوة في أروقة «الأيام»، من المملكة العربية السعودية، الكويت، قطر، والمغرب، من خلال عرض حرف وفنون شعبية وأزياء تخصّ كل دولة.

وشهدت قرية الأطفال التعليمية الترفيهية، التي تركز على التراث الثقافي في محتواه الفني والأدبي، ومسرح الظل، العديد من الألعاب الشعبية والورش التدريبية والمرسم الحر والأزياء التراثية للأطفال.

وكان للفنون التشكيلية ومعارض الصور حضور، من خلال تخصيص فضاءات خاصة لها بساحة التراث.

كما غصَّ مسرح الأيام بالمسابقات للكبار والصغار، واستطاعت ساحة التراث بالشارقة القديمة أن تستوعب عشرات الآلاف من الزوار الذين جاؤوا من كل مكان.

واحتفت أيام الشارقة التراثية خلال الدورة العاشرة ـ كعادتها ـ باليوم العالمي للتراث، من خلال استعراض أزياء الشعوب والفنون الشعبية والعادات والتقاليد.

«المعارف الشعبية عماد التراث»

انطلقت أيام الشارقة التراثية في دورتها الحادية عشرة في الثالث من إبريل 2013، في منطقة التراث، تحت شعار «المعارف الشعبية عماد التراث»، واشتمل حفل الافتتاح على عروض العيالة، والعديد من اللوحات والعروض الفنية التي قدمها عدد من الفرق الشعبية المحلية المشاركة في الأيام استهلوها بالتحميدة، وهي عبارة عن لوحة للتعليم التقليدي، ومن ثم لوحة للفنون الجبلية، ولوحة أخرى لفنون فولكلورية منها النوبان والطنبورة والهبان والليوة، وقافلة تحمل مفردات من صميم التراث الإماراتي، تتضمن عرس البدو، إضافة إلى فن الأندمة (المدمة) ولوحة الفنون البحرية «النهمة ورفع الشراع».

رجل التراث العربي

كما تضمن حفل الافتتاح تكريم صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، من قبل الشيخ فيصل بن قاسم بن فيصل آل ثاني، بجائزة شخصية العام التراثية لعام 2013، ورجل التراث العربي، المقدمة لسموه من المركز العربي للإعلام السياحي، تثميناً لدور سموه في صون التراث والحفاظ على كنوزه، من خلال ترميم الأبنية القديمة، وبناء المتاحف، والعمل على مد تلك المباني بكل الأدوات المستخدمة في تلك العصور، ليس محلياً فحسب، بل عربياً.

وتخلل حفل الافتتاح عرض فيلم وثائقي حول الشارقة والحياة الاجتماعية فيها، وجهود صاحب السمو حاكم الشارقة في الحفاظ على ذلك التجانس والبناء الاجتماعي الفريد من نوعه.

وتضمنت الدورة أجنحة رئيسة، إلى جانب أجنحة الجهات الرسمية ومعارض الصور والمقتنيات والمزادات وقرية الأطفال، إضافة إلى ركن الأكلات الشعبية.

البيئة الزراعية

تضمنت حرف ومهن البيئة الزراعية، وسوقاً لمنتجات زراعية، ومعرض الأدوات الزراعية ومنها اليازرة، ثم

جناح البيئة الجبلية، الذي تضمن حرف ومهن أهل الجبال، وعروض الفنون الشعبية لأهل الجبال، وعروض عادات وتقاليد أهل الجبال.

البيئة البدوية:

بيت الشعر، وما تضمنه من مناخ الإبل، والعزف على الربابة، وركن القهوة والضيافة العربية، وحرف ومهن البيئة البدوية، وفنون ومأكولات بدوية.

درب الطيبات:

انتشرت فيه العديد من الأجنحة التي تقدم مختلف أنواع الأطعمة الإماراتية التقليدية.

شملت فعاليات أيام الشارقة التراثية برنامجاً فكرياً شارك فيه 76 شخصية بارزة، منهم مفكرون وأكاديميون وباحثون وإعلاميون مهتمون بالتراث، ويضم مقاهي ثقافية يتخللها التوقيع على كتب تراثية عدة من قبل مؤلفيها.

يوم التراث العالمي:

تخلل الفعاليات يوم التراث العالمي، الذي تضمن الاحتفال به استعراض أزياء الشعوب والفنون الشعبية والعادات والتقاليد يوم الـ18 من إبريل 2013.

وأحيت فرق التراث الشعبي الإماراتي خلال الأيام مجموعة من الفنون الشعبية، شملت الهبان والنوبان والطنبورة والعيالة والسومة والرزيف والوهابية والدان والحربية والليوا والأندمة والرواح والندبة.

كما انطلقت فعاليات الأيام التراثية في المدن الأخرى: خورفكان، كلباء، الذيد، الحمرية، دبا الحصن، المدام، المليحة، وقد أمضى الزوار، من مواطنين ومقيمين وسياح، وقتاً ممتعاً في الترفيه السياحي، والاطلاع على نماذج حيّة من تراث الإمارات.

هكذا احتفت أيام الشارقة التراثية في هذه الدورة بالمعارف الشعبية التقليدية في الإمارات، بوصفها عماد التراث الثقافي، ورمز الهوية الثقافية، والخصوصية المحلية، ولبست الشارقة في أيامها حلّة جديدة من الفعاليات والبرامج، التي تسترجع فيها أصالة الماضي، وترسم ملامح البيئة المحلية القديمة لسكان وأهالي الإمارات، عبر احتفالية جماهيرية تزخر بالقيم والمعاني الجميلة لموروثاتنا الشعبية، وتنتصر لكل مفردات التراث والثقافة الإنسانية والحضارية، التي ميزت المنطقة لعقود.

«التراث الإسلامي خيمة واحدة»

انطلقت فعاليات الدورة الـ12 من أيام الشارقة التراثية في السادس من إبريل 2014 في ساحة التراث بقلب الشارقة، تحت شعار «التراث الإسلامي خيمة واحدة»، وتضمن حفل الافتتاح العديد من عروض الفنون الشعبية والتقاليد التراثية، واستعراض قوافل الجِمال والخيول والاستعراضات التراثية الفنية والعادات والتقاليد.

واستهلّت تلك العروض بدخول الفرق المحلية الإماراتية، وتقديمها العديد من الفقرات الفولكلورية الفنية الأصيلة، والفنون الوافدة كفنون البيئة الجبلية (الندبة)، وفن النوبان (الطنبورة)، والليوا، والهبان، والفنون البحرية، وفن الأنديمة.

كما شهد حفل الافتتاح عروضاً لعدد من الفرق التراثية الفنية الوطنية المستضافة من دول وبلدان إسلامية، كالمغرب وقيرغيزستان وإندونيسيا وتركيا. واختتمت فقرات الحفل بتقديم لوحة فولكلورية فنية بعنوان «الإسلام لغة واحدة»، وعرض بين فقرات الحفل المتنوعة فيلم تسجيلي حول الحياة الاجتماعية والعلمية والثقافية والتنموية لإمارة الشارقة.

عاصمة الثقافة الإسلامية

أقيمت هذه الدورة بالتزامن مع استحقاق إمارة الشارقة لقب عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 2014، بناء على معايير وشروط موضوعية استوفتها الإمارة بجدارة وأحقّية، وذلك يعود لوجود رجل استثنائي بحبه ودعمه للثقافة والعلوم، هو صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الذي أصبحت الشارقة في عهده قبلة يقصدها كل طالب للمعرفة أو الأدب أو الفكر.

وقد جاء اختيار الشارقة في إطار برنامج عواصم الثقافة الإسلامية، الذي تشرف عليه وترعاه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، وذلك بعد مطابقتها الشروط والمعايير الأساسية للعواصم الثقافية الإسلامية التي وضعتها.

وقد تضمن برنامج هذه الدورة مقاربات فكرية وثقافية، وفعاليات متنوعة في مختلف البيئات التراثية بما فيها الجبلية، والزراعية، بالإضافة إلى المشاركات الدولية، كما انطلقت الأيام التراثية في بعض مدن الشارقة ومناطقها الأخرى (البطايح، ودبا الحصن، وكلباء).

إقبال كبير

استقطبت الدورة الـ12 من أيام الشارقة التراثية في أيامها العشرة الأولى نحو 150 ألف زائر، وشهدت الأنشطة تفاعلاً كبيراً من الجمهور، الذي تنوّع في خلفياته الثقافية والتراثية ودوله الكثيرة، وقد شهدت الفعاليات تمازجاً بين التراثين العربي والإسلامي، بالتوافق مع اختيار الشارقة عاصمة للثقافة الإسلامية للعام 2014، كما أتيح لرواد القرية التراثية فرصة التعرّف إلى ثقافات وتراث الدول الإسلامية على المستويات المحلية والعربية والخارجية، عبر مشاركة دول مثل قيرغيزستان وماليزيا وإندونيسيا، وعقد مقارنات في الأزياء والأطعمة والعادات التي تميّز الشعوب والمناطق عن بعضها بعضاً.

«تراثنا نبع الأصالة»

انطلقت الدورة الـ13 من أيام الشارقة التراثية في الأول من شهر إبريل 2015، تحت شعار «تراثنا نبع الأصالة»، في منطقة التراث بقلب الشارقة، محمّلة بالجديد والمفيد على كل المستويات الثقافية والتراثية والترفيهية، وباقة من الفعاليات والأنشطة والندوات والمحاضرات والمسابقات، بمشاركة عدد من الجهات والهيئات والمؤسسات الحكومية العربية والإسلامية والدولية، واستمرت الفعاليات لغاية 24 إبريل.

جاءت الدورة متزامنة مع اختيار الشارقة عاصمة السياحة العربية لعام 2015، في إنجاز جديد يضاف إلى ما حققته العام الماضي (2014)، باختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية، مما يدل على القفزات النهضوية الكبيرة التي تحققها الشارقة تحت قيادة صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، حفظه الله.

يستكشف الزوّار للقرية التراثية في (قلب الشارقة) الماضي والتاريخ بكل حواسه وجوارحه، مطلقين العنان لحواسهم الخمس للتمتع بكل ما حملته الأيام من تراث، ينقل إرث الأجداد وحضارتهم، الأمر الذي يحفّز مشاعر الزوار على التفاعل مع جماليات الثقافات التي تحتضنها القرية التراثية بإيجابية وفرح.

الفنون الشعبية

تعتبر الفنون الشعبية حدثاً مجتمعياً احتفالياً مهماً، يشمل الشعر والأداء والموسيقى، وهي عناصر أساسية في الأدب الشعبي، ومحور إشارة لأهمية وتطور الأدب في المجتمعات، كونه حدثاً مهماً للتجمع والمشاركة لكل فئات المجتمع، سواء احتفاليات وطنية أو دينية أو في المناسبات.

و«الأيام» تحرص على دعوة الفرق الشعبية المحلية باختلاف فنونها، إضافة إلى بعض الفرق الخليجية والعربية، وبعض الفرق العالمية من أوروبا وبقية المناطق حول العالم، كما أن الفنون حاضرة دوماً في حفل افتتاح الأيام، كالعيالة والليوة والنوبان وفنون الجبل والربابة (رفيقة البدوي) وفنون البحر وزفة العريس، وأسماء لفنون تفتح باب «الأيام»، وتستمر فيها حتى نهايتها، كإثبات لاحتفالية الأيام وبهجة الحضور فيها، كما هي جزئية حقيقية وتعليمية مهمة للأدب الشعبي.

السوق الشعبي

السوق الشعبي موقع حضور وتجمع كثير من الجماهير، وفيه قدمت «الأيام» مجموعة من المتاجر الصغيرة المصمّمة بالطريقة التقليدية القديمة، (أبواب مفصلة ومصاريع وخشب منقوش)، بإيجار رمزي يقدم فيه

أصحابه بضائعهم التراثية القديمة للجمهور، في محاولة لمنح السوق طعم الأيام ورائحة التراث.

الأطفال

الأطفال بسمة الأمل وروح المكان، ووجودهم في «الأيام» يعدّ هدفاً من أهم أهدافها، كونهم الفئة التي تحتاج إلى وجود التراث في ذاكرتها بشدة وإلحاح، لذا تنوعت البرامج الموجهة للأطفال من ألعاب ترفيهية وعرض حيّ للألعاب الشعبية القديمة، وبيت الخرافات (تذكير بخرافات الجد والجدة في عرض شائق)، والمسابقات التراثية وأغاني الأطفال، فضلاً عن توزيع بعض الأعمال اليدوية المناسبة عليهم من أعلام ورايات وهدايا صغيرة أخرى، وفيها تختلط المتعة بالمعرفة والمشاهدة بالمؤانسة.

البيئات التراثية

«الأيام» ثقافة وقراءة واستمتاع وتعلم، وتعكس البيئات المختلفة من الماء حتى الرمل، بكل ما يحويه من صخور الجبل أو سعف النخيل، ذلك المعنى الجميل، وهي ليست مفارقات قدر ما هي تواصل جنيني للمجتمع الإماراتي.

«بالتراث نصون الطبيعة»

انطلقت الدورة الرابعة عشرة من الأيام التراثية العام قبل الماضي (2016) تحت شعار «بالتراث نصون الطبيعة»، وشهدت الدورة الكثير من الفعاليات التراثية المتنوعة والأنشطة الثقافية الغنية طيلة الأيام.

وحلّت جمهورية مقدونيا ضيفَ شرف «الأيام التراثية»، وجاء اختيارها بناء على ما تمتاز به من تاريخ ضارب في القدم، وإرث ثقافي عريق؛ إذ شهدت الدورة الـ14 مشاركة الفرقة الوطنية للفنون الشعبية المقدونية، التي قدمت فقرات متنوعة، اشتملت على رقصات وأغانٍ وعروض موسيقية تراثية، باستخدام الآلات الوترية والجلدية من الفولكلور المقدوني.

فنّ العرائس

كلما شاهد زوار القرية التراثية في الدورة الـ14، مجموعة من الأطفال مجتمعين، يكتنفهم الفرح والسرور، فلا بدّ أن تكون لعروض العرائس يد في ذلك؛ فالأيام التراثية تزيّنت بعروض يومية لمسرح العرائس، تولى تقديمها فنانون جاؤوا من «أم الدنيا» لتقديم المتعة والفائدة لجمهور «الأيام»، وخاصة الأطفال.

وقد حلّ ستة فنانين مصريين متخصصين في التمثيل بالعرائس، منهم مَن يمتهن تصنيعها أو تصميم شخصياتها، وكان برنامجهم يقوم على تقديم العروض المسرحية بمعدّل أربعة عروض كلّ يوم... وبالإضافة إلى ذلك، نشطت المجموعة المصرية في تقديم ورش عمل للأطفال في صناعة الدمى الصغيرة، والتدريب على استخدامها في العروض التمثيلية.

قرية الطّفل

في قرية صغيرة تتّخذ موقعاً متميزاً وسط ساحة التراث، كان مئات الأطفال يجتمعون يومياً في أيام الشارقة التراثية؛ لممارسة الألعاب والتسلية والتعلم، في الورش التدريبية، على مدى سبعة عشر يوماً، هي طيلة فترة «الأيّام»، والتي منحت أولوية كبيرة في الدورة الـ14، عبر ربطها بالتراث الإماراتي، وكذلك تعليم الأطفال كيفية صناعة بعض الحرف التقليدية، والحفاظ عليها، إضافةً إلى إشراف مدربين مختصين على هذه الورش التعليمية والتثقيفية بالدرجة الأولى.

الورش التّدريبيّة

بدأت الورش التدريبية في قرية الطفل، منذ انطلاق الدورة الـ14 لأيام الشارقة التراثية، وكانت أولاها ورشة «صناعة المداخن»؛ أي الفخّار، ومن بين الورش التي طبقت وتعلمها الأطفال: «إعادة التدوير»، «صناعة الديكوباج بأوراق النباتات الطبيعية»، «صناعة الدمى»، «تزيين أغطية الزجاج»، «صناعة التلي والشمعدان»، «الطباعة على حصالة تراثية».

«حضانة الأيّام»

ضمن أروقة الدورة الـ14، كانت «حضانة الأيام»، وهي منطقة تختص برعاية الأطفال من عمر سنة إلى أربع سنوات، تحت إشراف فريق مختص، وضمّت مجموعة من الغرف، للرضاعة والاستراحة والنوم والألعاب، والهدف منها إبراز جانب مختص بالأطفال الرضع، يتلاءم مع متطلباتهم، وتوفير الفرص للعائلات للتجول في ساحة التراث وهم مطمئنون على أطفالهم في مكان مغلق وآمن ومريح.

قرية الحرف التّراثيّة

احتوت القرية التراثية في الدورة الـ14 على مجموعة من الأروقة التي ركزت على أنشطة ثقافية تراثية، من بينها قرية الحرف ذات الأجندة البرامجية الغنية بالحرف التقليدية المتنوعة، بالإضافة إلى تشكيلة واسعة من أنواع الطبخ والفنون وغيرها من المستحضرات التراثية والتقليدية.

وتمتلك قرية الحرف عدداً من الدكاكين المعنونة بأسماء تقليدية، تدل على أصالة وتاريخ الإمارات وأهلها؛ إذ يوجد ركن مخصص لصناعة البشت، وآخر للسفافة (الخوص)، وثالث للتلي، ورابع لصبغ الثياب، وخامس للدخون والعطور والسدو، وهكذا دواليك.

ومن الأنشطة التي تضمنتها قرية الحرف: صناعة الدمى، صبغ الثياب، صناعة الفروخة، الحناء، الرحى، خياطة الأثواب، المكاحل.

والهدف من إبراز الحرف التقليدية، تعريف جيل الشباب والأطفال بعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم الشعبي، وتأكيد حضور هذه الحرف، وأهمية انتقالها وتداولها بين الأجيال، فضلاً عن تعريف زوّار الأيام التراثية وجمهورها والضيوف بالتراث الإماراتي، بأشكاله وأنواعه كافة.

«التراث مبنى ومعنى»

انطلقت الدورة الخامسة عشرة تحت رعاية وحضور صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، في منطقة التراث بقلب الشارقة، ثم امتدت وشملت مختلف مدن ومناطق الإمارة، وشملت: الذيد، البطائح، شيص، مليحة، خورفكان، كلباء، الحمرية، النحوة، وادي الحلو، دبا الحصن، وذلك وفقاً لتوجيهات سمو الحاكم، التي أكدت على أهمية حضور فعاليات «الأيام» في مدن وقرى ومناطق إمارة الشارقة.

تضمنت فعاليات الدورة الخامسة عشرة العديد من البرامج التراثية والأنشطة الثقافية، التي استحضرت جوانب ومكونات وعناصر التراث الثقافي الإماراتي، والفنون الشعبية وألعاب التقليدية، ومختلف الألوان والأنواع الموسيقية، بمشاركة 31 دولة عربية وأجنبية في فعالياتها، فضلاً عن الإمارات، والكويت، وعُمان، والبحرين، والسعودية، واليمن، ومصر، والمغرب، وتونس، والجزائر، والسودان، ولبنان، والعراق، إضافة إلى مالطا، كضيف شرف، والصين، وأستراليا، وإيطاليا، والمالديف، وجورجيا، وصربيا، وطاجيكستان، وسلوفاكيا، وباراغواي، وفرنسا، وروسيا.

240 فعالية للطفل

الاهتمام بالطفل جاء في صلب هذه الدورة الخامسة عشرة للأيام التراثية، بهدف تعريف الجيل الجديد بتراثنا العريق وبيئاته المتنوعة، ونمط عيش الأقدمين، وقد تطلب ذلك منا التركيز على الأطفال من خلال 240 فعالية خاصة بالأطفال، وهو عدد كبير مقارنة مع الدورات السابقة من الأيام التراثية، والفعاليات الموجّهة للطفل بشكل عام ضمن المهرجانات التراثية.

معرض قصائد سلطان

نظّم مقهى الأيام الثقافي ضمن فعالياته معرضاً خطياً للخطاط المبدع حسن الجبوري، تضمن 8 لوحات، هي عبارة عن قصائد: سبحان من رفع السماء، كيف السكوت لما قد نشروا، نم قرير العين، يا التاج عالراس، سلاماً، الطير طرباً يغرّد.. وغيرها.

تتّسم القصائد المنتخبة بعمق المعنى وجمال المبنى، وسلاسة الأسلوب، وصدق العاطفة الجياشة المنتصرة للأمة، والمنافحة عن مقدساتها.

«الأيام» في المدن

احتفلت مدن الشارقة ومناطقها بأيام الشارقة التراثية في دورتها الخامسة عشرة، واكتست حلّة جميلة تتناغم مع حجم الحدث الكبير. وعلى وقع الأهازيج الشعبية والرقصات التراثية والقصائد الشعرية والمشاهد الاحتفائية انطلقت الأيام التراثية في مدن الشارقة، واستقطبت لفيفاً من أبناء المجتمع الإماراتي، الذين توافدوا من كل حدب وصوب، لحضور الفعالية والمشاركة فيها، انطلاقاً من المدام، فالذيد، والبطائح، وشيص، ومليحة، وخورفكان، وكلباء، والحمرية، والنحوة، ووادي الحلو، ودبا الحصن.

المعارض التراثية

احتضنت الأيام التراثية مجموعة من المعارض التراثية المتنوعة، التي سلّطت الضوء على جوانب مختلفة من تراث الإمارات وتاريخها وثقافتها، واحتفت بأعلامها ورموزها، ومنها: معرض أقطاب التراث، الحفاظ العمراني، معرض الحصون والأبراج في الشارقة، حصاد الأيام التراثية، معرض من التراث المغربي، بمشاركة الفنانة المغربية لبنى شخمون، التي ألقت الضوء على تراث المغرب، ومعرض الرسم بالقهوة، ومعرض الأصدقاء.

وفي كل معرض من تلك المعارض تم عرض لوحات فنية ومجسمات، إضافة إلى بعض القطع التراثية المعبرة عن ملامح الحياة الاجتماعية والاقتصادية الإماراتية؛ إذ تصور أشكالاً متعددة من المفردات التراثية المرتبطة بالبيئة الإماراتية العتيقة.

البيئات التراثية تستعيد أصالة الماضي

احتفت «الأيام» بالبيئات التراثية الإماراتية الأصيلة: البيئة الجبلية والزراعية، والبدوية، التي قدّمت في مجملها لوحة تراثية زاخرة بمكنونات وألوان التراث الثقافي الإماراتي العريق. واستطاعت «الأيام» أن ترصد طبيعة كل بيئة، وما تتمتّع به من إمكانات طبيعية.

350 زائراً في ختام «الأيام»

أسدل الستار على فعاليات أيام الشارقة التراثية في نسختها الخامسة عشرة في الـ22 من إبريل، وقد أحدثت تفاعلاً كبيراً من قبل الزوار الذين تجاوز عددهم الـ350 ألف زائر من داخل الدولة وخارجها، واستقطبت جمهوراً نوعياً من مختلف الفئات والأعمار.

«بالتراث نسمو»

أسدلت الستارة على النسخة السادسة عشرة من «أيام الشارقة التراثية»، التي انطلقت في الـ8 من إبريل، واستمرت لغاية 21 منه، تحت شعار بـ«التراث نسمو»، وقد حظيت هذه الدورة بإقبال كبير وتفاعل لافت، تمثّل في عدد الزوار من داخل الدولة وخارجها، الذين بلغوا أكثر من 270 ألف شخص من داخل الدولة وخارجها، من باحثين وإعلاميين ومختصين ومهتمين بالتراث، حيث أمضوا 14 يوماً متنقلين في رحلات جميلة وشائقة بين مختلف الفعاليات في قلب الشارقة، بالإضافة إلى افتتاحات خارجية بلغ عددها 12 موقعاً في مختلف مدن ومناطق إمارة الشارقة. وجاءت النسخة السادسة عشرة تحت شعار «بالتراث نسمو»، وشارك فيها أكثر من 600 شخص من خبراء وباحثين وكتّاب وإعلاميين، من أكثر من 31 دولة من مختلف بلدان العالم، ومشاركة 18 جهة حكومية.

وقال سعادة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث رئيس اللجنة العليا المنظمة لـ«الأيام»، لقد شكلت فعاليات «الأيام» مشهداً بانورامياً مميزاً وجاذباً، ولا يمكن لزائر «الأيام» إلّا أن يعرّج على كل المواقع والأماكن والأركان والساحات، متنقلاً من موقع إلى آخر، فمن البيئات الإماراتية بكل ما فيها من تنوع وثراء، كالبيئة الجبلية والبيئة البحرية والبيئة الزراعية، إلى

قرية الحرف التراثية، إلى الساحات التي تعجّ بأداء الفرق الشعبية، ومسرح الأيام، والمقهى الثقافي، حيث المحاضرات والندوات والأمسيات الشعرية، ومجلس الخبراء التابع للجنة التراث العربي، الذي قدم الكثير من المحاضرات والندوات التي لاقت تفاعل الحضور بشكل لافت، إلى فعاليات ضيف الشرف، (جمهورية التشيك)، وفعالياتها الجميلة، والمعارض الأربعة التي تقدَّمَها معرض زايد، بالإضافة إلى معرض ماضٍ وذكريات من تراث السعودية والإمارات، ومعرض صقلية.. معالم وشواهد، ومعرض كلية الفنون الجميلة، جامعة الشارقة. وغيرها الكثير.

تفاعل كبير

وأضاف المسلّم: «منذ اليوم الأول لافتتاح (أيام الشارقة التراثية)، من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، ونحن نعيش حالة خاصة من التفاعل مع كل حدث، ومع كل خطوة في (الأيام)، وتنقلنا خلال (الأيام) في مناطق ومدن وقرى عدة في الشارقة، فكنا في ساحة التراث بقلب الشارقة، وفي المنطقتين الشرقية والوسطى، ترجمة لتوجيهات سموه في أن نكون حاضرين في مدن ومناطق الشارقة كافة، نقدم كل ما هو إضافي وجديد من عناصر ومكونات التراث، وفعاليات وأنشطة جديدة تلقى الترحيب والإعجاب والمتابعة من قبل الزوار وعشاق التراث».

أكثر من 270 ألف زائر

وأشار المسلّم إلى أنه «في كل يوم كنا نلمس تزايداً في أعداد الزوّار، ونلحظ الدهشة والتقدير والإعجاب بما يشاهدونه، حيث نحرص على تقديم ما هو جديد ويستحق المتابعة، بالإضافة إلى الاستمرار في التعريف بالتراث الإماراتي، واستقبال الضيوف من كل العالم، لتعميق وتعزيز التجارب والخبرات، وتبادل المعلومات والمعارف فيما يتعلق بكيفية صون التراث وحفظه ونقله للأجيال. حيث تجاوز عدد الزوّار 270 ألفاً من داخل الدولة وخارجها، أتيحت لهم الفرصة الكاملة كي يتعرفوا إلى التراث المحلي والعالمي بمختلف عناصره ومكوناته في مكان واحد، هو (أيام الشارقة التراثية)، الأمر الذي يثلج صدورنا، ويؤكد لنا مدى عشق الجمهور للتراث، ويشير إلى أننا نجحنا

في مهماتنا التي تتطلب دوماً المزيد من النجاحات والبناء عليها والإضافة لها، فطموحنا وجهودنا المستندة إلى توجهات ورؤى صاحب السمو حاكم الشارقة مستمرة من أجل ترجمتها على أفضل وجه، وهو ما نسعى إليه باستمرار، في ظل الحرص على تحقيق النجاح تلو النجاح». وأوضح الدكتور المسلّم أن «أيام الشارقة التراثية» تسهم في تعريف الجيل الجديد بماضي الآباء والأجداد، ومن خلال الفعاليات والأركان المتنوعة في «الأيام» يستطيع الزائر التعرف إلى حقيقة الماضي والتراث الأصيل، وطبيعة الحياة في تلك المرحلة، كما أنها بما تقدمه من فنون ورقصات شعبية تسهم في إدخال البهجة والفرح والسرور إلى كل من يتابع ويشاهد ويستمع لتلك الأنماط الفنية الجميلة، وفي الوقت نفسه تعرّف الجيل الجديد بالفنون الشعبية والفولكلور الشعبي الجميل المملوء بالموسيقى العذبة واللحن الجميل والكلمات المعبرة.

28 لجنة

أكد رؤساء اللجان المشاركة في تنظيم فعاليات «أيام الشارقة التراثية» الـ16، أهمية ومكانة «الأيام» ومدى الإقبال الجماهيري على الفعاليات التي لاقت تفاعلاً حيوياً كبيراً من زوار وعشاق التراث. وتفصيلاً، قال المهندس بدر الشحي، المنسق العام لـ«أيام الشارقة التراثية»، «إن (الأيام) في نسخة العام لاقت إقبالاً كبيراً من الزوار، كما هي الحال في كل عام، وقد شكلت (الأيام) كما هي الحال باستمرار دعوة مفتوحة لعشاق التراث والزوّار عموماً، من أجل زيارة المكان والتعرف إلى ما فيه من أنشطة وبرامج غنية وجاذبة». ولفت الشحي إلى أن 28 لجنة من المعهد قامت بمتابعة مختلف البرامج والأنشطة والفعاليات طوال «أيام الشارقة التراثية»، وبمشاركة 120 متطوعاً من ساند وفخر الإمارات، نفذوا مهام على أكمل وجه، وبدوري هنا أتوجه بالشكر إلى كل من أسهم في إنجاح هذه النسخة من «أيام الشارقة التراثية». ومن جانبها، قالت عائشة غابش، نائب المنسق العام لـ«أيام الشارقة التراثية»، كان الحضور والإقبال على مختلف فعاليات «أيام الشارقة التراثية»، لافتاً وكبيراً، كما

أن كل المشاركين من داخل الدولة وخارجها، كان لديهم العديد من الأنشطة والبرامج والفعاليات التي حظيت بإعجاب ومتابعة الكبار والصغار، بما يسهم في غرس وترسيخ التراث بمختلف مكوناته وعناصره وأنماطه في أذهان الجميع. وتابعت: من بين ما يمكن الإشارة إليه من جديد «الأيام» التي نودعها بكل الشوق والفرح، وننتظر إبريل العام المقبل لنستقبل نسخة جديدة منها.

بركة التراث

مبادرة تهدف إلى العمل على إدماج كبار السن مع المجتمع، كي لا ننساهم، وذلك من خلال حضورهم في الفعاليات الثقافية والتراثية، ومختلف الأنشطة التي تنظمها وتنفذها إمارة الشارقة، وهي دعوة دائمة ومفتوحة لكبار السن الذين يعملون في منازلهم ببعض الحرف، كي يمارسوا تلك الحرف أمام الجمهور في «أيام الشارقة التراثية»، وشكلت محطة جذب طوال «أيام الشارقة التراثية»، فالزائر لـ«أيام الشارقة التراثية» في قلب الشارقة، عرّج بالضرورة على مقر مبادرة بركة التراث، التي تحتل موقعاً استراتيجياً في قلب «الأيام»، فهي عبارة عن معرض لكبار السن من الإماراتيين، يتم فيه عرض الحرف اليدوية لديهم، وتفاعلهم وتواصلهم مع الجمهور وزوار «الأيام». وبدوره قال صقر محمد، رئيس لجنة الافتتاحات الخارجية في «أيام الشارقة التراثية»، خلال النسخة السادسة عشرة من «أيام الشارقة التراثية»، وصلنا إلى مختلف مدن ومناطق إمارة الشارقة، حيث تم افتتاح «الأيام» في 12 منطقة، شملت كلاً من الذيد والمدام ومليحة والحمرية والبطائح وخورفكان وكلباء ووادي الحلو وشيص والنحوة ودبا الحصن، بالإضافة إلى قلب الشارقة. وتابع: جاءت فكرة افتتاح فعاليات أيام الشارقة التراثية في مدن ومناطق الشارقة، وفقاً لتوجيهات صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حيث غطينا مع هذا العام كل المناطق والمدن الرئيسة في الإمارة، ووصلنا إلى السكان في مناطقهم، وقد عبر السكان هناك عن مدى رغبتهم ومحبتهم لهذا العرس التراثي الكبير، وكان تفاعلهم وحضورهم كبيراً جداً ومميزاً، يعكس مدى عمق تمسكهم بتراثنا الغني والعريق، ورغبتهم في المشاركة والتطوع، والفرحة الكبيرة بـ«الأيام» وفعالياتها، الأمر الذي يسهم في المزيد من التحفيز لدينا في أن نقدم لهم وبالتعاون معهم أفضل ما يمكن.

الحرف التراثية

وقالت خلود الهاجري، رئيسة لجنة الحرف في «أيام الشارقة التراثية» نحن سعداء بمشاركة أكثر من 40 سيدة في الحرف المنتجة، وتنفيذ أكثر من 25 ورشة متنوعة على مدار 14 يوماً، حظيت بتفاعل لافت من الزوّار، هذا إلى جانب 19 ورشة في البيئات

المشاركة بأنواعها. من جانبها أعربت خولة الغفلي، رئيسة لجنة الأسواق، عن سعادتها بالإقبال الجماهيري على الاسواق التي شارك فيها نحو 120 مشاركاً، تنوّعت مشاركاتهم ما بين مأكولات شعبية ومشغولات يدوية ومنتجات أخرى، ففي كل عام تحظى الأسواق بإقبال كبير من الزوّار، خاصة في عطلة نهاية كل أسبوع.

معارض تراثية

ذكريات معتوق، رئيسة لجنة المعارض، أوضحت أنه وللعام السادس على التوالي، تلاقي المعارض إعجاباً واستحساناً من قبل الجمهور، فمنذ أن بدأت فكرة المعارض نشهد في كل عام طلباً متزايداً على المشاركة، وإقبالاً متزايداً على نوعية المعارض التي نختارها في كل عام، ففي مثل هذا العام حظي معرض زايد بإقبال كبير من الزوار، وهو متماش مع «عام زايد»، الذي أطلقته الحكومة الرشيدة لإبراز دور المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، في تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ووضع وترسيخ أسس نهضتها الحديثة، وإنجازاتها على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، فضلاً عن تقدير شخصه، رحمه الله، وما جسده من مبادئ وقيم مثلت ولا تزال الأساس الصلب الذي نهضت عليه دولة الإمارات العربية المتحدة، وما يكنّه له شعبه من حب وولاء، وتخليد شخصية الشيخ زايد ومبادئه وقيمه عالمياً كمثال لشخصية من أعظم الشخصيات القيادية في العالم، ومن أكثرها إلهاماً في صبره وحكمته ورؤيته، وتعزيز مكانة المغفور له الشيخ زايد، بوصفه رمزاً للوطنية وحب الوطن، وتخليد إرث الشيخ زايد عبر مشروعات ومبادرات مستقبلية، تتوافق مع رؤيته وقيمه.

560 مشاركاً في العروض الفولكلورية

قال أزهر كبة، رئيس اللجنة الفنية وحفل الافتتاح في «أيام الشارقة التراثية»، إن الفنون والرقصات الشعبية حاضرة في «أيام الشارقة التراثية» دوماً، فهي تشكل واحدة من أهم محطات الجذب للزوار الذين يتنقلون من موقع إلى آخر، يلتقطون الصور والفيديوهات التي تسجل لهم اللحظة، وتسجل لهم تلك الرقصات والحركات والأصوات، والموسيقى العذبة التي تطرب كل من يسمعها. وأوضح أنه تمت استضافة 15 فرقة عالمية، و6 فرق محلية، حيث بلغ عدد المشاركين 560، طوال «أيام الشارقة التراثية» في نسختها السادسة عشرة، وأشار إلى أن الفنون الشعبية هي مكون رئيس من مكونات الحالة الثقافية للمجتمع، وتعكس جوهر الفولكلور الشعبي، وتمنحه تمايزاً خاصاً، وتفاعلاً حيوياً مع ما يماثله لدى الشعوب والثقافات الأخرى.

المركز الأكاديمي

قال د. محمد عبدالحافظ، رئيس لجنة التعليم والتدريب، حرصنا على مشاركة برنامج الدبلومات المهنية في «أيام الشارقة التراثية» للمرة الثانية على التوالي، من خلال تشكيلة من الأنشطة الأكاديمية، استضفنا خلالها عدداً من المحاضرين والأكاديميين والمختصين في عالم التراث، بمختلف

جوانبه ومجالاته، ليقدموا إسهاماتهم في التراث، ويعرضوا بعض ملامح تجاربهم وخبراتهم في التراث، كما كانت تلك الأنشطة الأكاديمية محطة للتعريف ببرامج الدبلومات المهنية الستة التي طرحها معهد الشارقة للتراث منذ مطلع العام الدراسي الجاري، حيث تسهم هذه الدبلومات في إعداد كوادر متخصصة من المدربين والمتعلمين، وتأهليهم للوظائف ذات الصلة بمهنة أو حرفة أو نشاط تطبيقي، أو مهام ذات طبيعة ميدانية في مجال التراث الثقافي. وقدمنا خلال «أيام الشارقة التراثية» 9 لقاءات تضمنت محاضرات وندوات مميزة.

أكثر من 30 محاضرة وأمسية شعرية

قال د. مني بونعامة، رئيس اللجنة الثقافية، استضاف مقهى الأيام الثقافي هذا العام أكثر من 30 ندوة ومحاضرة وأمسية شعرية، ناقش خلالها المتحدثون حزمة من الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية المهمة، التي تدخل في صميم شعار «الأيام»

«بالتراث نسمو»، وأسهموا في إثراء فعاليات المقهى. كما جرى توقيع 7 إصدارات جديدة تضاف إلى المكتبة العربية المتخصصة بعالم التراث.

«الأيام» في المدن

احتفلت مدن الشارقة ومناطقها بـ«أيام الشارقة التراثية» في دورتها السادسة عشرة، واكتست حلّة جميلة تتناغم مع حجم الحدث الكبير. وعلى وقع الأهازيج الشعبية والرقصات التراثية والقصائد الشعرية والمشاهد الاحتفائية، انطلقت «الأيام التراثية» في مدن الشارقة، واستقطبت لفيفاً من أبناء المجتمع الإماراتي، الذين توافدوا من كل حدب وصوب لحضور الفعالية والمشاركة فيها، انطلاقاً من دبا الحصن، كلباء، الذيد، المدام، مليحة، البطائح، الحمرية، وادي الحلو، خورفكان، شيص، النحوة.

علي بن رحمة الشامسي

عتيج القبيسي
شاعر وباحث تراثي
ateequbaisi@gmail.com

أقام معهد الشارقة للتراث فعالية ثقافيّة في ذكرى وفاته التي تصادف 31 يناير من كل عام، حيث إنّه فارق هذه الدنيا التي ملأها شعراً وحبّاً وإبداعاً في التاريخ نفسه من عام 2006، وبرحيلة فَقَدنا واحداً من أهم الأعمدة التي تستند إليها ساحة الشعر الشعبي ليس في الإمارات فحسب، بل في منطقة الخليج قاطبة، دون مبالغة، فقد كان، رحمهُ الله، من أكبر المشجّعين والداعمين للشعراء الشباب، يقدم لهم المساعدة، وينمّي مواهبهم بالتشجيع وحسن الاستماع، وإبداء الرأي والملاحظات البنّاءة في أعمالهم، وتقديم النصح والمشورة بشكل ودّي وتواضع وحكمة، ولا يبخل عليهم بما يختزن لديه من خبرة وتجارب، بل كان يتساجل معهم شعراً، ما يرفع من معنوياتهم ويحسّن أداءهم. كان للشاعر، رحمة الله عليه، مجلس يجتمع فيه مختلف أجيال الشعر الشعبي من روّاد ومبتدئين، وكان «مجلس الربيع» وهو اسم مجلسه، عامراً بالأدب والأدباء كباراً كانوا أو صغاراً، تدور فيه الأحاديث الأدبيّة، وتلقى القصائد والحكايات، وتُتبادل الآراء والملاحظات، وينتقل العلم من الكبير إلى الصغير بأسلوب ودّي محبّب، فكان بمثابة مدرسةٍ تخرّج فيها الكثير من الشعراء والأدباء الشعبيين.

وُلِدَ شاعرنا علي بن رحمة الشامسي في منطقة الحمرية، التابعة لإمارة الشارقة، في العقد الأوّل من القرن العشرين، أما بالنسبة إلى تعليمه فهو لم يحصل على تعليم نظامي، بل تعلّم قراءة القرآن على يد مطوّع يدعى سالم بن سعيد المزروعي، وأتقن القراءة والكتابة أيضاً، واستمدّ ثقافته من مدرسة الحياة التي دائماً ما تأخذ مقابل العطاء، وهو من أسرة متوسطة متدينة محافظة، تعتاش على البحر، وما يجود به من خيرات.

وعاصر جيلاً ذهبياً من الشعراء المخضرمين، أمثال: راشد الخضر، سالم الجمري، محمد بن سوقات، حمد خليفة بوشهاب، وكثير غيرهم ممن لا يتسع المجال لحصرهم، وله العديد من القصائد التي تغنّى بها المطربون، جميعها نالت استحسان المستمع وبلغت من الشهرة أعاليها، ومن هذه القصائد قصيدة «غناتي» التي تغنّى بها الفنان ميحد حمد، يقول فيها الشاعر:

أحبّك يا نظر عيني غناتي — واحب الأرض لي تمشي عليها
واحبّك انته اكثر من حياتي — واسوم الروح لجلك واشتريها
ويوم اذكِرك وانا في صلاتي — يداخلني الفِكِر واشك فيها
ويوم اذكِرك في حزّة مقاتي — أترك وجبتي لو أشتهيها
معي ذكراك له ذوق وحلاةِ — دوا لِفواد والروح اِيحَيِّيها
أداوي به جروحٍ مخفياتي — فلا غيرك طبيبٍ يعتنيها
ولو يا زين تعرف واجباتي — دروب الحق تاخذ وِتْعَطِيها
فلو تِنحَل بعض المشكلاتِ — انا دعواي حاكمها وليها
عليه الحق بشهود وثباتِ — لكن اشهودها منها وفيها
ولولا الخوف وادرا العاجباتِ — واخاف الناس يِكثَر بي حكيها
لَطَبِّعها بعاصوف الشراتي — واخلّي مويها يطمي عليها
واخلّي يكون لي في الكاينات — تقول النّاس هذا مِدّعيها

«حَيّ بشرتا الهبايب»

علي العَبْدان
شاعر وتشكيلي وباحث تراثي
الإمارات
abdanart@gmail.com

قصيدة «حَيّ بشرتا الهبايب»، هي قصيدة للمغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، باني الاتحاد، يرد بها على قصيدة مشاكاة، لمعالي الدكتور مانع بن سعيد العتيبة، وهذه القصيدة «حَيّ بشرتا الهبايب» قصيدةٌ عذبة المفردات، جميلة الصور والوصف، مع حضور الشجن والحنين في المعاني، وجرْس الألفاظ، تخاطب النفس بكل لطافة دون تكلف، وهذه السّمات هي خصائص عامة في شعر الشيخ زايد، طيّب الله ثراه، كما في قصيدته «يا خفيف الروح كيف انتو.. يا شفا قلبي من اعواقه»، وكما في قصيدته «يعل نوٍّ بانت امزونه.. يسقي الظفره ويروّيها» وغيرهما من قصائد القائد المؤسس، رحمه الله وطيّب ثراه، وكان الفنان الإماراتي علي بالروغة، قد لحّن وغنّى قصيدة «حَيّ بشرتا الهبايب» التي هي موضوع هذه المقالة.

القصيدة:

حَيّ بشرتا الهبايب .. لي مرّت بالحبيب
لي من جداهم لايب .. ينعش قلب الصويب
وإليهْ أنا مب طايب .. إلا بقرب الحبيب
ترف اطرافه لبايب .. وجسمِه شرات الحِيب
ترحيباته وثايب .. ويبشّ لي بترحيب
له في حشايه وايب .. قصرٍ بني بالطيب
شروى المها لي هايب .. ذايـر من النصيب
ورموشٍ له حرايب .. ينهب ابهن نهيب
وطرفٍ كحيل وذايب .. يدعي العاجل سليب
بفزع أنا وباوايب .. للي صوته صليب
وباقوم له بالواجب .. في اللي يبا وباثيب
ما بحاتي الحسايب .. في البذل والتخبيب
وْباردّ له الطلايب .. بالشور والترتيب
دكتور وبه غرايب .. يشكو حرّة لهيب
غث انسه والطرايب .. خوزة من له حبيب
وعاف اهله والقرايب .. لاجله وآزم غريب
دمع عيونه سكايب .. من مقلاته صبيب
ما فادوه الطبايب .. ولا عزّاه الجريب

وزنُ هذه القصيدة: «مستفعلْ فاعلاتن.. مستفعلْ فاعلات»، وأبياتها تدل على هذا؛ كما في المطلع:

حَيّ بشرتا الهبايب .. لي مرّت بالحبيب
= / 0/ 0/ 0 / 0/ / 0/ 0 .. / 0/ 0/ 0 / 0/ / 00

فتقطيعه:

حَيْ بِيْبـ شَرْ = مستفعلْ، تَ لْهبايِبْ = فاعلاتن، لِيْ مَرْ رَتْ = مستفعلْ، بلْحبيبْ = فاعلاتْ.

وهذا الوزن من جملة أوزان «الونّة» التي يتميّز بها الشعرُ الشعبي في الإمارات، حيث كان يكثر في قصائد شعرائها القُدامَى، وهو وزنٌ خفيفٌ لكثرة أسبابهِ وقلة أوتاده، كما هو ظاهرٌ من تفعيلاته؛ ولذلك فهو مناسبٌ للمعاني اللطيفة والألفاظ الرقيقة، وللتلحين والغناء بصورةٍ ظاهرة من وجهة نظري، وقد ازداد هذا الوزن جمالاً ولطافةً بالصور والمعاني الواردة في قصيدة «حَيّ بشرتا الهبايب»؛ كقول الشيخ زايد مثلاً:

وطرفٍ كحيل وذايب .. يدعي العاجل سليب

كما ازداد هذا الوزنُ رنيناً وحُسناً في جرْس وصفات الألفاظ الواردة في القصيدة كما في قوله، طيّب الله ثراه:

ورموشٍ له حرايب .. ينهب ابهن نهيب

الأغنية:

قام الفنان الإماراتي علي بالرّوغة بتلحين هذه القصيدة وتسجيلها بغنائهِ وعزفِهِ، وهو الفنان علي بن عبدالله بن روغة الزعابي، أحد روّاد الغناء الشعبي في الإمارات، وُلد في الجزيرة الحمراء؛ جزيرة الزعاب في إمارة رأس الخيمة عام 1940، وقد تأثر بالفنان الرائد حارب حسن الزعابي، الذي انتشرت أسطواناته في الإمارات في الخمسينيات، فصادف هذا النشاط الفني رغبة في نفس علي بالرّوغة، فأخذ في تعلم العزف على العود مع الغناء.

ويُعَدّ الفنان علي بالروغة أحدَ أشهر فناني الطرب الشعبي في الإمارات والخليج، وهو أحدُ رُوّاد هذا الفن النجوم في الإمارات، وقد استمر في التلحين والغناء والتسجيل منذ أواسط الستينيات إلى حين اعتزاله الفنَّ عام 1987؛ مُكمِلاً خلالَ هذه المُدَّة الطريقَ الذي بدأهُ الفنان حارب حسن في استلهام سِماتِ الإنشاد والتغنّي في الفنون الشعبية الإماراتية، كالسجع والونّة والآهلّة؛ ومزجها بالطرَب المُحترَف.

لحّن الفنان علي بالروغة هذه الأغنية من جنس البياتي على النوا؛ أي بياتي على نغمة «صول الوسطى»، ويقعُ اللحنُ في جملةٍ موسيقيةٍ رئيسةٍ واحدة «Motive»؛ تتكوّن بدورها من عبارتيْن موسيقيّتيْن تُمثلان سؤالاً وجواباً يُشكلان بنية اللحن، بالإضافة إلى الإيقاع الذي هو إيقاع بستة خليجية سريع ومُزيَّن ببعض الزخارف، ونجد أن العبارة الموسيقية الأولى التي تستغرق الشطر الأول من كل بيت، تنتهي بقرارٍ مؤقت على نغمة «دو الجواب» التي هي رابعة جنس البياتي على نغمة «صول الوسطى»، بينما تنتهي العبارة الموسيقية الثانية التي تستغرق الشطر الثاني من كل بيت بقرارٍ مؤقتٍ على نغمة «صول الوسطى» التي هي نغمة قرار جنس البياتي إذا جاء على نغمة «صول الوسطى»، وهذا هو الفارق الأهم بين العبارتين في هذا اللحن؛ لأن نهاية العبارة الأولى تعملُ كتمهيدٍ للعبارة الثانية، حيث إن نهاية الأولى هي رابعة جنس اللحن؛ ونهاية الثانية هي أولى جنس اللحن، فكأن الأولى سؤالٌ؛ لأنها تنتهي بنغمةٍ أعلى نسبياً من الثانية التي تُمثلُ الجوابَ عبرَ انتهائها بنغمة القرار، أما بقية العمل في مجرى اللحن في العبارتين فمتشابه، وأعلى نغمة يصل إليها اللحن هي نغمة «ري الجواب» في لحن الشطر الأول من كل بيت؛ أي في العبارة الموسيقية الأولى من الجملة الموسيقية الرئيسة، والقصد من علوّ النغمة هنا الإيغال في التعبير النغمي عن العاطفة، ومن كل ما سبق نجد أن هذا اللحن لا يتعدى النغمات الآتية في منطقة الجوابات غالباً: «صول، لا، سي، دو، ري»، وعلى هذا النحو من التلحين كان معظمُ الغناء الإماراتي خاصة، والخليجي عامة، في الماضي.

الآلات الموسيقية الشعبية

علي العشر
خبير تراث فني

الآلات الموسيقية الشعبية المستخدمة في فنون الإمارات التراثية هي تراث في حدّ ذاتها؛ لأن صناعتها تمثل حِرفةً شعبية، ومن أجل ذلك كانت معرفتها مهمة بالنسبة إلى المهتمين بالفنون الشعبية والموسيقى التقليدية، وسنستعرض فيما يلي أنواعها، وطرق صناعتها، وكيفية استخدامها.

طبل الراس:

هو عبارة عن قطعة خشب مجوفة مقطوعة من شجر الساي أو السيسم، ومفتوحة من جهتين، ويجلب هذا الخشب من الهند والنيبار، ومن بعض المناطق الإفريقية، أما الآن فيُصنع طبل الراس من الخشب العادي أو الفيبر أو البلاستيك المقوى.

يُكسى هذا الطبل بقطعتين من جلد العجل أو الثور؛ الأولى من جلد الظهر، وهي الجهة التي تُسمى جهة الراس، والثانية من جلد البطن أو الخاصرة؛ حيث إنها أنعمُ وأخف سماكة من الأولى، وهذه الجهة تُسمى جهة الشمالين، وتثبت هاتان القطعتان على طبل الراس عن طريق الخياطة بإبرة كبيرة وخيط من القطن، ثم يتم عمل ثقوب ثمانية من جهة الراس، وسبعة من جهة الشمالي، وتسمى هذه العملية بـ«الرقام» أو «الجسي»، وبعد ذلك يُدخل الحبل في هذه الثقوب، ومن أنواع الحبال المستخدمة في هذه العملية حبل «البريو» أو حبال الليف أو حبال القطن، ولكن غالباً ما يكون «البريو»؛ حيث إنه قوي وسلس في الاستخدام، ولا يرجع أثناء اللقط، وفي البداية يُدخل طرف الحبل، ثم يُربط بطريقة قوية جداً؛ ويُعقد عقدة لا يعرفها إلا صانع الطبل، وتسمى «العظية»، ومن ثم يُشد الحبل ويُدخل في هذه الثقوب من الشمالي إلى الراس وبالعكس، حتى تغطى كل ثقوب الطبل، وتُسمى هذه العملية «الميارة»، ومن ثم يُعلق الطبل في مكان جاف لمدة تراوح بين أسبوع وعشرة أيام حتى يجف تماماً. وبعد أن يجف الطبل، ونتأكد من زوال الرطوبة منه، يُشد الحبل ويُجرّ بقطعة من الخشب القوي أو عرق من بعض أغصان الأشجار، وفي هذه العملية لابد من توافر الدقة في سحب الحبل من طرف لآخر، حتى يتساوى ركوب قطعتي الجلد على الطبل من الجهتين؛ ويستوي الحبل ويلزم الطبل مضبوطاً ضبطاً تاماً، وتسمى هذه العملية بـ«اللقاط» أو «الميارة»، وتُكرر هذه العملية ثلاث مرات، بواقع مرة في كل أسبوع.

ثم تأتي العملية الأخيرة، حيث يُسحب الحبل من طرف «العظية» حتى نصف الطبل، ويربط بربطةٍ صغيرة، ثم يُمرّر على نفسه بملاقاة طرفين منه؛ واحد من طرف الراس، والثاني من طرف الشمالي، ويُسمى هذان الطرفان «الدقالة»، وأحدهما «دقل»، ويُشدان شداً قوياً حتى يلتصق الأول بالثاني، وتستمر هذه العملية حتى تنتهي «الدقالة» ويظل «الدقل» الأخير وحده؛ فيُساوى مع الاثنين الأخيرين، ثم يُلف الحبل الزائد لفةً أو لفتين على الطبل من فوق كل «الدقالة»، ثم يُربط ربطةً قوية؛ ولكن سهلة النقض، وتُسمى هذه العملية بـ«التشبيح»، وبهذا يكون طبل الراس جاهزاً للاستعمال.

والطريقة سالفة الذكر تُستخدم لكل أنواع الطبول حتى مع اختلاف نوعية الخشب والجلد والحبال، وهي: الراس – التخامير – طبل لاعوب بحريني – طبل تخميره بحريني – الجبوة – الجاسر – الرحماني – المرواس، أما بعض الطبول الأخرى مثل طبل فن «الليوا»، ويُسمى «الشيندو» وطبل فن «الإمديمة» ويُسمى «المسيندو» وطبول فن «النوبان»، فهي تختلف في طريقة تثبيت الجلد عليها، حيث يُثبت عن طريق وضع قطع صغيرة من الخشب تُسمى هذه بالمفاتيح أو الأصابع، ويُسمى الواحد منها مفتاحاً أو «صبع»، كما تختلف هذه الطبول أيضاً في عملية «الرقام»؛ حيث إنها تُغطى من جهة واحدة فقط، أما طبل «الكاسر» في فن عيّالة العين فطريقة صنعه تختلف تماماً، حيث إنه أصغر من جميع الطبول المذكورة، ويكون دائري الشكل، مثل «السْماع» أو «الطار»، ولكنه يُغطى من الطرفين، ويُثبت في وسطه مقبض صغير يُحمل به.

السْماع أو الطار:

وهو عبارة عن طوق أو إطار من الخشب ذي شكل دائري، ويُغطى أحد وجهيه بجلد الماعز، وذلك عن طريق الخياطة بإبرة متوسطة الحجم مع خيطٍ من القطن، وتُسمى هذه الطريقة بـ«الرقام» أو «رقام الطار»، وينقسم نوع الجلد المستخدم إلى نوعين: النوع الأول عادي، ويتسم بشيءٍ من الغلاظة، ويُسمى الدف، أما الثاني فيكون خفيفاً ورقيقاً، ويُسمى الصاقول.

الطوَس:

هي عبارة عن قطعتين من النحاس مستديرتين مثل القرص؛ يوضع في وسط كل واحدة منهما خيط من القطن، حتى يتمكن العازف من الإمساك بهما وضربهما على بعض، فيصدر منهما صوت مثل رنين الجرس، وغالباً ما تستخدم هذه الطوس في فن العيّالة.

الصرناي، ويُسمى كذلك السرناي، أو المزمار:

هي آلة نفخ مصنوعة من خشب الصنوبر، أو من شجر جوز الهند أو من خشب الساي؛ أسطوانية الشكل، تنتهي بقمع مخروطي، وعليها ستة ثقوب، وطولها يراوح بين قدم ونصف القدم إلى قدمين.

وتفصيلاً تتكوّن آلة الصرناي من أجزاء رئيسة متساوية في الطول، هي: «التاكو» أو القاعدة الشبيهة بالقمع، ثم «الدقل» وهو الجزء الأوسط من المزمار، ثم «المنارة» وفيها «الفطيّة» التي ينفخ فيها العازف، وهي خوصة من خوص النخيل، مهمتها إصدار صوت جميل ومميز أثناء عملية النفخ، ويمكن أيضاً أن يكون كل جزء من هذه الأجزاء مصنوعاً من نوع مختلف من الأخشاب، أو مادةٍ أخرى غيره، ويُصنع المزمار في الإمارات، وأحياناً يُستورد من سلطنة عمان أو من البحرين، هذا ويُستخدم المزمار في فنون «الليوا»، و«المديمة»، وغيرها من الفنون الشعبية.

البيب:

هو عبارة عن علبة معدنية متوسطة الحجم؛ تستخدم في فن «الليوا»؛ حيث يضعها العازف أمامه وهو جالس على الأرض، ويضرب عليها بعُصَيّتيْن من جريد النخل تُسميان «المِداقّ»، فيصدرُ صوتٌ جميلٌ وحادٌّ، يرافق إيقاع بقية الآلات ذات الأصوات الغليظة في هذا الفن.

الهبان أو الجربة/ القِربة:

هي قِربة تؤخذ من جلد الماعز، ويوضع في فوهتها مزمار ذو فتحتين، يُسمى «الجفت»، وطريقة العزف عليها تكون عبر نفخها بالهواء بوساطة الفم حتى تمتلئ، ثم يضغط العازف عليها بمرفقه ليندفع الهواء فيها إلى الفوهة التي بها المزمار؛ فيصدر بذلك صوتٌ جميل، ويمكن للعازف تغيير النغمات من خلال ثقوبٍ عدة في هذا المزمار، ومن الأنواع المشهورة لهذه الآلة القِربة الأسكتلندية التي تستخدم في الموسيقى العسكرية، وقد أدخلت منذ مدة في الفن الشعبي المسمى بفن «المديمة».

الطنبورة:

هي آلةٌ وترية لها صندوقٌ صوتيّ خشبي مجوف ومغطى بالجلد؛ يُسمى «المنجب»، ويتصل به عمودان جانبيان ينفرجان نحو الخارج، ويعترض على طرفيهما بشكلٍ أفقي قضيب مستقيم عليه ستة أوتار مصنوعة من أمعاء الحيوانات بعد تجفيفها، وهذه الأوتار تعتلي جسراً خشبياً تُشد عليه، وتُضبط بوساطة لفّات مشدودة تُصنع من القماش المَجدول، وتسمى هذه العملية «الدوزان»، ويُعزف على الطنبورة بوساطة رأس قرن ثور.

تُستخدم هذه الآلة في فن النوبان، ويقال إن أصلها من بلاد النوبة، ومن هنا جاء اسم هذا الفن، وقد استخدمتها في النوبة قبائل «البجّة»، ومنها انتقلت إلى مناطق البحر الأحمر، ثم اليمن وعمان؛ فسواحل الخليج العربي وصولاً إلى البصرة، وهي تشبه آلةً منتشرةً في بلدان البحر الأحمر تُسمى «السمسميّة»؛ لكن هذه الأخيرة أصغر حجماً.

قصيدة «أتنفسك» للشاعرة شيخة الجابري
تدفق شعري وفكري

محمد عبدالله نور الدين
كاتب وناقد ـ الإمارات

قصيدة التفعيلة عالم شعري فضفاض؛ فمن ناحية تتيح للشاعر التنقل من حالةٍ نفسية إلى أخرى بكل سهولة، ومن ناحيةٍ أخرى تحافظ على الموسيقى الشعرية التي اعتادها المتلقي في القصائد العمودية، ولكن هذه الموسيقى قد تكون أكثر حساسية من الشعر العمودي، كون الأشطر حينما تطول أو تقصر تأخذ من الشاعر والمتلقي تدفقاً مختلفاً من التنفس لإكمالها، ما يؤدي إلى عيش حالة متغيرة خلال القصيدة، وتُبعد بعضاً من رتابة الأبيات المتساوية، ومن ناحية أخرى فإن موضوع قصائد التفعيلة قد يكون من الصعب الإحاطة به؛ لأن أغلب هذه القصائد ترتكز فنياً على الإدهاش والتصوير، ما يجعل اشتغال الشاعر على النص حاجزاً أمام الاسترسال والتصريح المباشر، أو التحدث بصراحة عن موضوع القصيدة.

وفي قصيدة «أتنفسك» للشاعرة شيخة الجابري، التي تنتمي إلى هذا الاتجاه، نجد التدفق الشعوري والوزني والفكري يمضي في سياق تعبيري عما تفصح الشاعرة أو تخبئه؛ فنجدها تبدأ بالعالم الخارجي، وهي تمشي على شاطئ البحر، وتجد في حركة البحر وحركتها تحريكاً لما تحاول أن تخبئ من مشاعر، فتخرج القصيدة من أنفاسها رغماً عنها[1]:

أتنفسك مثل البحر يغزل سواليفه
عنا
وأطرافه بمشاي
أتنفسك
والنهر من دمعي يبس
وتناثر بأرجاي
جفت سواقيه وترامى واستباح بكاي

تشير الشاعرة هنا إلى الماضي الذي أصبح من الذكريات في «النهر من دمعي يبس»، وهي تقنية جديدة لم نعهدها في الشعر الشعبي؛ حيث تعكس شيخة «الإسقاط» الذي عادة ما يفتعله الشاعر بإسقاط مشاعره على الطبيعة المحيطة به إلى تغيير الطبيعة عكس مشاعرها، كأن الطبيعة هي المؤثرة في الشاعرة، وتسقط فعلها في تناقضية مستمرة من «والنهر من دمعي يبس» إلى «جفت سواقيه وترامى واستباح بكاي»، وهذا يجعلنا أمام طريقة جديدة في التعبير[2]:

والليل عوّدني الظما
شفني على طيفه سهر
أتعب وألم خطاي
همي مثل عتمة ضيا....
مثل الألم
مثل الشقا
مثل الشتا
مثل الضياع اللي لبس وقت الحزن بلواي

تتجه الشاعرة بعد أن تأثرت بالعالم الخارجي إلى عملية تحريك جديدة لحواسها، ولكن بصورة تراسلية، حيث تأخذ حاسةٌ خاصية حاسةٍ أخرى، كالليل الذي يحس بالرؤية حينما يحس بالذوق في «والليل عوّدني الظما»، أو بصورة عكسية حين يفقد الضياء نوره في «همّي مثل عتمة ضيا»، وحالة فوضى الحواس هذه نتيجة منطقية لتأثر العواطف، وعدم استقرارها في نفس الشاعر، وهي حالة من إعادة ترتيب المشاعر التي جرحت بفعل الفقد أو الفراق[3]:

أتنفسك
وأضم صوتي في دموعي
وألتمس شكواي
يا ضحكة العمر المسافر
وال
ال
ال
المدامع ناي
يا ذا الجمر
يا ذا العطر
ياذا الوجع
ياذا الولع
يا الرايح اللا جاي

إنها المشاعر حينما تضم أحداً من الصعب أن ترضى بفقده؛ لأن الفقد يمزّق المشاعر، ويبقى الأثر دائماً مؤثراً في الإنسان، لدرجة أنك تبقى على أمل رجوع الفقيد، على الرغم من علمك أن ذلك من الاستحالة؛ لذا نجد الشاعرة تصرخ بمهجة حرّى «يا الرايح اللا جاي»، وتهطل بالبكاء شوقاً لاستعادة الماضي[4]:

شفني غمامة شوق
من طرف الحكايا
تبتسم لك ثوبٍ مزرّاي
عذبه مثل همس الفرح
يمكن شرات الماي

«يمكن» أن يكون الماء الوسيلة الوحيدة الباقية لبثّ الحياة مرة أخرى وغسل الحزن؛ لذا نجد الشجر ينبت في المقطع التالي إيذاناً بالحياة الجديدة التي تسقيها الشاعرة بالدموع، وتتنفسها بالحزن، وترتوي منها بالعطش، وكل هذه التناقضات ظلال لأيام هنيئة مرت، ولن تعود، ولكن الشاعرة تحييها مرة أخرى في القصيدة[5]:

وأتنفسك
قل لي أنا
هذا الجفا إلى متى
يا كل حنايا..... ياي
إلى متى وأنا ألمّح للشجر
يا ذا الشجر
ولّم عذوقك واحتفل
واشرب ثمر
رجواي
ولا....
لا تلوّح يا عطش
يكفي سجن رمضاي
واحذر
تصحّيني ألم
خل الحزن جوّاااااااااي!

كأن الحزن يجب أن يبقى مختبئاً، فلا يظهر إلى الواجهة لتأخذ الحياة بريقها وتستمر، وهذا ما تؤكده الشاعرة في «خل الحزن جوّاي»؛ لأنها تريد أن تعيش حالة الفقد وهي قوية، وتستحضر الغائب وهو غير موجود، وتعيش معه في عالم ترسمه في القصيدة وخارجها، ونلاحظ كيف حاولت بطريقة كتابة «جوّاااااي»، الإشارة إلى أعماقها اللامتناهية، وتغيّر طريقة الكتابة، ما هي إلا تمرّد على أصول الكتابة، وبدأت في المدرسة الواقعية التي رأى شعراؤها أن لهم حق التصرف بالنص بما يخدم رؤاهم وأهدافهم في القصيدة[6]:

وخل الحمام اللي شهق
يغزل غناويه
أحجيه
في منتهى نجواي
يمكن تصدق ذات مره
إنني لاجلك جمعت
أنفاس
وأطراف الليالي
والشعر وأرجاي
وإني على صوت الأمل
لملمت شال الليل
وأغريت نجم الصبح
يزهر لي بـ حنّاي
وإني على رجع الصدى
فكّكت حبري بالسهر
وتنافرت ظلماي
وإني على وقع الضيا
وصّيت قلبي لك يطير
ولك يصير
إحساس نادر
ما تعب
يوقف على رمش الغصن
ويغرّد لمنفاي

إنها لا تعيش شخصية شاعرة الاستسلام والبكاء، بل تحاول ألا تتغير وتظهر أنها لم تفقد أحداً؛ فهذا الذي رحل موجود تتذكره ليلاً، وتسمعه من بعيد، وتسرع مستعدة لاستقباله «وإني على صوت الأمل لملمت شال الليل»، ويصبح الليل نهارها الذي تتأمله بفعل الكتابة كما تقول «فككت حبري بالسهر وتنافرت ظلماي»، وتقول «إني على وقع الضيا وصّيت قلبي لك يطير»، وهي بهذا تعلن أنها لا تناجي حبيباً، بل تبحث عن رمز كبير أعطاها الحياة، أو كان سبباً في امتلاكها نعمة الحياة، ولعل تكرار «أتنفسك» تعبير مهم نستنتج منه أنها تناجي ذلك الرجل الذي يحمل لقب الأب، وهو باقٍ فيها ما دامت هي تنبض بالحياة[7]:

يسعد قلوبٍ عاشقه
ويهيم في صحراي
ويفرّح قلوب البشر كل البشر
ويلمّهم
إلاّي

هل ستستمر الحياة دون أن تكون السعادة عنواناً لها؟ وكيف تستطيع أن تسعد بالحياة وهي تعيش حالة الفراق؟ ويبقى الحل في رؤيتها للسعادة في حياة الآخرين، ولا تكتفي بالرؤية، بل تبعث قلبها كالطير ليسعد القلوب العاشقة، أي أنها تهتم بحياة غيرها، وتحاول أن تحقق السعادة لهم، وفي ذلك ترى سعادة كبيرة لها.

ولكن بعد ذلك، كأنها تسأل نفسها في «ويلمّهم إياي» لماذا لا تكون لي سعادتي الخاصة معك؟ وتمتنع عن الإجابة عن هذا السؤال؛ لأنها تؤمن بأن الحياة سعادة وهبها لنا آباؤنا، لنهبها إلى أبنائنا، وإلا لماذا ذهب الطير وهو قلبها لكي يسعد قلوباً عاشقة؟ لقد ذهب لأن سعادة هذه القلوب تحيي قلبها من جديد[8]:

أتنفسك
وأوعد جروحي بالدوا
وأصبّر المنساي
يمكن على حين انتظاري
ألتفت
وألمَحك حلمٍ جاي
وأتنفسك
همي وعطري
وانتظاري
وانكسار أجواي
أتنفسك

نعم إنها تداوي جروحها وانكسارها بمشاركة الآخرين سعادتهم، ولكنها لابد أن تعود بعيداً في الماضي، وتعيش تلك البراءة مرة أخرى، وهي تستحضر الأجواء كلما أحسّت بالضيق، كما تعبر عنه بـ«انكسار أجواي»؛ لتتنفس من جديد هواءً نقياً بنقاء من يصبح فقدهم قصة يومية وانتظاراً يطول، ولا ينتهي بالعودة، بل يصبح انتظاراً يستمر دون أن يعود الغائب مرة أخرى.

1- يمكن، ص123.
2- يمكن، ص124.
3- يمكن، ص124.
4- يمكن، ص125.
5- يمكن، ص125.
6- يمكن، ص127.
7- يمكن، ص128.
8- يمكن، ص128.

شهدت مرح الأطفال وتعارف الأهالي وحلّ الخلافات

«شجرة الرولة مظلّة التسامح والتعايش»

سارة إبراهيم

احتلت شجرة الرولة التي كانت تقع في ساحة الرولة حالياً، مكانة فعلية ومعنوية في نفوس أبناء المجتمع الإماراتي آنذاك، بفضل حجمها الكبير وظلالها الوارفة، وطول عمرها، وجمْعها الناس تحت ظلّها في المناسبات كافة، وهي اليوم تمثل في مكانتها الرمزية مظلة للتسامح والتعايش.

«شجرة الرولة مظلّة التسامح والتعايش»، هو عنوان جلسة نقاشية نظمتها هيئة الشارقة للمتاحف، بالتعاون مع حصن الشارقة، وذلك في انطلاقة فعاليات الدورة الرابعة للبرنامج السنوي «الحصن في الذاكرة»، وهي بدورها جمعت تحت ظلها أيضاً نخبة من خبراء التراث المحلي، وممن عايشوا أجواء شجرة الرولة ومناسباتها، فسردوا معلوماتهم وذكرياتهم عنها في تلك الحقبة، ليؤكدوا مجدداً على أن تلك الشجرة بكل ما تتسم به من معاني القوة والقدرة على التآلف مع ظروف الطقس القاسي، هي أنموذج حقيقي للتعايش والتسامح، ونوّهوا بدورهم بضرورة إحياء ذكرى تلك الشجرة، بإقامة الأنشطة التراثية، بحضور الأسر، وتعريف الجيل الجديد بإرثها المعنوي الذي تركته في نفوس أهالي الشارقة والإمارات كافة.

مظلة التسامح والتعايش

أجمع خبراء التراث والباحثون على أن شجرة الرولة شهدت التجمعات الإنسانية، والتقت تحت ظلها الأسر وتعارفت، ووثقت أوراقها ابتسامات ومرح الأطفال، الذين أثقلوا كاهلها بحبالهم ولم تملّهم، فهي بمثابة الأم التي لا تكلّ من أبنائها. يقول المستشار عبيد بن صندل، من معهد الشارقة للتراث، إن شجرة الرولة شكّلت المرجع الأول لكل أهالي الشارقة والإمارات الأخرى، حيث جمعت القريب والغريب تحت ظلّها، وهي شجرة تمثل الكثير ليس لمواطني الدولة فحسب، بل وصل صيتها إلى دول الخليج، فكانت دلالة واضحة عن الشارقة، وكانت تمثل المرجع الأول لحضور الناس وتجمعهم في المناسبات كافة، بل محطة نقل إلى الإمارات الأخرى. ويشير الباحث والشاعر سلطان بن غافان، من معهد الشارقة للتراث، إلى أن الرولة كانت رمزاً للمحبة والتسامح والتعايش، وبما أنه من أبناء أم القيوين، يذكر أن الناس هناك كانوا يتفقون مسبقاً على الذهاب إلى الرولة، فيجمعون المال فيما بينهم ليستقلوا مركبة تأخذهم إلى حيث ظل الرولة، مقصد الجميع، ويذكر أنها كانت معروفة لأهالي الخليج، حتى إنه في العام 1960 جاء وفد من الكويت قاصداً الرولة، للتعرف عليها وإعداد تقرير صحفي عنها.

عبيد بن صندل:
شجرة الرولة المرجع الأول للتعرّف إلى تجمّع الناس عامة وفي المناسبات

وتنوّه فاطمة المغني، الخبيرة والباحثة في التراث الإماراتي، بواحدة من أبرز معالم التسامح والتعايش، التي رمزت لها شجرة الرولة، وهي أنها كانت نقطة لالتقاء الناس الذين جاؤوا من مناطق وإمارات أخرى لعيادة مريض، أو لحلّ خلاف عائلي، أو للصلح، أو للبتّ في قضية ما، بعد زيارة الشيخ آنذاك، مشيرة إلى أنها شجرة معمّرة تضرب جذورها في الأعماق، وتعبّر بشكل عميق عن علاقة المواطن بالوطن الذي ينتمي إليه، ويتمنى الموت على أرضه شامخاً، كما ماتت الرولة واقفة.

فاطمة المغني:
«الرولة» مظلة التسامح التي شهدت حلّ الكثير من القضايا الاجتماعية وتعارف الأسر

تقول فاطمة المغني عن افتخار الشارقة وأهالي الشارقة بشجرة الرولة التي ليس لها مثيل في إمارات الدولة كافة، شاهدت الرولة في إمارة الشارقة فقط، ومنذ طفولتي وعيني على الرولة، ولدت في كلباء، ويتواعد الناس هناك عند الرولة أو قهوة «بيزات»، وكانت بذلك نقطة تجمّع لزيارة مريض، ومن لديه قضية تابعة في إدارتها للشارقة، ويزورون الشيخ، ويتجمعون في المكان، وكنت طفلة عندما جئت إلى الشارقة وإلى الرولة تحديداً، جاء بنا جدي، ووجدت فيها الصغار والكبار، النساء اللواتي يرتدين الوقاية، وحملن حبالهن، ويأتين الرولة لـ«التمريح»، وكثير من الأسر التقت وتعارفت تحت الرولة، يقول جدي عبيد: «احنا نطرش من كلباء للشارقة، ويستريحون في الذيد، ويحلون القضايا الكبيرة، ويكون صلح، أو زواج، ولحلّ الخلافات»، أما اختيار الشجرة، وغيرها من الأشجار المعمّرة فلأنها تعبر عن الانتماء إلى الوطن، وتضرب جذورها في أعماق الوطن، والجميع يتمنى الموت وهو في وطنه.

شاهدة على الفرح

شهدت شجرة الرولة لحظات الودّ والمرح والسعادة، رغم بساطة الحياة آنذاك، فكان الأطفال يمارسون هناك

الألعاب الشعبية في الأعياد والمناسبات كافة، وهو ما يؤكده سلطان بن غافان، الذي استذكر حضوره إلى الرولة في عام 1966، خلال عيد الفطر قادماً من أم القيوين، قائداً مركبة «لاند روفر»، حملت نحو 20 شخصاً، لقلّة المركبات، قاصداً مع عدد من الأشخاص سينما مرشد بدبي، التي كانت تعرض الأفلام الهندية، وشاهد الأطفال يلهون، والفتيات والنسوة يلعبن «المريحانة». ويقول عبيد بن صندل إن المرح والألعاب والمسابقات دائمة تحت الرولة، فما أن ينتهي سباق الخيول، حتى نشهد سباق الهجن، وفي وقت يلهو الأطفال هناك، تعلو أصوات الفرق الشعبية في المناسبات، ويقدم البائعون بضائعهم قادمين بها من كل مكان، حتى من دول الخليج، وكان المنادون ينادون للأحداث العامة تحتها، فهم بمثابة الإعلاميين اليوم. وذكرت آمنة علي، (راوية في التراث الإماراتي)، أن التجمع في العيدين تحت الرولة كان لمدة 7 أيام، وكان المكان يكتظّ بناس من كل صوب، فهو مقر للعب، وللبيع، خاصة «النخي» و«الناملية»، ويبيع فيه عدد من العمانيين أيضاً منتجاتهم، ونلتقي لرؤية الأهل هناك.

سلطان بن غافان:
محطة للنقل وتجمع الأصدقاء والأهل.. ومقرّ للسباقات والاستعراضات

الرولة أو «بانيان تري»

يشار إلى أن شجرة الرولة تعرف بمسميات كثيرة، اسمها العملي هو بانيان تري، ويشار إلى أن أبناء الجالية الهندية، كان يطلق عليهم في الثلاثينيات في الدولة اسم «بانيان»، في وقت يرجح أن الشجرة جاءت من الهند، كونها ليست من أشجار الدولة الأصلية، حول ذلك تقول رندة جعرور، (مهندسة إنتاج زهور

للتداوي، وتحتوي على بذور تستخدم للتكاثر. وتشير جعرور إلى أن قدرة هذه الشجرة على التحمل جعلها تزرع في الحدائق العامة في الدولة، ولا تحتاج إلى الريّ اليومي، خلا في بداية نموها، ولا تأتيها الآفات الزراعية إلا نادراً، ولا تحتاج بذلك إلى الكثير من الرعاية.

الرولة في الشعر

ذكر الدكتور سيف البدواوي، الباحث والمختص في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، أن الرولة ذكرت في أشعار الكثير من الشعراء والعامة، ومن بينها أشعار الشيخ سلطان بن صقر بن خالد بن سلطان، الذي حكم لما يقارب العشر سنوات، وظهرت له بعض القصائد التي تتغنى بالذكريات في الرولة، وذلك خلال ذهابه للعلاج في الهند، بعدما أصيب بمرض عام 1948.

وأشار البدواوي إلى أن شجرة الرولة في الشارقة كبرت وازدهرت بشكل يتوافق وازدهار الشارقة كمقر لحكم القواسم، الذين انتقلوا من رأس الخيمة التي كانوا يحكمونها إلى الشارقة، بعدما دمّر البريطانيون كل شيء هناك، فشهدت الشارقة، المقر الجديد لهم، توقيع اتفاقيات السلم مع البريطانيين.

شجرة الرولة

لطيفة المطروشي
باحثة - معهد الشارقة للتراث

للعيد فرحة لا تكتمل إلا بالوجود في أحضان شجرة الرولة، وكان الآباء والأجداد يرون أن العيد له متعة فريدة، على الرغم من بساطتها، فهي تحمل مشاهد وصوراً ومظاهر حملت الكبير والصغير على الحضور والمشاركة في مكان يعد قبلة للأهالي للاحتفال بالعيد، فتحت ظلال شجرة الرولة في إمارة الشارقة قصة وحكاية عيد، يحمل تفاصيلها كل من عاصر تلك الأيام، وذلك ما يحيل إليه صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، في كتابه "سرد الذات"، بقوله: (في مساء يوم العيد يتوافد إلى شجرة الرولة، الوارفة الظل، الرجال والفتية والفتيات والأطفال.

وتعلق الحبال على الأغصان الكبيرة من شجرة الرولة، وتجلس الفتيات في صفين على الحبال، وتشبك كل فتاه أصابع رجليها بالحبال الطي، تجلس الفتاة التي تقابلها، فتتكوّن المرجيحة من ثماني فتيات، أما الفتيان فيقومون بشط المرجيحة، أي إبعادها إلى الأعلى بكل عفة. تباع تحت شجرة الرولة الحلويات والمكسرات.

أما شيخ الشارقة، فيجلس على الكرسي الكبير، وحوله أقرباؤه وأعيان البلد، لتلقي التهاني بالعيد، وإلى جانبهم تقام رقصة "العيالة").

السنة الأمازيغية الجديدة 2969 وطقوسها (يناير)

أ. نورية آيت محند
مدرس أكاديمي
معهد الشارقة للتراث
ait.mohand.noria@hotmail.fr

أسقاس أمقاز

(ينّاير – أنّار - لعجوزة – أيراد) كلّها تسميات لمناسبة واحدة، هي السنة الأمازيغية الجديدة، إذ يشكل الاحتفال برأس السنة الأمازيغية ينّاير، مناسبة مميزة وعزيزة وبالغة الأهمية لدى سكان المناطق الأمازيغية بشمال إفريقيا. فإحياء هذا اليوم المميز، يتم بطقوس وعادات خاصة جداً، تعكس الهوية الأمازيغية وثقافتها الغنية جداً، والارتباط الكبير بين هؤلاء السكان والطبيعة التي حباهم الله بها، من غنى وثراء والمحاصيل والغلة.

يناير هو جزء من الذاكرة التاريخية، ويعود إلى أعماق التاريخ، أي قبل ظهور الأديان السماوية، وهو مرتبط كل الارتباط بالفلاحة، ومناسبة للفرح والتفاؤل، وبقي في الجبال لمحافظتها على اللسان الناطق بالأمازيغي، كما لهذه السنة الأمازيغية بعد فلسفي، اجتماعي واقتصادي، ومظاهر الاحتفال فيها لها تصورات فلسفية، مخيالية، أسطورية، لترويض الطبيعة المملوءة بالتقلبات الجوية القاسية، كالأعاصير والبراكين والأمطار الطوفانية والثلوج وغيرها من الظواهر، والتعايش مع الطبيعة طمعاً في أن تمنّ عليهم بالخيرات.

تعتبر هذه المناسبة، أي ينّاير أو السنة الأمازيغية الجديدة، في المخيال الشعبي عرف وتقليد متداول، تحتفل به العائلات الجزائرية، ومن بين العادات السائدة لاستقبال السنة الجديدة، ولنأخذ بعض المناطق كأمثلة لا للحصر، فبأعلى جبال منطقة تيزيوزو، تقوم العائلات بتبييض وصباغة البيت بمادة طبيعية تسمى «ثومليلت»، وهي صبغة طبيعية تستخرج من الطبيعة تعطي اللون الأبيض، كما تقوم النساء بحملة تنظيف شاملة للتخلص من الطاقات السلبية والأرواح الشريرة من البيت، والبدء بسنة خالية من المشكلات.

كما تقوم العائلات الأمازيغية بشراء ديك وذبحه في فناء البيت، من طرف الأب أو الجد، وهذا لإسالة الدم، ظناً منهم أنه يعالج الأمراض ويزيل الهمّ، إذ يقال بالأمازيغية أنسوفغ إذامن أذيروح الهم، وتفاؤلاً بسنة جديدة حاملة معها الخير، وتذهب كلّ شرهم من السنة التي مضت.

كما تقوم الأمهات بتجهيز الأطباق التي ترتبط بالمحاصيل الفلاحية من خضر وبقوليات، والذي يحتوي على البصل والقرع والحمص، الفول، الفاصولياء، العدس، الجزر مع التوابل التي تعطي نكهة خاصة للطبق، وكل هذه المحاصيل توحي ببداية سنة مملوءة بالمحصول، وسنة خير وأمان.

كما تقوم النساء بتحضير العجائن التي ترمز إلى الربح والتطور كلّما كبر حجمها، مثل عجينة السفنج (الغرايف) أو المطلوع أو البغرير أو الرقّاق وخبيزات البيض التي تعطى خصيصاً للأطفال، تفاؤلاً بنجاحهم في الدراسة. كما ترمز هذه العجائن إلى الزيادة في الخير.

طبعاً بعد تحضير كل هذه المأكولات، تقوم الأم أو الجدّة أو أي امرأة كبيرة بوضع الكسكسي في قصعة كبيرة من الفخار أو الخشب، كما تضع الديك في الوسط، ليقسّم على الأفراد، وتقوم برصّ المعالق في وسط القصعة، مع وضع ملاعق إضافية للذي يغيب أو يكون مسافراً، أملاً في عودته، وتبياناً لمعزّته، وحبها له وأنها لا تفرّق بين أولادها، ومهما كان غائباً، فهو حاضر في كل ركن من أركان البيت، كما تقوم الأم بتوزيع الأكل على الجيران، وتبادل الأطباق، ليحلّ الخير وإبعاد الضغينة والحقد والخصام، وتجديد المحبة والصداقة والألفة بين الجيران والأحباب.

وفي الليل تقوم ربّة البيت بتجهيز (الدراز، المخلّط، الجراز، التراز)، وهي تسميات حسب المناطق، لعادة جميلة

جداً تعكس هذا اليوم المميز في حياة الأمازيغ، وهي عبارة عن خليط من المكسرات (جوز، ولوز، وبندق وفستق، وفول سوداني، والتين المجفّف، وكل أنواع الفاكهة الموسمية المتوافرة، مع أنواع الحلوى، تفاؤلاً بعام حلو ومملوء بالخيرات، وطلباً للبركة.

يخلط الكل في قصعة كبيرة، أو إذا وجد مولود أو طفل صغير يوضع في الوسط، وتنثر عليه هذه الخيرات، كما يحلق قليل من شعره، ترميزاً لنزع الهمّ من بدنه، وتلقينه العادات من الصغر، لترافقه للكبر، والحفاظ عليها، وتفاؤلاً بسنة سعيدة مملوءة بالصحة والعافية.

تقوم الأم بخياطة أكياس صغيرة، من الخيش أو الكتّان، وتملؤها بالمكسرات والفواكه، وتعطي لكل فرد كيسه، وتبقي كيساً مملوءاً جانباً، لتحتفظ به

إلى أن تدخل السنة الجديدة القادمة، تبرّكاً وتيمنّاً بزيادة المحصول، وحتى يدوم الخير ولا ينقطع.

طبعاً تختلف عادات ينّاير من منطقة إلى أخرى، فإذا أخذنا مثلاً منطقة بني سنوس، التي تقع بمدينة تلمسان، هذه المدينة العريقة بتاريخها والحافلة بزخمها الأندلسي والعثماني والأمازيغي، فما شدّني في احتفالية يناير، أو كما يطلق عليها أهل بني سنوس أيراد، التي تعني الأسد، وهي احتفالية على شكل كرنفال، وكأنها مسرحية تؤدى في وسط البلدة، نعتمد على الأقنعة والألبسة التي ترمز إلى الحيوانات، والبطل هو الأسد، والقافلة يتقدمها ما يسمى المقدّم، وهو الرجل الحكيم والرزين وصاحب الرأي السديد، وفيها أيراد أمقران وأيراد أمزيان، مهمتهما حفظ الأمن والسلام لدى السكان، ولعابو الدارة، وهم فرقة تعزف على الدف

والأدوات الموسيقية التقليدية، وبقية الفرقة تقوم بجمع الإكراميات من خيرات الطبيعة، خضر وفواكه ودقيق وقمح والمكسرات...إلخ، وتقديمها إلى العائلات المحتاجة، كمساعدة ومساندة، دون المساس بكرامة المحتاج إذ هي طريقة من طرق التكافل الاجتماعي، فالهدف هنا ليس الفرجة فقط، بل التعاون والاتحاد ومساعدة الغير. وقصة أيراد لمن يريد معرفة القصة، هي مشهد فني رائع للبؤة، التي ترمز إلى الخصوبة، والعام الفلاحي الجديد، والقوة الموجودة في المجتمع، والعائلة المترابطة أو التي تلد من السبع، وهذا المولود يرمز للغلة والمحصول الوافر، وفي

هذا المشهد تردد الفرقة وهي تتجول بين الأزقة والبيوت (حلو بيبانكم رانا جيناكم)...

فيفتح الأهالي أبواب بيوتهم ليدخل الأسد أو السبع ولعابو الدارة، ويشرع الأسد في الرقص، ويردد الكل وراءه (الشاب لالاك، وراب لالاك)، لتسقط اللبؤة على الأرض محاولاً الأسد مساعدتها لتلد، وتقوم بسلامة، وهذا دلالة على حلول عام فلاحي حافل وغني بالمحصول، كما ذكرنا سالفاً.

وفي الشق الثاني من هذا الكرنفال هو البعد الاجتماعي، الذي يهدف إلى تكوين أسرة، فيستغلّ الفرصة الشباب المتستر وراء قناع الأيراد لاختيار أحلى

عروس مناسبة له، والزواج بها، ويردد الشباب في هذا الصدد (آآتفاحة الي فوق الجبل العالي، آآخوتي وبني عمي هودوهالي).

عند خروج الكرنفال يردد الجميع (آآلقمرة لالة في غيابك ولي، صاحبي غادي يجي ويسلكني ربي).

هذا الكرنفال يشكل لوحة لتضافر واتحاد المجتمع، والتعاون مع بعضهم. تختلف الاحتفالات والهدف أو المغزى واحد، وهو الحفاظ على هذه العادات في شتى أنحاء الوطن، شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً. فدامت أفراحنا ودام العالم بخير وأمان، وعام سعيد (اسقّاس امقّاز).

«التحطيب»..
فن أدائي موغل في القدم

محمد غباشي
كاتب ومسرحي - مصر

عشق المصريون الرقص بأنواعه كافة، وفنونه المختلفة، منذ العهود الفرعونية إلى الآن، سواء أكان رقصاً للخاصة في القصور، أم رقصاً شعبياً للعامة في الساحات والطرقات، أو رقصاً روحانياً في الموالد الشعبية والحضرات الصوفية وغيرها.
وسنلقي نظرة على فن يمارسه المصريون منذ عهود طويلة ألا وهو فن التحطيب. الذي تم تسجيله مؤخراً على قوائم اليونسكو للتراث العالمي الجديد بالحفظ والصون.

مما لاشك فيه أننا عندما نشاهد جزءاً من لعبة التحطيب أو الرقص بالعصا أو بالشومة أو العصا الغليظة أو بالغشيمة في بعض الأحيان، سنعود في النهاية إلى المصطلح المتداول (التحطيب)، وستؤكدون معي أن التسمية جاءت من الحطبة تلك العصا المجتزأة من الشجرة، التي أخذت أشكالاً مختلفة في الصناعة والزخرفة مهمتها الأساسية المتعة والإثارة بيد من يعرف قيمتها، بل يتفنن في استخدامها لإبراز القوة والمهارة بمصاحبة موسيقاها الخاصة بالمزمار والطبل أو غيرهما من الآلات الخاصة بهذا النوع من الفن الشعبي تقدم للجمهور المتحلق في المناسبات المختلفة كالموالد والأفراح والتهاني.
وقد عكست جدران المعابد الفرعونية، صوراً منحوتة مرسومة بألوان ثابتة، مأخوذة من الفواكه بعد تجفيفها، كالرمان والتين والسفرجل، تصور وتجسد مباريات التحطيب، خلال عهود الحضارة الفرعونية في مصر. وقد تمحورت هذه الرياضة لدى القدماء المصريين، في عمقها الحقيقي، حول غرض التدريب على الأسلحة ــ دون استخدامها ــ وذلك عبر استخدام العصي الخشبية المجوفة والقوية، في آن واحد، إلّا أن هذا الجوهر تطور فعلياً، ليصبح التحطيب، إحدى أبرز الرياضات القديمة. وألمع أشكال الفنون المعبرة عن قضايا عدة، منها: مشاهد القوة والسيطرة على النفس والبهجة العارمة في الأفراح الخاصة بالزفاف أو قدوم الأطفال أو الأعياد... فبقيت هذه الرياضة الشعبية حاضرة وذات طابع احتفالي. شكّل مكوناً رئيساً في التراث الشعبي المصري.
وأطلق عليها مسمى «التحطيب»؛ لأنها تمارس باستخدام عصا مصنوعة من نوع حطب محدد خاص بها. كما تتولاها مجموعة صنّاع وحرفيين مصريين مهرة. ولاتزال تحوز أهمية كبيرة في المجتمع، ذلك كونها تعكس قيمة متأصلة في التاريخ، منذ العصور الفرعونية وحتى الآن، وذلك بشكل بارز، ضمن ريف مصر وصعيدها.
يقول د.حسام الدين محسب، الأستاذ بمعهد الفنون الشعبية

بالقاهرة في دراسة له عن فن التحطيب، إن أهم حلقات التحطيب كانت تتم في موالد أولياء صالحين مثل مولد سيدي عبدالرحمن القناوي بقنا، وسيدي أبو الحجاج بالأقصر وغيرهما، حيث يعلن في هذه الموالد الشعبية عن رفع العصا من بعد العصر حتى المغرب لأيام عدة، فيجتمع المحطبون من كل محافظات مصر، كما يقوم لاعبو المحافظة التي يقام فيها المولد بدعوة لاعبي المحافظات الأخرى، للعب والمنافسة الشريفة.

ورغم الاختلافات التي طرأت على التحطيب من محافظة لأخرى فإن التحطيب واحد، ويحكمه الارتجال بالدرجة الأولى. ومن الأفضل أن يخرج اللاعبان متعادلان؛ فهي لعبة للمتعة، وتحترم فيها التقاليد المختلفة للجماعة، فالكبير مثلاً هو الذي يبدأ اللعب، ولا ينبغي التعالي عليه أثناء اللعب، وعند احتدام المنافسة بين لاعبين من السن نفسها يتدخل الأصدقاء والجمهور الملتف حولهم، ويكون لهم دور تأميني حتى لا يتعرض أحدهما للآخر، ففي هذه الحالة يأخذ الجمهور والأصدقاء العصا بالهتاف بكلمة «سو» حتى يتوقف الشجار، ولا ينقلب إلى مبارزة حقيقية.

ويضيف د.محسب أن التحطيب يضم حركات استعراضية بالأيدي والأرجل، تعرف بحركات الرش وفتح الباب، بعدها يدخل اللاعبان مباشرة في الالتحام، ويتفقان معاً على تطويل فترة الاستعراض، وفتح الباب بعد السلام، أما الحركات الاستعراضية فهي نسبية يلجأ اللاعبان إليها لإمتاع الجمهور، وتتفرع من لعبة التحطيب فنون أخرى موازية، مثل الرقص بالعصا الذي تشتهر به محافظات الصعيد، وخاصة محافظة سوهاج، ورقصة أخرى بالعصا اسمها «رقصة التنراوي» وهناك «البرجاس»، أي التحطيب من فوق ظهور الخيل، وهو فن احتفظ بكيانه طويلاً في الصعيد، وكثيراً ما تقام حلقات لرقص الخيل والتحطيب ابتهاجاً بزفة عروس أو ذكرى مولد أحد الأولياء أو جني المحصول، حيث تقام حلبة للرقص والتحطيب في مكان متسع، وعلى أنغام المزمار البلدي، يتبارى الفرسان والخيالة في إظهار بطولاتهم وشجاعتهم.

محمود الدسوقي، الباحث في التراث الصعيدي يتحدث عن اللعبة وقواعدها: «لعبة العصا (التحطيب) لعبة قديمة يرجع تاريخها إلى الفراعنة، والدليل على ذلك وجودها في النقوش على جدران المعابد، فقد اكتشف علماء الآثار صورا كثيرة تعبر عن أشخاص يتبارزون بالعصي كرياضة، لكن العصا التي استخدمها قدماء المصريين كانت مصنوعة من نبات البردي المعجون؛ حتى لا تكون مؤذية، إلا أن مثيلتها التي استخدمت في مراحل أخرى متأخرة من التاريخ وحتى الآن أكثر صلابة وأكثر إيذاء، لدرجة أنها تتسبب في وفاة بعضهم داخل حلبة التحطيب، وفي تلك الحالات لا يجوز لأهل المتوفى المطالبة بثأره، أو حتى ديته، وذلك على نقيض حالات القتل الأخرى».

ويوضح الدسوقي أن حركات العصا والتلويح بها لا تكون عشوائية، فعندما يريد الفارس صد عصا المنافس تكون العصا في وضع أفقي، وعندما تكون حركة القدم الأولى للأمام تسمى «مارش أمامي»، وللخلف تسمى «مارش خلفي»، والخطوة أو الحركة التي يخطوها الفارس تكون محسوبة دائماً وليست عفوية، فالعودة للخلف بالظهر لخارج الحلبة تحسب نقطة على الفارس لمصلحة خصمه، أما ضربة الرأس فتحسب بثلاث نقاط، بينما تساوي الضربة على الجزء الأوسط من الجسم نقطتين، أما الضرب على الساق فيحقق نقطة واحدة، وعندما يستطيع أحد الخصمين إسقاط العصا من يد الآخر بالضغط عليه، فإن ذلك يعني فوزه.

«العصا هي محور التحطيب، والأداة الأساسية التي لا يمكن أن تبدأ اللعبة من دونها»، هذا ما يوضحه الشاب الصعيدي أشرف شحاتة، مضيفاً أن العصا أداة ورمز، لها جذورها في الموروث الديني والشعبي، خاصة عند أهل الصعيد، فقد تم ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: {قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى}، كما أن للعصا أشكالاً وأصنافاً واستخدامات متعددة، لكن تشتهر في التحطيب باسم «الشومة»، حيث تتسم بالصلابة وصعوبة الكسر، ويؤدي استخدامها في الضرب إلى القتل - أحياناً - ولكن نادراً ما يحدث أي أذى لأي من المتبارزين، إلا إذا كانت هناك عداوة مبيّتة عند أحد الطرفين، وبخلاف التحطيب، فقد اعتاد أهل الصعيد والفلاحون استخدام الشومة في أنشطة كثيرة في حياتهم، ربما لأنهم يتجولون في حقولهم ليلاً، ويحتاجونها للحماية من الذئاب والحيوانات الضارة، أو لانتشار الثأر في تلك المنطقة، مما حتم استخدامها كوسيلة للدفاع عن الذات.

هناك أكثر من طريقة لإمساك العصا في رقصة التحطيب منها الإمساك بيد واحدة من أحد طرفيها، وهنا لابد أن يمسك اللاعب العصا على بُعد قبضتي يد من أحد طرفيها، حتى يستطيع التحكم فيها أثناء اللعب، وهناك إمساك العصا باليدين من أحد طرفيها، وعند إمساك العصا باليدين لابد أن يراعي اللاعب ألا يمسك بالعصا من طرفيها عند قيامه بصد هجوم من خصمه، وإلا تعرض جسمه أو رأسه للخطر، لعدم قدرته في هذه الحالة على إمساك العصا بقوة تحت تأثير قوة الضربة الموجهة إليه، وينبغي أن يكون اللاعب ممسكاً بالعصا على بعد قبضتي يد.

وتؤثر المناسبة التي يقام فيها التحطيب في وجود تعديلات في مسار اللعب، ففي حالة وجود فرقة موسيقية ينصب السامر الشعبي، ويكون مؤثراً في فتح الباب وفي الحركات نفسها التي تأخذ الشكل الاستعراضي، وفي الاحتفالات والأعراس يكون الطابع الاستعراضي هو الغالب تعبيراً عن السعادة والبهجة والفرحة بالمولد أو العرس، بعكس ما لو كان تجمع التحطيب أسرياً بين الأصدقاء والأقارب على سبيل التسلية أو التحدي بين صديقين فهنا يكون طابع الصراع هو الغالب.

وهناك عدد كبير من المتميزين في لعبة التحطيب وأساتذتها الذين يعلمون الأجيال الشابة أصولها، ومن هؤلاء المعلم عبدالغني عبدالباسط، أكثر الوجوه الصعيدية شهرة في لعبة التحطيب، وأكثرهم معرفة بها، حيث يقول إن أول من طوّر لعبة التحطيب من شكلها الفرعوني المرسوم على جدران المعابد كان الشيخ علي الخطاب، الذي عاش خلال عصر الفتح الإسلامي لمصر، وقام بتوثيق اللعبة ونشر أصولها بين مدن الصعيد. ويضيف أن أصول التحطيب واحدة، ولكن لكل محافظة تقاليدها في اللعب، والتحطيب يمارس بأصوله الصحيحة في الصعيد من أسوان لسوهاج، ولكن في محافظات الشمال غلب على اللعب الطابع الاستعراضي والرقص الشعبي، مشيراً إلى أن كثيراً من اللاعبين الشباب الذين يمارسون التحطيب أصابهم الغرور، وأصبح كل واحد منهم متعصباً لبلدته ومحافظته، بدلاً من الإخلاص للعبة التي تحض على احترام الصغير للكبير والتلميذ للأستاذ، والضيف للمضيف، فاللعب ينبغي أن يقوم على كرم الأخلاق والأدب والمعرفة والود.

وقد انتشرت رياضة التحطيب في الريف المصري وفي الصعيد، وتعد في تلك المناطق، بمثابة إيقاع رياضي وفولكلوري نوعي، يملك أصوله الخاصة وقواعده التي يعرفها الناس في تلك المجتمعات.

وتتميز رقصة ورياضة التحطيب بدقة الأداء وجماليات الحركة وخفتها والحبكة الفنية فيها. واللافت أن فرق الفنون الشعبية تابعت، استحضار ونشر وحفظ هذا الفن، فاستمرت في تقديم استعراضات راقصة فريدة له، وبرزت في هذا الشأن فرقة رضا للفنون الشعبية، وخصوصاً أداء الفنان محمود رضا، وتحديداً في لوحة الرقص الشعبي للفرقة، المعروف باسم «رقصة التحطيب». وقد عكست السينما المصرية بقوة وتميز فنون «التحطيب»، وتجسد ذلك بوضوح ومهارة ومرونة، في فيلم «غرام في الكرنك»، من بطولة محمود رضا وفريدة فهمي وماجدة الصباحي والفنان محمد العزبي.

لهذا الفن أصول وقواعد، ففي المرحلة الأولى منه، يدور لاعبان يرتديان الزي الصعيدي أو زي الريف المصري، على محيط الساحة المخصصة، ثم ترفع العصا فوق رأسيهما، وبعدها، يقف اللاعبان، أحدهما في مقابل الآخر، ويلف كل لاعب عصاه فوق رأسه، من الخلف إلى الأمام، ويعاودان الدوران حول بعضهما بعضاً.

وتنتهي هذه الرياضة بعد استعراض طويل، لترتكز العصا بطريقة خاصة لا يعرفها سوى اللاعبين، وفق منحى يوجه فيه كل منهما «الضربة الأخيرة»، والتي ترتكز فيها وبقوة، عصا

أحد اللاعبين في وسط عصا الآخر. ومن طقوس هذا الفن، أن العريس في صعيد مصر وريفها، لابد أن يبدأ الفرح بهذا الاستعراض، بينه وبين أحد أقارب عائلة العروس، شرط أن يكون كل منهما في المرحلة العمرية نفسها، وفي مستوى القوة واللياقة البدنية ذاتهما، ويتم ذلك على أنغام المزمار البلدي وزغاريد النساء وقرع الدفوف ورنات الرق:

تتنوّع الأغاني الشعبية المصاحبة لفن التحطيب حسب المناسبة، فهناك أغانٍ خاصة بالاحتفال بمولود جديد في الأسرة، أو الاحتفال بالحصاد، أو الاحتفال بالأعراس. وأيضاً أغنيات لرقصات «التحطيب» خاصة بالاحتفال بالموالد المختلفة في هذه المناطق، والتي تُعدّ قلب مصر النابض بكل ما هو نفيس وعريق وتراثي وتاريخي، إنها منظومة مجتمع بدأ عند أعتاب النهر منذ سبعة آلاف عام.

وهناك عناصر رئيسة لرقصة التحطيب، منها ما يغتني بالمضمون الدرامي لهذا الفن، عاكساً روح المنافسة، بين الانتصار والهزيمة، فالصراع ــ حتى السلمي منه ــ هو جوهر الحياة الدرامي، كما يرى الفيلسوف أرسطو.

ويمثل الـ«البانتومايم» أو الفن الصامت، إحدى مفردات فن التحطيب، ويتجلى ذلك في بداية الاستعراض، عندما يلف الطرفان العصا في الهواء، على شكل استعراض يعكس التحدي والانتصار معاً. ومن الدروس المستفادة من فن التحطيب، تعليم القوة والتركيز والصبر وزهوة الانتصار وإظهار البطولة، واستعراض المرونة واللياقة البدنية. وكذا حضور الذهن في حالة تركيز قصوى، وكل ذلك يتم على خلفية من الموسيقى والرقص الإيقاعي الذي تقوم به النساء، وأيضاً التصفيق بإيقاع منتظم.

والنساء لا تشترك في هذا الفن؛ لأنه يحتاج إلى قوة عضلية فائقة، يمتلكها الرجال فقط، ويقتصر دور الفتيات والنساء على الرقص الإيقاعي المتخصص، على أنغام الموسيقى العربية الطربية، والتي تتخللها زغاريد الحضور، وتبرز خلالها انعكاسات الألوان الزاهية للملابس الفتيات، وهي ملابس على شكل الزي الفلاحي والصعيدي المصري، وتغطي الرأس بطرحة ملونة طويلة، تتمايل مع الإيقاع والزغاريد.

تقام في مصر، مهرجانات متخصصة بهذا الفن، ومنها: «مهرجان التحطيب» الذي أقيم لأكثر من دورة، وفقاً لقواعد وأصول ثابتة ومحددة، وفقاً لأوزان وعمر اللاعبين، ولا يحق للاعب أن يؤذي شريكه وإلّا تخرج هذه اللعبة عن قواعده الثابتة، وتستمر المباراة من تسع إلى عشر دقائق، ولا يحق للمتسابق دفع الآخر بالعصا أرضاً لينهي المباراة، وإذا وقعت عصا أحد اللاعبين في إطار هذا الفن الشعبي، فلابد للآخر أن يتوقف احتراماً لزميله، حتى يلتقط العصا من الأرض، ومن ثم تبدأ جولة أخرى.

وتبنى محمد عبدالمنعم الصاوي، المسؤول عن «ساقية الصاوي» في القاهرة القديمة: «القاهرة الفاطمية»، مشروع إنشاء فرق خاصة للتحطيب، إذ تقام ورشات تدريب على هذا الفن الرياضي، للحفاظ عليه من الاندثار في زمن التغيير اللاهث. ولايزال الإقبال الكبير على التدريب على التحطيب قوياً. يقوم بالتدريب عليه وتعليم فنونه، متخصصون مؤهلون، يقيمون المهرجانات والمسابقات بين الشباب الواعد المقدم على التعلم والحفاظ على هذه الرياضة من الاندثار.

ويراعي المدربون شرط ألا يكون هناك أي خصومة بين طرفي هذه اللعبة، كي لا تتحول إلى عداء، وإنما فقط الى استعراض جميل نادر ومتخصص، يعكس شهامة أهل الريف وصعيد مصر، وأيضاً سلوكياتهم الأصيلة، وهذا كله سر انتشار هذه اللعبة التي يتزايد عدد الإقبال عليها لمعرفة أصولها الحقيقية. وما يثير الانتباه أن هذه الرياضة أدت إلى انتعاش الإقبال على صناعة الملابس الريفية والصعيدية، من جلباب أنيق وعمامة ذات طراز لافت.

في الأقصر تقام مهرجانات التحطيب، ضمن الساحات الواسعة الممتدة أمام الآثار الفرعونية الجاذبة لأنظار العالم، بمصاحبة مجموعة العازفين على المزمار. واشتهرت فرقة الأقصر للفنون الشعبية بهذا العرض الرائع، الذي يستمر طوال العام، بالإضافة إلى فرق من سوهاج وأسيوط والمنيا، وهي جميعها مدن صعيدية، يتقن رجالها فن التحطيب، المتوارث من الآباء والأجداد.

وتهتم هيئة المهرجانات الخاصة بالتحطيب، بطبع وإعداد كتيبات عن فن التحطيب، وعن تاريخه وأصوله ومناطقه الجغرافية في مصر المحروسة. لعبة التحطيب، التي ترمز في مجملها إلى قيمة البطل الشعبي: ابن النيل، وهو يواجه التحدي، ولكن على الطريقة السلمية، تعد انتصاراً لمفاهيم وقيم وتراث مجتمعية أصيلة.. إنه صراع سلمي لأبطال يمثلون قوة شكيمة الجماعة التي يأتون وينحدرون منها، ورفعة قيمها. وعليه فقد اهتمت بهذا الفن منظمة «اليونسكو» وقامت بتسجيله على قائمتها للتراث العالمي حفاظاً عليه وضماناً له من الاندثار والتهميش

نواعير حماة

تختزن ألق التراث السوري العريق

هشام عدرة
كاتب وصحافي ـ سوريا

بعد أن تحولت ومنذ عشرات السنوات من وظيفتها الأساسية في رفع مياه العاصي ونقلها إلى البساتين والمنازل والأماكن العامة؛ لتسقي بها ويشرب منها، إلى وظيفة تراثية سياحية، مازالت «نواعير حماة» بعددها العشرين، تعزف لحناً أبدياً على نهر العاصي، وكأنها في دورانها وعنينها تقول لزوّارها إن الأرض تدور والزمن يدور ويبقى العاصي والنواعير!

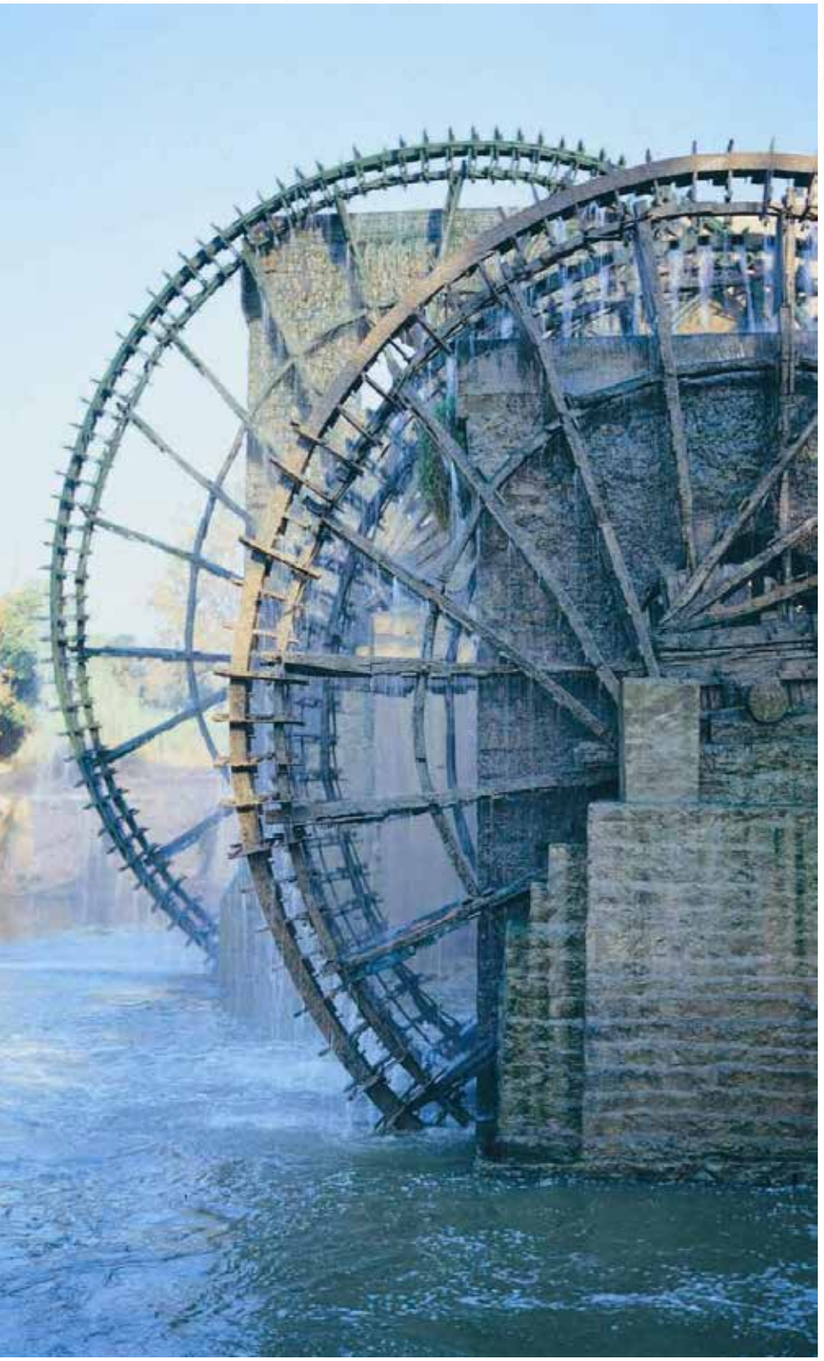

بعد أن تحولت ومنذ عشرات السنوات من وظيفتها الأساسية في رفع مياه العاصي ونقلها إلى البساتين والمنازل والأماكن العامة؛ لتسقي بها ويشرب منها، إلى وظيفة تراثية سياحية، مازالت «نواعير حماة» بعددها العشرين، تعزف لحناً أبدياً على نهر العاصي، وكأنها في دورانها وعنينها تقول لزوّارها إن الأرض تدور والزمن يدور ويبقى العاصي والنواعير!

وحماة التي يقسمها نهر العاصي إلى قسمين، حيث يعبر من وسطها، اشتهرت عالمياً بمدينة النواعير، تقول الكتب التاريخية إن الصليبيين اقتبسوا من بلاد الشام صنع النواعير، فأوجدوا في ألمانيا في واد صغير في فرانكفورت على مقربة من بايروت نواعير كالتي في حماة لاتزال دائرة.

لقد تغنّى الشعراء والمطربون منذ القديم بنواعير حماة، مستلهمين منها قصائدهم، ليمتزج سحر الناعورة مع شفافية الشعراء، فتستمر النواعير خالدة أزلية، تداعب مياه العاصي برأفة وحنين، فيغازلها بدوره بمياهه الرقراقة، تجدّد بها ألقها الدائم ونعيرها الخالد على مر العصور والأزمان.

إن فكرة إنشاء النواعير فكرة موغلة في القدم، وإن أقدم مصدر تاريخي يدلنا على بداية إنشاء النواعير، هو عبارة عن لوح فسيفسائي عثر عليه أثناء التنقيب الأثري في مدينة أفاميا (غرب حماة بـ60 كلم)، حيث يرقى هذا اللوح للقرن الخامس الميلادي، وتشاهد عليه صورة لناعورة تشبه النواعير الحالية شبهاً كبيراً، ويذكر المؤرخون أن اسم الناعورة مشتق من نعيرها، وهو صوتها، مأخوذ من نعرة الدابة

إذا صوتت، ويطلق اسم الناعورة أيضاً على الدولاب الذي يستقى به الماء، ويقال ناعورة وناعور، وهي عبارة من آلة مائية ذات حركة دائمة معدة لرفع الماء، مؤلفة من أخشاب ومسامير حديدية تغطس صناديقها في الماء متقلبة فارغة، وترتفع وهي ملآنة بالماء، فتصب الماء في قناة ذات قناطر متعددة، وتسقي به البساتين والجوامع والحمامات والبيوت وغيرها، ونظراً لانخفاض مجرى نهر العاصي في أراضي حماة عن مستوى الحوض الذي ينساب فيه انخفاضاً كبيراً قد يصل إلى 70 متراً في بعض الأماكن، فقد أصبح من المتعذر الاستفادة من مياهه إلا باستخدام وسائل الري التي تلائم هذا الانخفاض الكبير، فكانت الناعورة خير وسيلة توصل إليها الإنسان، وهي كما يؤكد الباحث الأثري الراحل عبدالرزاق زقزوق، تدور دورة كاملة كل 20 ثانية، ومعنى هذا أنها تعطي خلال الثواني العشرين (2400) لتر من الماء، وخلال دقيقة واحدة (7200) لتر، ويوجد دائماً فوق حوض الناعورة الأعلى (18) صندوقاً تقذف (360) لتراً.

الزائر الذي غالباً ما يقف مشدوهاً أمام النواعير في حماة يتابع بشغف دوراتها على النهر، وقد يغامر البعض ليصل إلى جوارها أو يصعد إلى الجسر الحامل لها ليلتقط له صوراً تذكارية مع النواعير، ستدهشه أكثر أن الناعورة التي تدور ليست بتلك البساطة، فهي آلة تضم العديد من الأقسام تراوح بين الكبر والصغر، حسب وظيفتها، ويؤكد المعنيون أن الناعورة تتألف من 18 جزءاً، وهي على الشكل الآتي: الكفت ـ القلب ـ الصر ـ الأعتاب ـ الوشاحات ـ القيود ـ الدائرة ـ الأطابيع ـ الرادين ـ الأسافين ـ القبون ـ القراعات ـ الطبق ـ المعدات ـ الريش ـ العضايض ـ الأبواب ـ المسامير. كما أن حماة تضم ـ وحسب المصادر التاريخية ـ نحو 100 ناعورة في مختلف حاراتها وضواحيها، وتختلف كل ناعورة عن الأخرى، من حيث الحجم والضخامة، وإن كانت

تتشابه بالأقسام والأجزاء. وحالياً لم يبق في حماة سوى 20 ناعورة، وتعمل الجهات المسؤولة على صيانتها باستمرار، لتظل تدور جاذبة السياح إليها. ومن أجمل وأكبر نواعير حماة القائمة هناك: المأمورية، وهي أكبرها، ويصل قطرها إلى 24 متراً، وعدد صناديقها 120 صندوقاً، وكان ماؤها يصل إلى تسعة جوامع. وهناك ناعورة المحمدية، وتأتي في المرتبة الثانية بعد المأمورية، من حيث الحجم، ويبلغ قطرها 21 متراً، وقد اعتبرتها جمعية المهندسين الأمريكيين التي ترصد الأعمال الإنسانية الفريدة، (أحد الأعمال الإنسانية الفريدة). ومن النواعير الرائعة أيضاً هناك (البشريتان والعثمانيتان)، وعددهما أربع نواعير، بشريتان كبيرة وصغيرة متقابلتان، وعثمانيتان ارتفاعهما متساوٍ، فتدور كل ناعورة باتجاه واحد، وتصبان في قناة واحدة، وهناك أيضاً ناعورة (المقصف) وتقع شمال ناعورة المحمدية، وهي من أجمل نواعير حماة، وكان يقع بجانبها بستان جميل يسقى بوساطتها، وكان من المتنزهات الجميلة في حماة، ومكاناً للمرح والتسلية في أواسط القرن الماضي، وهناك أيضاً ناعورة المؤيدية، وتقع على الضفة اليسرى من النهر وراء ناعورة المأمورية، وهي من أصغر نواعير حماة، حيث قطرها 7 أمتار، وعدد صناديقها 49 صندوقاً، وكانت تستغرق 12 ثانية في الدورة الواحدة، أي أنها كانت تكمل خمس دورات كل دقيقة. ومن النواعير الجميلة في حماة هناك الجعبرية، وتسمى أيضاً ناعورة المرستان، نسبة إلى بيمارستان النوري الذي كان مقابلاً لها من جهة الشرق بعد جسر الكيلانية، وعلى مساحة تقرب من مائة متر شمال قصر العظم ومتحف حماة القديم، وهناك أيضاً: الوسطى والصاهونية والطوافرة والخضورة والدهشة والعونية والبركة وغيرها.

كذلك تمكنت أخيراً لجنة أثرية من اكتشاف 22 ناعورة جديدة بحماة، ومنها عبلة وعنتر والجرنية وزور السوسن وغيرها.

البندا
أفضل حيوان لدى الصينيين

فاتن زهولينغ، مي ما يو، آسرة تشو يي
كاتبات - الصين

في اللغة الصينية، إنّ الدبّ والقط هما حيوانان مختلفان تماماً. نادراً ما تداخل بعضها في بعض، سواء في مظاهرهما أو طباعهما أو قرابتهما إلى الناس أو معانيهما الثقافية، ربما أقرب مسافة بينهما هي عندما يظهر اسمهما معاً في اسم الكنز الوطني للصين ـ البندا باللغة الصينية «شيونغ ماو» تكون كلمة القط وكلمة الدب في «شيونغ ماو».

لا تنقص حرارة حب الصينيين إلى البندا أبداً، بل ترتقي دون توقف. جاءت الإحصاءات الثالثة لمجموعة البندا التي تعيش في البرية، فلا يزيد عدد البندا البرية في العالم على 1600، وهي تنتمي إلى الحيوانات الوطنية الصينية المحمية في الدرجة الأولى. أما عدد البندا الأسيرة فهو 333 حتى تاريخ 10-2011.

ندرة البندا تشكل عاملاً أساسياً، لكونها بؤرة المجتمع. هذا

الحيوان ذو الجسم السمين مثل جسم الدب، دائري الرأس وقصيرة الذنب، يختلف لون شعر رأسه عن شعر جسمه، مع فاصل واضح باللونين الأسود والأبيض. ولكن، بسبب لطفه، يحصل على كثير من المعجبين الثابتين في الصين، لا يحصل عليها أي نوع من حيوان نادر آخر ينافسه.

Ipanda، هي قناة خاصة بالبندا الذي أنشأتها الصين. وهي أول موقع موضوعي يعرض مسلسلات الفيديو عن حياة البندا، وموقع إلكتروني خاص لهواة البندا، وضع الموظفون 28 كاميرا عالية الدقة في قاعدة الرعاية، لأجل البث المباشر. حتى يشاهد مستخدمو الإنترنت البندا يلعب ويقفز ويلف ويأكل وينام طول اليوم.

إن جاذبية البندا فوق خيالك.

يعيش البندا في الجبال المرتفعة والأودية الضيقة في نهر اليانغتسي العليان، وهو الحيوان الذي يحب بيئة البلل. يأكل الخيزران في معظم الوقت، أي ينبت في المنطقة الاستوائية والمنطقة شبه الاستوائية.

يقضي البندا نصف يوم في النوم العميق، ووقته المتبقي من اليوم هو الأكل. في البرية، ينام البندا لمدة من ساعتين إلى أربع ساعات بين الموعدين للأكل. يستلقي على الجانب، ويجثم ويتمدّد، ويعقص وهي أحب الوقفات للنوم إليه. في حديقة الحيوانات، يطعمها المربي مرتين كل يوم في وقت معين، لذلك يقضي البندا بقية الأوقات للاستراحة. يبدو البندا محبوباً جداً حتى ولو هو نائم. البندا في غاية المرونة، يستطيع أن يضع جسمه الثقيل في مختلف الوقفات. يفضل أن يضع ساقه على الشجرة، ويحجب عينيه بيديه.

إن أخص ميزة لهذا الحيوان هي جسمه السمين وطريقة المشي البطيء، وذلك لأنه يعيش في البيئة التي تتمتع بالأطعمة الكافية، ولا يوجد أعداء، ولا يحتاج إلى الحركات

السريعة، ولكن، بفضل حركاته البطيئة التي توفرها ظروفه يحتفظ بقوته فيها ليتعوّد على الأطعمة المنخفضة الطاقة. وفي بعض الأحيان يتسلق الشجرة لاستكشاف الأحوال حوله، أو لأجل الهرب من الأعداء أو للنوم.

ولدى البندا جاذبية كبيرة للشعوب العالمية. يظهر البندا دائماً على الشاشة في بعض الأعمال السينمائية بصورته المحبوبة. مثلاً، البدا أباو في السينما الأمريكية والكونغ فو باندا.

ليس البندا كنزاً وطنياً للصينيين فحسب، بل هو كنز في عيون شعوب الدول الأخرى. بسبب وجوده في الصين فقط، فأصبح علامة منفردة للصين في آن واحد.

المقْشامة في بلاد اليمن السعيد..
تُراث حَضاري وإبداع فَنّي

د. محمد أحمد عنب
مدرس العمارة الإسلامية ـ جامعة الفيوم.

تَشغل المساحات الخضراء داخل مدن اليمن القديمة فضاءات معمارية تَتخلل نسيج تكوين المدينة في أطرافها وبين الحارات ووسطها، وتَمثلت هذه المساحات الخضراء في أنواع مختلفة، منها البساتين والمقاشم، وكذلك الحدائق الصغيرة في أفنية المباني السكنية، وتُعدّ هذه المساحات الخضراء أهم مكونات المدينة اليمنية.

تُعدّ المقشامة من أهم أنواع هذه الفضاءات الخضراء، وهي مفرد جمعه مَقاشم، مشتقة من «القُشِمي» في اللغة الصنعانية الدارجة، والذي يُعني نبات «الفِجل» بالعربية الفصيحة، الذى تكثُر زراعته في هذه الفضاءات، بالإضافة إلى أنواع مختلفة أخرى من الخضار كالكرات والكزبرة والبقدونس وغيرها وكذلك الرياحين، فالمقشامة مساحة من الأرض أصغر من البستان، تزرع فيها الخضراوات وبعض الفواكه التي تَحتاجها المدينة، ومن أشهر أشجارها شجرة التوت وثمارها التي تُعتبر من أجود أنواع التوت، وهي شجرة كبيرة وتعمّر نحو قرن من الزمان[1].

والمِقشامة هي إبداع حضاري يمني ابتكر لإعادة استغلال الموارد الشحيحة من المياه الاستغلال الأمثل[2]، وتَقع غالباً بجوار المساجد أو الحمامات[3]؛ حيث تُروى من الماء المُستخدم في الحمامات أو المساجد من قِبل المصلين، وقد أوقفها المحسنون ليُصرف ريعها على هذه المساجد والحمامات، ليُستخدم في ترميمها وإصلاحها، وتأجير العمال الذي يقومون باستخراج المياه الخاصة بالمساجد من الآبار؛ لوضوء المصلين، ثم تخزن في بركة المسجد، ثم تمر أخيراً إلى المِقشامة لريّ المزروعات، وتُشكل هذه المساحات الخضراء خمس مساحة المدينة تقريباً، وقد لا يُدرك الزائر للمدن اليمنية كثافتها النسبية، وذلك لانخفاض أرضيتها عن مستوى الطريق بمسافة تزيد على المتر، وكان هذا على أساس هندسي، مما يُسهّل تَدفق المياه من المسجد إليها وللاستفادة كذلك

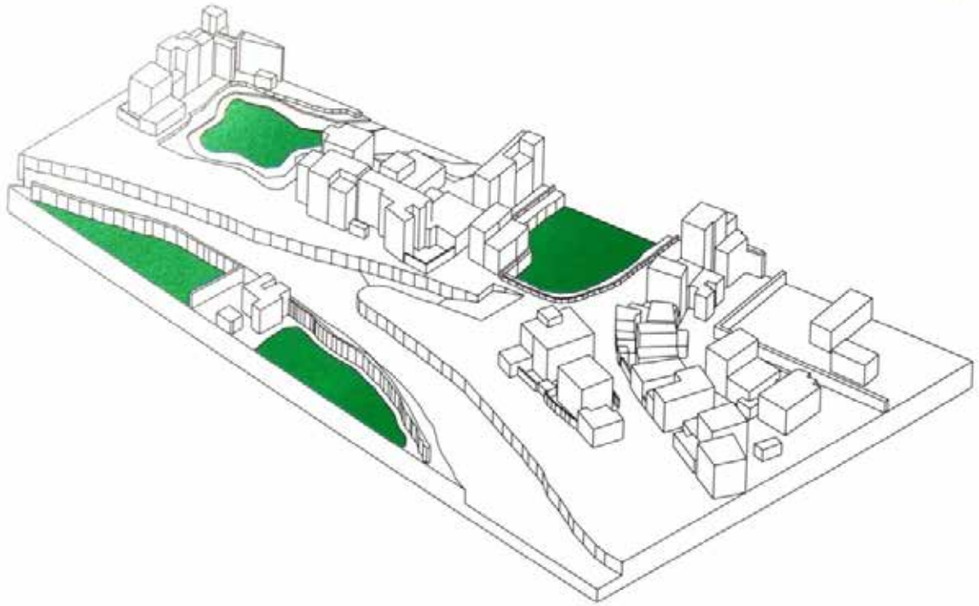

شكل رقم (1) قطاع منظوري يوضح مستوى منسوب المقشامة عن منسوب الطرقات والمباني في الحارة. المصدر:
منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري ص130.

من مياه الأمطار التي تَنساب إليها من الشوارع وأسطح المنازل المُحيطة[4].

شكل رقم (1)

كما تُعتبر المقشامة أحد المظاهر الحضارية في اليمن ومدنه، فهي مُتنفس لأهالي صنعاء؛ فهي تُمثل رئة المدن اليمنية القديمة؛ حيث تُحيط بها المباني من أغلب جهاتها، وتَطل عليها شُرفات ونوافذ هذه المباني، فهي تُقدم منظراً جمالياً للبيوت المُطلة عليها، وتُضفي جمالية على التكوين المعماري، وتحقق الراحة النفسية والبصرية لساكني هذه المباني، كما تَقصدها العائلات والزوار كمتنزهات لقضاء وقت وسط تلك الخضرة والزهور، كما أن لها وظيفة بيئية، فقد كانت مصدراً مهماً ودائماً يُساعد على تَجديد هواء المدينة[5] ومِلكيتها وقف للدولة لا يمكن بأي حال بيعها أو البناء فيها؛ لذا مازالت تحتفظ هذه المَقاشم بهيئتها ووظيفتها إلى اليوم.

وكان تخصص لها بئر هي نفس البئر المستخدم مائها في المسجد، وأحياناً يوجد بها بيت القائم على زراعتها والذي يُعرف بـ«القشَّام أو البُستانجي»، كما يُبنى لها غالباً إسطبل لمبيت الحيوانات المستخدمة في الزراعة ونزح الماء واستخراجه من البئر.

وتَحتل مدينة صنعاء القديمة النصيب الأكبر بين المدن اليمنية في عدد المقاشم، فيوجد فيها 43 حديقة ما بين مِقشامة وبُستان، منها 34 تقع داخل أسوار المدينة، و9 تقع في غرب وادي السائلة في الحي العثماني، وتُمثل مساحات هذه المقشامات والبساتين نحو 20.59 هكتار من إجمالي مساحة 160 هكتاراً التي

شكل رقم (2) توزيع المساحات الخضراء البساتين والمقاشم في مدينة صنعاء موضحة باللون الأخضر. المصدر، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري ص130.

تحتلها مدينة صنعاء القديمة[6]، وتُسقى الحدائق بالماء الذي يأتي من المسجد في معظم الحالات «34 من أصل 43 حديقة، أمّا التي تُسقى من الحمام فهي حالة واحدة (حالة حديقة مسجد موسى)». شكل رقم (2)

وكان مجرى الماء إلى المقشامة بسيطاً جداً، فالماء يأتي من البئر ليصل كما ذكرنا إلى بركة المسجد، ثم إلى المقشامة عبر المكان المرتفع الانحدار ليَسمح بري جميع المساحات الزراعية الواقعة في الأسفل.

ومن أشهر المقشامات التي ارتبطت بالمساجد المُشيدة في صنعاء خلال العصر العثماني[7]: مقشامة طلحة التي تعتمد على إعادة استخدام الماء من مسجد طلحة، وأيضاً مقشامة الزمر وغزل الباشا هذه المقشامة مُشتركة بين مسجدي أزدمر وغزل الباشا، نظراً لوقوعهما بجوار بعضهما. لوحة رقم (1) ومن أشهر مقاشم صنعاء أيضاً مقشامة الطواشي، التي كانت تَعتمد على الماء المُستخدم من مسجد الطواشي، وكان يقع بجوارها الحمام المشهور بحمام الطواشي أيضاً لوحة رقم (2)، ومن أشهر هذه المقاشم مقشامة مسجد البكيرية وكانت بجوارها - بخلاف المسجد - الحمام المشهور باسم حمام الميدان، الذي بناه الوزير حسن باشا، وأخيراً مقشامة الباشا التي تقع بجوار مسجد الباشا المعروف حالياً باسم مسجد الحيمي، وكانت مياه هذا المسجد تأتي بدورها من مسجد الأبهر[8].

ويتضح من استعراض الأمثلة السابقة للمقاشم في مدينة صنعاء مَدى ارتباطها بالمساجد والحمامات، فكانت هذه المقاشم مِثالاً رَائعاً عن عبقرية المعمار اليمني وحرصه على الاستغلال الأمثل لموارد المياه الشحيحة في اليمن.

لوحة رقم (1) مسجد قزل باشا (غزل باشا) بصنعاء المسجد من الخارج
المقشامة الملحقة بالمسجد- تصوير الباحث.

لوحة رقم (2) مسجد الطواشي بصنعاء المسجد من الخارج
المقشامة الملحقة به - تصوير الباحث.

الهوامش

(١) عبدالرحمن يحيى الحداد، صنعاء القديمة المضامين التاريخية والحضارية، مؤسسة العفيف الثقافية، اليمن، صنعاء، ط1، 1992م، ص67-68، أحمد محمد علي الحاضري، فن وهندسة البناء الصنعاني، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط1، 2006م، ص197-198.

(2) أحمد محمد الحاضري، فن وهندسة البناء الصنعاني، ص197-198.

(3) Ingricl Hehmeyer, Mosque, bath and garden, Symbiosis in the urban land scape of Sana'a Yemen, the senior of Arabian studies, oxford 1997- Pp. 105115-.

(4) منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية دراسة تحليلية عن العاصمة صنعاء، مركز الطاهر للاستشارات الهندسية، جدة، السعودية، 2005م. ص128-129.

(5) عبدالرحمن يحيى الحاضري، صنعاء المضامين التاريخية، ص67-68، أحمد محمد الحاضري، فن وهندسة البناء الصنعاني، ص197-198.

(6) السيد ميكيل بروسولو وآخرون، بساتين ومقاشم مدينة صنعاء القديمة (اليمن)، الصندوق الاجتماعي للتنمية بصنعاء، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 2006م، ص9.

(7) استنّ العثمانيون في بلادهم سنة حميدة في تخطيط المساجد والعمائر الدينية المختلفة، وهي إحاطة المسجد بحديقة يدور عليها سور؛ فهذا من شأنه أن يصون المسجد وحرمه، ومن شأنه أيضاً أن يُضفي عليها جمالاً، وقد طُبق هذا في مصر في مسجد سليمان باشا الخادم بالقلعة، وفي مسجد الملكة صفية؛ حيث كانت بمساجد القاهرة مساحات كبيرة من الأرض حولها تدخل في زمام وقفها، ولكن تعدى عليها الناس، وبنوا عليها وادّعوا ملكيتها، مما أضاع كثيراً من بهاء هذه المساجد، أما في صنعاء فقد انتشرت فيها المقاشم والبساتين التي كانت تُحيط بالمنازل، وكانت مجاورة للمساجد والحمامات؛ حيث إنها كانت تُسقي بالماء الصالح الذي يخرج من مطاهير هذه المساجد والحمامات. نقلاً عن، حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 37، يناير 1981، ص62.

(8) السيد ميكيل بروسولو وآخرون، بساتين ومقاشم مدينة صنعاء القديمة، ص110 - 138 - 148 - 150 - 158 .

المصادر والمراجع:

- أحمد محمد علي الحاضري، فن وهندسة البناء الصنعاني، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط1، 2006م.
- السيد ميكيل بروسولو وآخرون، بساتين ومقاشم مدينة صنعاء القديمة (اليمن)، الصندوق الاجتماعي للتنمية بصنعاء، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 2006م.
- حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 37، يناير 1981م.
- عبدالرحمن يحيى الحداد، صنعاء القديمة المضامين التاريخية والحضارية، مؤسسة العفيف الثقافية، اليمن، صنعاء، ط1، 1992م.
- منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية دراسة تحليلية عن العاصمة صنعاء، مركز الطاهر للاستشارات الهندسية، جدة، السعودية، 2005م. ص128-129.
- Ingricl Hehmeyer, Mosque, bath and garden, Symbiosis in the urban land scape of Sana›a Yemen, the senior of Arabian studies, oxford 1997

منطقة دبي التاريخية

من خلال رحلة طلبة «التراث العمراني» في «الشارقة للتراث» (2)

محمد لملوكي
معهد الشارقة للتراث

في إطار التدريب الميداني لطلبة دبلوم التراث العمراني في إدارة التعليم المستمر لمعهد الشارقة للتراث، نظّمت خرجة ميدانية للاطلاع على مؤسسة في إدارة التراث العمراني بدولة الإمارات العربية المتحدة، يتم خلالها اختبار المعارف النظرية التي تلقاها الطلبة في المساقات التعليمية ضمن التكوين بالدبلوم، وتدعيم مكتسباتهم بخبرة الأطر المشتغلة في الميدان.

وقع الاختيار على بلدية دبي، وتحديداً على إدارة التراث العمراني فيها، كوجهة للزيارة، لاعتبارات عديدة. وهكذا، كانت هذه الخرجة الميدانية مناسبة للتعرف إلى أقسام هذه المؤسسة وهيكلها التنظيمي، وأهم أوراش الصيانة والترميم التي تباشرها، والإحاطة بمجمل العمليات والتقنيات والقوانين والخبرات المستعملة في معالجة قضايا التراث العمراني .

حُدّد برنامج الزيارة بالتنسيق مع المهندس أحمد محمود، مدير إدارة التراث العمراني ببلدية دبي، ووزع على الأنشطة الآتية:

- محاضرات نظرية حول التراث العمراني لدولة الإمارات العربية المتحدة، وإمارة دبي بشكل خاص.
- جولات استطلاعية في مختلف أقسام الإدارة المكلفة التراث العمراني.
- جولة ميدانية لأوراش الترميم بالمنطقة التاريخية (الشندغة).
- زيارة المعالم التاريخية التي تم إحياؤها وإعادة توظيفها في إطار مشروع التأهيل للمنطقة.

عرضنا في حلقة سابقة أهم عناصر المحاضرة القيّمة التي قدّمها المهندس أحمد محمود مشكوراً، والتي عرض فيها، على سبيل التذكير، سرداً تاريخياً لتطور التراث العمراني في دولة الإمارات العربية المتحدة عموماً، وإمارة دبي تحديداً، وتوقفنا عند حدود الجولة الاستكشافية في أقسام ومصالح قسم الترميم بالبلدية.

وفي هذه الحلقة، سنلقي نظرة عن ثانية محطات الجولة الميدانية للطلبة بأقسام الإدارة، والتي كانت في »وحدة الزخارف والنقوش بدار الترميم«، وهي عبارة عن مختبر داعم لأوراش الترميم مهنياً وفنياً، قدم لنا المشرف عليها نماذج من الأعمال الزخرفية التي يقوم بها؛ وتتمثل في إعادة إنتاجها ودمجها في عناصر المعمار المبني بالمنطقة، من أجل احترام خصوصيات الزخرفة المحلية التي وجدت على الأبواب أو الجدران أو النوافذ وغيرها، سواء كانت نباتية أو كتابية أو هندسية.

ومن خلال اللوحات المعروضة في القسم، والمبينة في الصورة، فإن الزخارف مكوّن أساسي في العمارة التراثية بالمنطقة التاريخية بدبي؛ كما بغيرها في الإمارات العربية المتحدة، سواء في المباني الدينية أو الدفاعية، وفي المجالس والأسواق، بحيث تشكل قوالب جصية تعلو الفتحات والأبواب، كما تستعمل الجصيات كستارة وشبابيك تحجب النظر فيما بين الفضاءات الداخلية، أو تقلل من حجم الإضاءة وغيرها، ومن أنواعها الأكثر حضوراً تلك الزخارف الهندسية والنباتية ذات التشكيل »السعفي« (نسبة إلى سعف النخيل)، وعادة ما يغلب عليها تجاور اللونين الأبيض والأسود، وقد تتداخل ألوان أخرى في تشكيل زخارف من العمارة التقليدية بالإمارات »...مثل اشتراك اللون الأزرق – النيلة- في تكوين بعض بواطن الزخارف الجصية للطابق الأول في بيت عبيد الشامسي بالشويهين، وبيت عبدالرحمن المدفع..« كما وثق ذلك الدكتور عزاوي في كتابه عن الزخارف بالشارقة »الزخارف الجصية في المباني

التراثية، الشارقة 2010، ص«23.

- بعد استراحة ثانية، تم تحضير حافلة خاصة لنقل الطلبة إلى أوراش ترميم المباني التاريخية؛ للوقوف ميدانياً على مختلف العمليات والمنهجيات المتبعة في تجربة قسم التراث العمراني، استمع الجميع لشرح من مهندسين وتقنيين حول طبيعة المباني التي يتم ترميمها وإرجاعها إلى حالتها الأصلية، مع تبيان طبيعة المواد المستعملة، وأهم التوجهات الملزمة للعمل في مثل هذه الأوراش، والمستمدة عادة من مواثيق دولية في هذا المضمار، من قبيل احترام الخصوصية، وعدم تغيير البنية الأصلية، ومعلوم أن منطقة الشندغة التاريخية على الرغم من أنها تحتل حيزاً صغيراً من اليابسة يفصل الخليج العربي عن الخور، إلا أنها تحوي بيوتاً كبرى

وعريقة. وهو ما انعكس على أنماطها السكنية، وأكسبها أهمية معمارية وتاريخية.

وتتضافر جهود بلدية دبي في ترميم البيوت التراثية بالمنطقة، مع رغبة ملاك العقارات التراثية في تتبع عمليات الترميم، وحرصهم على استعادة شكلها، وفق الحالة التي عاشوا فيها. وهذه من الأسس الصلبة التي ترفد مجال الترميم والمحافظة، وتكسب تجربة رد الاعتبار لمنطقة الشندغة التاريخية تفردها، وتجعلها منسجمة مع توجهات الهيئات والمؤسسات الدولية المعنية بالتراث العمراني، والداعية دوماً إلى اعتماد المقاربة التشاركية، ومراعاة الخبرة المحلية في أي ورش إصلاح أو محافظة بما يروم النجاح والديمومة.

وقد أشار أحد المشرفين على الورش إلى أنه في حالات ضيقة يسمح ببعض التجاوزات التي لا مناص منها، مثل استعمال الإسمنت والخرسانة مثلاً في الأساسات، وإدخال بعض المستحدثات الضرورية للحياة وغيرها. وثمة تجارب سابقة في ترميم معالم في المنطقة يرجع أولها، حسب رواية الخبير، إلى ترميم بيت الشيخ سعيد بن مكتوم آل مكتوم منذ عام 1986م.

- وفي ختام الجولة الميدانية زار الطلبة متاحف بالمنطقة التاريخية للشندغة، وهي منطقة متاحف بامتياز، مثل متحف المخطوطات والوثائق التاريخية، ومتحف ساروق الحديد المشهور وغيرهما، وستكون لنا، لاحقاً، إطلالة عليها، وأهمية مثل هذه الفضاءات التراثية في تنمية المنطقة ككل، وطبيعة الأسئلة والقضايا التي أثارتها أسئلة طلبتنا مع مؤطري الزيارة.

مشربيّات الأرواح في إِرَم

لينا أبوبكر
كاتبة فلسطينية - لندن

مـن الأرض تطلـع الحكايـا، مـن الأشـجار والصخـور والدرفـات النيئـة، التـي تنضـج لتصبـح شـبابيك وأبوابـاً للبيـوت والحنـين والذاكـرة!

هنـاك في الفنـاءات الرخاميـة، التـي تكتسـي إطلالاتهـا بالفسيفسـاء والزخـارف الملونـة، تنبعـث منهـا ميـاه جاريـة أو نافـورة غيـم رقـراق، تسـيجه أشـجار يتصبـب مـن ريقهـا السـماوي رضـاب الرمـان والعنـب والبرتقـال، هنـاك عـلى شرفـة العليـا، مشربيـات حييّـة، ترنـو إلى نزهـة الخاطـر الأندلسـية، لتجـوب السـاحات والأسـواق والطرقـات والحدائـق، مـن وراء سـتار - كأنهـا خيـام بيضـاء – عـلى غـير عـادة الخيـام، فهـل تحيـي المنـازل – كـما اعتـاد الشـعراء - أم تحيـي النسـاء؟

الخيمة مظلة السماء

البيـوت التـي بـلا أمهـات، بيـوت منكسـة، عاريـة ويتيمـة بـلا أحضـان، بيـوت بـلا أعمـدة، كخيـام الحـداد، تحـزن إن رحلـت صاحبتهـا، التـي تـدق أوتادهـا وتوثقهـا بهـا، وتخيـط شـقاقها، ترفعهـا كمظلـة السـماء إن حلـت، وتطويهـا كعبـاءة الريـح إن رحلـت، وقـد تضمهـا إلى «المكافيـث» – سـلالها الصوفيـة في هـودج الظعـن، وحـين يحـين الأجـل، ترتجـف عـروق النـول بـين «اللحمـة والسـدى»، وتخـور أوتادهـا، وتترنـح أعمدتهـا، تتطأطـئ مظلتهـا كأنهـا سـدرة تنكـس نجومهـا حـدادا عـلى قمـرة الصحـراء!

أي حـزن هـذا الـذي يثير في نفسـك الخشـوع، وأنـت تمـر بالديـار المنكسـة؟ أي جـلال لحـزن البيـوت عـلى أمهاتهـا.. ربـات النسـيج وحارسـات الربابـات والـدلال وذئبـات السـراة.. في صحـارى العـرب.. ويـلاه!

تلـك منازلنـا، حيٌّ المنـازل... فلـك يـا منـازل في القلـوب منـازل، لا يمكـن أن يعـوض عنهـا كل مـا في هـذه الغربـة مـن قصـور وقـلاع وناطحـات وشرفـات شـاهقة، وأكـواخ غاويـة؛ لأن مـا يألفـه الفتـى لا يقـض حنينـه أبـداً لأول منـزل.

توارد طللي

لم نكـن نحتـاج إلى فلسـفة «الفينـج شـوي» الصينيـة قبـل ثلاثـة آلاف عـام، لـكي نرتـب منازلنـا كـما نحـب ونشـتهي، فلنـا فوضانـا «وكراكيبنـا» التـي تعـز علينـا أكـثر مـن جواهرنـا، وهـذه تشـحننا بطاقـة سريـة، تنبعـث مـن أدراجنـا المنسـية وصناديقنـا المهملـة في الزوايـا، وحكاياتنـا المشرئبـة.

قـد تسـميها طاقـة الحنـين الفكـري إلى مرابـع القبيلـة.. ترتـد عـلى شـكل إشـارات كونيـة، وهـي تنبعـث مـن مغناطيـس الحـواس في العقـل الباطـن.. فـماذا نفعـل بهـا؟

الذاكـرة بطبيعـة الحـال، تطـور أدواتهـا، بتقنيـات إدراكيـة وسـلوكية

يمكـن إخضاعهـا إلى برمجـة عصبيـة أو لغويـة حتـى، لاسـتعادة المـاضي، أو العـودة إليـه، روحانيـاً، أو لغويـاً لم لا؟

تسـتطيع أن تنتشـل إرم مـن قعـر التاريـخ، بإجـراء تـوارد منـازلي، أو طللـي.. كيـف؟ هـي حالـة مـن تقمـص السُـكنى، فالبيـوت أيضـاً لهـا أرواح، يمكـن اسـتحضارها عـلى طريقـة شـعراء الأطـلال، الذيـن يـصر الدكتـور نـصرت عبدالرحمـن في بحوثـه عـن شـعراء الصحراء، أنهـم ترجمـوا ممارسـاتهم الدينيـة وطقوسـهم التعبديـة لآلهـة البيـوت، في وحـدات طللية، أيديولوجيـة أكـثر منهـا أسـلوبية، فهـل للبيـوت آلهـة؟ أم أنـه تـوارد طللـي مـع رزنامـة الفَلَـك، المعلقـة كنجمـة عشـتار عـلى شناشـيل المخـادع المهاجـرة!

أنسنة المنازل وحجر الضوء

سـل المنـازل عـن أهلهـا، حتـى لو أبـت «أن تجيـب مسـائلاً»، لغصـة مـن غيـاب، ولا تسـألهم عنهـا، فأحبابهـا يرحلـون وهـي باقيـة، لا يتركـون أثـراً يـدل عليهـم سـواها، حتـى لـو أقفـرت مـن أنيسـها، تظـل رسـومها حيـة، كأنهـا ذاكـرة مدخـرة، أو رصيـد فوتوغـرافي مـشرع عـلى أفـق وجـودي مرتـد، يمكـن لفضتـه الكيميائيـة أن تحلـل النيغاتيـف الخـاص بـه، عـلى هيئـة شرائـط أثريـة «تقتسـم الريـاح ترابهـا / تسـقي عليهـا مـن صبـا وشـمائل»!

العـمارة بمفهومهـا السـكني، تندمـج مـع الاعتبـار الأثـري اندماجـاً فيزيائيـاً، بـين الإشـعاع الإلكترومغناطيـسي والفوتـون المـادي، لحجـر الضـوء.. العبقريـة تكمـن في الإحسـاس (المركـز الاستشـعاري للحـواس) الـذي يخـض دم الحجـر، ويضـخ الحيـاة في عـروق الأثـر، والبنـاء المسـتدام، إلى الحـد الـذي حـدا بشـاعر عـربي للنهـوض مـن موتـه خـلال المـرور بالديـار لتوديعهـا.. نـداء متبـادل يتصـادى عـبر حقـل الضـوء الفوتوغـرافي، بـين الميـت والمنـزل المهجـور: «منـازل لـو مـرت عليهـا جنـازتي / لقـال الصـدى يـا حاملـي انـزلا بيـا»!.. الوهلـة الوهميـة التـي تفلـت مـن عقـال الدفقـة الشـعرية، لا تبـارح الحقيقـة الكامنـة بالوهـم: الديـار هـي التـي تنـادي عـلى الميـت، وليـس العكـس.. طالمـا أن الصـدى الأصـم هـو الـذي لا يرتطـم بسـطح عاكـس!

هنـاك طبائـع ميتافيزيقيـة للأمكنـة، والمنـازل عـلى وجـه التحديـد، محفوفـة بمخاطـر غيبيـة وتغريبيـة، لهـا أبعادهـا السياسـية والدينيـة والحقوقيـة أيضـاً، فحـين تختبـئ «إرم تحـت الرمـال»، تصبـح الأندلـس دولـة متحفيـة، لا وطنيـة ولا حتـى تاريخيـة، بالنسـبة إلى العـرب، أمـا فلسـطين، فبيوتهـا تنشـطر ذاكراتيـاً بـين عنقوديـن: المفاتيـح والخيـام!

من أوشو إلى لافكرافت إلى ميسون

تعـال هنـا، اسـتقل سـيارتك بعـد منتصـف الليـل، ورح في جولـة متئـدة لتطلـع عـلى بيـوت الأفئـدة.. لا تنـس اصطحـاب «أوشـو» معـك، فهـو سـيخبرك عـن الفـارق بـين المنـزل والبيـت.. الرائحـة، الشـعور، الأنفـاس، كيميـاء المـكان الوجدانيـة، حواسـه السريـة، يعنـي باختصـار: الإحسـاس.. تلـك فـوارق تتقاطـر كحبـات الزيـت البـاردة فـوق أديـم زجاجـي حـار، فإمـا أن تتطايـر بعيـداً عـن وجهـك، وإمـا أن تلفـح روحـك بلعناتهـا.. ألا يمكـن إذن أن يعـبر هـذا التفاعـل مـع البنـاء أو الأثـر عـن مسـتوى أدائـه العاطفـي؟ هـل حقـاً يمكنـك ان تصنـف «إرم» كقبيلـة بائـدة أو معجـزة مفقـودة؟ أو حكايـة مـن ألـف ليلـة وليلـة، أو مدينـة لا اسـم لهـا، حسـب رؤيـة الكاتـب الأمريـكي «لافكرافـت» الـذي وضعهـا عـلى خريطـة مدائـن الرعـب والخطيئـة؟! أم أن إرم هـي البعـد الثالـث للزمـن الحيـوي، وليـس الزمـن الضائـع مـن عمـر التاريـخ؟!

أيتهـا الصحـراء، البيـت الـذي تخفـق الأريـاح والأرواح فيـه، ألسـت أحـب إلى بدويـة الجنـوب، مـن قـصر منيـف؟ وهـي التـي قالـت: «خشـونة عيشـتي في البـدو أشـهى / إلى نفـسي مـن العيـش الطريـف – فـما أبغـي سـوى وطني بديـلا / ومـا أبهـاه مـن وطـن شريـف!

حسـناً إذن، أيـن تقـع المدينـة الفاضلـة؟ ثـم هـل هنالـك مـدن مسـتحيلة؟ ومـا العـروة الوثقـى بـين الذاكـرة والمخيلـة حسـب التصـور الماركيـزي؟

هنـاك تاريـخ غيبـي، يطـل مـن مشربيـة الأرواح المعتقـة بالحنـين، عـلى بلـورة الذاكـرة.. هكـذا بغفلـة مـن غربتنـا الزمنيـة، يديـر حجـر الفلـك باتجـاه إرم، فتنهـض البيـوت مـن هفهفـات الوسـن خلـف سـتائر الصحـراء.. هيـا.. افتحـوا نوافذكـم وأبوابكـم وأحضانكـم للبيـوت.. البيـوت تعـود دائمـاً إلى مشربياتهـا.. وحواءاتهـا.. فمرحبـاً بالنسـاء!

آثار الصومال تسرد قصة ماضيها

عمر عبدالله – مراود

يوجد في الصومال آثار متنوعة، بعضها مكتشف مشهور، ولكن يسودها غموض في فك رموزها، وهناك أماكن غير مكتشفة حالياً منتشرة في داخل جبال وعرة لا يتجرأ باحث الآثار تتبعها منفرداً. لقد كنت من أحد الأشخاص الذين حاولوا اكتشاف آثار لم تكتشف من قبل، وقد كانت نتيجة هذه المحاولة، هي: اكتشافي مناطق متعددة وكهوف كثيرة تحتوي على رسومات وكتابات قديمة، وهذا المقال لا يستوعب كل رحلاتي الأثرية، وإنما هو نبذة قصيرة ما أنجزت خلال بحثي الأثري في مناطق أرض الصومال.

أ: حجر إيدان[1]

قصتي مع هذا الحجر.

نُصب هذا الحجر تحت جبل صغير، وعلى مشارف وادي تفرع من وادي قرية أوبرخدلي يبعد 50 كيلومتراً شمالاً تقريباً، وبالضبط يقع في شمال مدينة هرجيسا. أعتقد أن الحجر تم وضعه هناك لاستخدامه كلوحة كتابية تدون كتابات أثرية تاريخية، وقد شاع استخدام النقوش الحجرية في هذه المنطقة في فترات مختلفة ما قبل التاريخ. وهذه النقوش تشبه تماماً نقوش التي اكتشفناه موقع الأثري المسمى «حجر النبي» الذي يقع شرق قرية طبتو بقياس 40 كيلومتراً قرب وادي الكبير دبس، وحجر النبي كهف على شكل بيت صغير في دخله كتابات قديمة.

في يناير 2015 اتصل بي دليلي وأخبرني بأنه سمع عن بعض الناس يقولون: هناك أماكن يوجد فيها ما يشبه كتابات قديمة، واعتذرت له، وطلبت تأخير السفر في هذا الوقت. في صيف عام 2015 أخبرت دليلي أنني مستعد للسفر، ولم يرعبني الطريق الوعر، وبُعد المسافة، وعدم امتلاكي سيارة توصلني إلى المكان، في يوم 12 مايو قبل صلاة الصبح بدأنا السير على الأقدام، كان الجو مناسباً للسفر، سرنا جوانب الأودية، علّنا نعثر مكاناً أثري، لأن هذه المنطقة مشهورة بآثارها القائمة بجوانب الأودية، دخلنا غابة كثيفة الأشجار، عندها بدأ دليلي يحكي لي عن الأسد والنمر، اشتد الحرّ وأسرعنا السير، حتى تجاوزنا منطقة جبلية وعرة، تحت هذه الجبال تشم رائحة عطرة! والعجب أن الرائحة تفوح بعض أشجار بعيدة عنّا. وأخيراً وصلنا الموقع تمام الساعة الثانية ظهراً.

عرضت هذا الخبر المذهل والصور التي أخذت الموقع بعض الأشخاص المهتمين بالتاريخ في أرض الصومال، فنصحوني بعدم نشر الموضوع في هذا الوقت، وطويت الصور وتقريري المكتوب باللغة الصومالية.

كان الصوماليون هم الذين كتبوا هذه النقوش على ما يعتقد المؤرخون الصوماليون، وكذلك النقوش التي اكتشفناها في كهوف عدة في شمال وشرق وجنوب هرجيسا، على ما أعتقد،

كان الصوماليون يعيشون في داخل الكهوف، وتركوا آثار حياتهم اليومية مصورة في تلك الكهوف.

ب: بيت عدادلي

كان الصوماليون يعيشون في عصور ما قبل التاريخ داخل الكهوف، وكانت القبائل الصومالية في ذلك الوقت تسكن هذه الكهوف كمأوى لها ومسكن، وقد ذكر كُتّاب اليونان بصفاتهم وتقاليدهم، وهذه الكهوف منتشرة في كل المناطق الصومالية خاصة الجبلية. يقول استرابون: ويعيش التروغلوديتي ـ الصوماليين ـ حياة البدو الرحل ويقف على رأس كل قبيلة من قبائلهم زعيم حاكم مطلق الصلاحيات.

التروغلوديتي كلمة إنجليزية Troglodyte وتعني إنسان الكهف، وأصل الكلمة جاء من اليونان، ومما يؤكد أن كُتّاب اليونان يعنون الصوماليين قول بليني الكبير: ثم يأتي بعد ذلك رأس يبعد عن البر الأصلي زهاء خمسين ميلاً، حيث يقطنه ساكنو الكهوف، ثم قبائل تهواني (Thoani)، وأكطاي (Actaei)). وهذا الرأس هو رأس التوابل أو القرن الجنوبي، ورأس عسير يطلق عليه ملاحو العرب، أما اسم غواردفوي فقد استخدمه البرتغاليون لأول مرة، GUARDAFUN. ويقع في أقصى شرق إفريقيا في إقليم بري الصومالي.

لا أحد يعرف متى انتقل الصوماليون من الكهوف إلى الأكواخ الصغيرة التي يبنونها باستعمال أغصان

الأشجار المربوط بعضها إلى بعض في شكل نصف كروي، ويغطّي سقوفها أغطية من الحصير المسمى «رار». ويسمى هذا الكوخ أقَلْ صُومَالي (كوخ الرعاة)، ويمتاز بسهولة حله وتركيبه، ويضع الراعي أجزاء هذا الكوخ فوق بعيره عند انتقاله من مكان لآخر.

وهذا البيت الذي نراه في تحت العنوان هو بيت صنع من حجر، وكأنه بيت يوحي من تراث الصومال الأصيل من جانب السكن؛ لأن البيت صُنع على شكل بيت الصومالي المسمى «أقل صومالي»، اكتشفته مصادفة في نوفمبر عام 2014، وفي داخله نقوش وصور إنسان وحيوانات، والمنطقة كلها تحتوي على رسومات ونقوش متنوعة في فترات تاريخية متتالية، ويفتح لنا هذا المجال لدارسة تاريخ مهم عاشه الصوماليون في ذلك الوقت. سميته بيت عدادلي؛ لأنه يقع شمال مدينة عدادلي.

جـ: مدينة سيارة أو زيارة

هي مدينة قديمة مندثرة كانت ذات حضارة وثراء، فلم يبق منها سوى بعض الآثار القليلة، تقع سيارة في شرق مدينة بربرة على الساحل على بعد 30 كلم، كانت من مكتشفاتنا الأثرية، أخذنا أواني كثيرة مكسّرة، ووضعناها في متحف وزارة السياحة في أرض الصومال. اتضحت بعد ذلك أنها أوان صينية في عصر إمبرطورية المينج.

لم يبق من المدينة إلا جدران منهدمة؛ وذلك أن الرمال المتحركة طغت المدينة، ودفنت بيوتها، وهي المدينة التي لجأ إليها بنو سعدالدين حينما جاؤوا من اليمن، بعد قتل أبيهم الإمام سعد الدين في جزيرة زيلع التي تسمى اليوم باسمه.

يقول ابن ماجد:

إن كنت طالق من سيارا والقرنتين أصلح الأسوارا

إذا أردت السفر في سيارة أو القرنتين أصلح الأسوار: يعني جوانب السفينة، وإصلاحها يعني تقوية ما ضعف منها، وترميم ما تلف فيها.

أمك طنقو:
طقوس الاستمطار في تونس قديماً

د. زينب قندوز غربال
أستاذ مساعد - جامعة القيروان - تونس

نشأ الورع مع حاجة الإنسان البدائي لتأنيس الطبيعة من حوله، وتفسير ظواهرها، والسيطرة على مظاهرها. ولقد وظف هذا الإنسان كل طاقاته وإمكاناته وقدراته من أجل ذلك، وكانت الطقوس - التي نشأت في رحاب المعتقد ودرجت في حجره - أقرب هذه الوسائل، وأهمّها، وأكثرها نجاعة؛ لما تمتلكه الطقوس الشعبية من قدرة على فرض نفوذها على سرائر النفس البشرية، وقوى روحية غير عادية... وصار المعتقد سبيلاً ليدرأ بني آدم خطراً، أو يجلب نفعاً، أو يمثّل طقساً، أو يفسّر معميّاً... «كثيرة تلك الطقوس المتجذّرة في تراثنا اللّامادي، وكثيرة تلك الممارسات الاحتفالية لعادات في مواقيت وأهلّة معيّنة... معتقدات ضاربة في أعماق الحسّ الديني الإيماني للفرد الذي عمل على إحيائها كلما قست الطبيعة واشتدّ بأسها».

هنا تستوقفنا واحدة من الشعائر الشعبية في البلاد التونسية بغرض التضرع والدعاء للمطر... أصوات الصبية بين الأزقة تتعالى تسترحم السماء غيثاً نافعاً واسقين بين أياديهم «عروسة الشوالق» أو «القايمة الشهلولة». لعلّ التسمية تحمل في طياتها توصيفاً لشخصية «أمك طنقو»؛ هي عبارة عن «قايمة» ومجموع «شوالق» بتشكّلها تأخذ هيئة دمية عملاقة.

الأصل والرمز في فهم معتقداتنا

عقيدة وشواهد

طقوس الاستمطار من شعائر العرب منذ القدم، إذ يقول الجاحظ: «كانوا إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد عليهم البلاء، واشتد الجذب، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا، وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابهم وبين عراقيبها السلع والعشب، ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع، فكانوا يرون ذلك من أسباب السقيا». كذلك، ومن عادة أهل مكة إذا أجذبوا رشوا على أنفسهم الماء وتطيبوا، وطافوا بالكعبة، ولبسوا ملابسهم بالمقلوب تيمناً بانقلاب الحال، وصعدوا بالبقر جبل «أبي قبيس» تيمناً بمغيب الشمس، وانعقاد الغيوم، وهطول الأمطار.

عرفت منطقة المغرب الكبير طقوس الاستسقاء منذ القديم «وتواصلت إلى تواريخ ليست بالبعيدة عن أيامنا، سواء في الوسط البربري أو المجال الأعرابي الهلالي[1]»[2] وتعرف هذه الطقوس باسم «أمّ التّنقو» أو «أمّ القطنبو» تصحيفاً لكلمة temple اللاتينية أي المعبد، فتكلّست في الذاكرة لأجيال لتصلنا على هذه الشاكلة.

شخصية «تنقو» تستوقفنا في أكثر من محل؛ تسميات متعدّدة والهيئة واحدة. في المغرب مثلاً تتمثل طقوس «تاسليت أونزار» أو «تلغنجا/ تاغنجا» في التطواف بمغرفة (أغنجا)[3] مكسوة بزي عروس «تاسليت» في موكب تشارك فيه النساء والأطفال، يردّدون الأهازيج والأدعية، ويطوفون عبر الدواوير والقرى والأضرحة، وفي الطريق يتمّ رش الدمية بالماء من أعالي البيوت من قبل النسوة، ويتم تحصيل وتسلم العطايا والصدقات من الأهالي، حيث تخصص موادها لتهيئة مأدبة طقوسية تقام قرب مجرى نهر أو على بيدر، أو في مزار، أو على قمة مرتفع حسب المناطق. هذه هي الخطوط العريضة لهذا الطقس، لكن بالطبع هناك اختلافات كثيرة في شكل الدمية والمواد التي تتخذ منها العروس أو كسوتها، أو في لقبها والأهازيج التي يتم ترديدها.

التاغنجة أو البوغنجة

(الصورة من تابلبالة ناحية بشار من الجزائر).

«أمك طنبو» أو تاغريت نـ ووزال موجودة في مناطق متعددة من شمال إفريقيا بأسماء مختلفة، وخصوصية «أمك طنبو الجبل» الليبية أنها تجمع مجموعة من مؤشرات عذريتها منها أنها تلبس (أبحنوق)، وهو غطاء رأس للفتاة غير المتزوجة (تاقيارت)[4]، يصنع العمود الذي تقف عليه من صارح (أرْطا)، (تمنطي)، واليدين من مغرف البازين، ويحمل الصبية الهيكل ليجوبوا به الأزقة تجسيداً لطقس العروس التي تهرب من بيت أهلها عند جلب أهل العريس الصّرّة، ولا تعود إلى حين خروجهم من الدار. هذا وينبغي على العروس الهاربة أن تعود حافية القدمين إلى بيت أهلها، وذلك لجلب المطر، وهو من طقوس الاستسقاء التي يمارسها الليبيون منذ عهود قديمة. وتقول الروايات الشعبية أنه يحرم ضرب الأخ أو الأخت به، حيث الضرب به يؤدي للعقم، وهي حالة ثانية للإخصاب. وهناك خرافات متعددة تحيط بأمك طنبو.

هل أمك طنبو هي التانيت؟

في الميثولوجيا القرطاجية آلهة الخصوبة والرضاعة والمطر هي «تانيت»، وتوازيها في الثقافة الشعبية التونسية «أم التنقو» أو «القايمة الشهلولة». لقد اعتبرت تانيت عند القرطاجين القدامى المعبود الأول وحامية مدينة قرطاج، وهي الأشهر على الإطلاق... كما أنها احتلت المرتبة الأولى في النصوص القرطاجية منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وهي تعد ذات أصلٍ فينيقي كآلهة الخصوبة والسماء والأمومة وازدهار الحياة، مماثلة بذلك لعشتار الفينيقية والبابلية.

رمز «التانيت» مثلث، وأحياناً أخرى شبه منحرف، ويعني «القمر بصورة هلال»، تعلوه دائرة هي بمثابة «الرأس»، ويفصل بينهما خط أفقي ينتهي بانحناءة عند طرفيه وهو بمثابة «الذراعين». وهذا الشكل في جملته هو شكل امرأة بطريقة مبسطة جداً، لقد شكل التركيب البسيط لرمز «تانيت» من أشكال هندسية حادة وذات المنحنيات، صورة توحي على أنها امرأة ترتدي ثوباً طويلاً، وهي ترفع ذراعيها.

كان للتانيت رمز معروف يتمثل في مثلث يعلوه دائرة ويفصل بينهما خط أفقي ويمثل هذا الرمز امرأة، وقد وجد هذا الرمز في آلاف النذر الجنائزية وفي المنازل والأواني الفخارية بقرطاج وكركوان وعديد المدن البونية الأخرى.

رمز التانيت في أحد المنازل بكركوان

عموماً، فإن عديد المختصين والباحثين أثبتوا في كتاباتهم أن أمك طنقو هي امتداد للآلهة القرطاجية التانيت، فآلهة الخصوبة القرطاجية كانت تحمل الغيث النافع للسكان، وتواصل الاعتقاد بذلك إلى اليوم، لكن تم تغيير الاسم من التانيت إلى طنقو أو طنبو، وتم إلغاء الطابع الوثني لهذه الإلهة لتستحيل معتقداً شعبياً وواحداً من أهم طقوس جلب الغيث والمطر.

جولة مع «أمك تنقو»

حسبما جاء في مقال الدكتور محمّد الناصر صدّيقي «طقوس الاستمطار في العادة والمعتقد» أن شخصيتنا هي عبارة عن عروسة يدوية الصنع، تقوم كبيرة العرش أو الدّوّار بصنعها للأطفال. وتقوم هذه العجوز بربط قطعتي خشب بشكل متقاطع بما يشبه الصليب، وتُلبس ثياب إنسيّة مزركشة وتوضع عليها قلادة من «السخاب»[5]، وفي الغالب تكون كسوة القايمة/ أم التنقو خضراء اللون تيمّناً ببردة النبيّ محمد، صلّى الله عليه وسلّم، ذات اللون الأخضر. أما وجه (أمك تنقو)/ القايمة الشهلولة، فيكون في شكل كرة بيضاء من القماش محشوّة بالصوف، وتُزيّن العين والوجه بأدوات الزينة المستعملة عند النسوة آنذاك، بعد ذلك تعطى العروس «الشهلولة» للأطفال، لتقوم برحلة التطواف[6] بين الأزقة والأنهج تضرعاً..

يخرج بأمك طنقو أو أمك طنبو للاستسقاء وطلب الغيث، وكان الأطفال يلبسون دمية على شكل صليب خرقاً ويطوفون بها في الحي وهم يغنون:

أمك طنبو شهلولة ** ان شاء الله تروح مبلولة
أمك طنبو باسخايبها ** طلبت ربي ما خيبها
أمك طنبو يا لولاد ** ان شاء الله تروح بالواد

وكانت النساء بالحي يخرجن ويرششن الدمية بالماء، وعندما لا ينزل الغيث يقومون بحرق الدمية. لكن عند نزول المطر يغنون:

يا مطيرة خالتي ** صب على قطايتي
قطايتي مبلولة ** بالزيت والزيتونة

طقس أمك طنقو

توجد هذه العادة بكامل أنحاء البلاد التونسية، فقد تحدث أحمد الحمروني في كتابه (تستور وثائق ودراسات) عن ممارسة هذه العادة في مدينة تستور الأندلسية قائلاً: «تنشد بنتان وهما تشدان منديلاً أخضر أو تلبسان فستاناً بالأكمام لإحدى قوائم المنسج مشدودة إلى قصبة مرفوعة على شكل صليب، وعليها منديل أخضر وينشدن:

شهلولة يا شهلولة ** إن شاء الله تروح مبلولة
يا ربي تنظر لنا ** وأحنا صغار أش عملنا

فتخرِج النساء من ديارهن أواني مملوءة ويرششن بها المنديل». وحسب عثمان الكعاك هذه نسخة أخرى من أغنية أمك طمبو:

امك طمبو يا صغار ** طلبت ربي عالنوار
امك طمبو يا لولاد ** غسلت جبهتها في الواد
يا الله ويا الله ** صب الغيث ان شاء الله

كما كانت نساء مدن الوسط الغربي إذا شحت قريتهن من

الماء يطفن البيوت لجمع لوازم طبخ المحمصة للمأدبة التي ستقام على شرف ولي صالح مشهور اسمه سيدي بن تليس، كما كان الأطفال يطوفون بعصا خشبية ويقولون:

قايمة شهلولة مشيتي شايحة روحتي مبلولة
وكلما مروا بمنزل خرج أحد أفراده ليصب القليل من الماء.

ويقول الصبية أيضاً:

أمك طنبو أعطونا الشعير ** يملأ قدركم بالغدير

تقترن هذه الأغاني طلباً لهطول المطر بجملة من الطقوس والممارسات الشعبية وفي صفاقس (عاصمة الجنوب التونسي) تقوم النساء بتسليم قدح من الشعير للأطفال ليطحنوه، معتقدين أن ذلك يجلب الغيث. وتماشياً مع هذه الأغنية يقوم الصبية برفع الشاشية عند ظهور بوادر المطر والسحاب في فصل الصيف.

مازلنا مع بركات «أمك طنقو» التي تلامس المعتقدات الشعبية للمجتمع التونسي بعمق، نجد امتداداً لهذا الطقس الاحتفالي النفعي المرتبط بالخصب مع الجلوة الصفاقسية[7]. فمن بين مراحل الزواج في مدينة صفاقس الجلوة حيث يتم إلباس العروس كسوة خاصة، تعرف بكسوة الجلوة، لونها ذهبي وتقوم «الصناعة» بوصفها والتغني بها على أنغام أهازيج بعينها. وفي أحد المشاهد تقوم العروس بوضع يديها بطريقة أفقية فوق صدرها لتكون رمز التانيت، علّها طريقة لزيادة خصوبة العروس قبل الزواج، بما أن التانيت هي آلهة الخصوبة.

وجه العروس بلجام مطبوع وخطين من الحرقوس فوق الجبين ومشموم من الفيجل مرشوق على شعرها المفروق وسوار يسطع في اليدين ويبهر العينين، وخواتم الفصوص بارزة في أصابعها، وقمجة تخطف الأنظار، وخلخال في الرجلين يرّن رنين الجرس ويهزّ بالفرح النفس، وعندما يصل الأقارب تغطّي الماشطة وجه العروس بتقريطة عكري.

لنختم فنقول:

طقوس عديدة تلك التي نمارسها تيمناً وتضرعاً وتقرباً. ممارسات ضاربة في أعماق الحسّ الديني الإيماني للمجموعة نستحضرها كلّما اشتدّت بنا... كلما قست الطبيعة واشتدّت علينا... تحضرنا الطقوس برمزيتها، فبهذه الفعالية الرمزية التي تتخذها الطقوس لتجييش الذهن الجمعي وتعبئته، تتّضح الوظيفة الحاسمة التي يتخذها في حياة الجماعات. ويمكن القول إنّه لا توجد مجتمعات لا تحتاج إلى تقوية وعيها الجمعي وتثبيته خلال مناسبات محدّدة.

1- أعراب بني هلال ورياح الذين استقروا بعد القرن الخامس الهجري في مجالات مختلفة من المغرب الكبير.

2- محمد الناصر صدّيقي، «طقوس الاستمطار في برّ إفريقيا في العادة والمعتقد، مقال بمجلة الحياة الثقافية العدد 291 (عدد خاص بشهر التراث)، مجلة شهرية تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية، الجمهورية التونسية، الصفحة 49.

3- مغرفة (أغنجا): كلمة تعني ملعقة، في الجنوب التونسي نجد تقريباً المصطلح نفسه (غُنجاية).

4- تاقيارت: فتاة صبية أي بِكر.

5- عقد ينضم من مواد طبيعية أصيلة على غرار القرنفل، المحلب، جوزة شرك، مستكة، زعفران، ريحة العطر، ماء السواك، وزيت الياسمين.

6- مسيرة الغيث.

7- الجلوة هي حفل من حفلات العرس التقليدي (في مدينة صفاقس بالجنوب التونسي) يتم في اليوم الرابع منه، وفيه تبرز العروس في كامل زينتها وحليها وملابسها فتتجلى طلعتها ومفاتنها بعد احتجاب.

أبقِ جذورك ثابتة واجعل أغصانك تستقبل كل الطيور

بدور إبراهيم المعيلي
باحثة - الكويت

لا تحيا الأشجار دون جذور، ولا يبقى الإنسان دون هوية ثقافية وتراث أصيل يميزه، فكما هي الجذور تثبت الأشجار في الأرض، هي العادات والتقاليد وإرث الآباء والأجداد تثبتنا في أرض الوطن، وتجعلنا مزهرين ومثمرين هوية واضحة المعالم ثابته مميزة.

ليست هذه دعوة لأن نكون أشخاصاً منغلقين على ثقافتنا دون الالتفات إلى الثقافات الأخرى، والتي هي الأخرى تميزت بإرثها التراثي، إنما أن نتعايش معها ونتعرف عليها ونستقبلها دون الانسلاخ من هويتنا الأساسية. فذلك التنوع الثقافي الذي نعيشه بشكل مباشر من خلال اختلاطنا مع الثقافات الأخرى في الحياة العامة أو غير مباشر كتلقيها من البرامج والإعلانات والأفلام وغيرها من وسائل الإعلام التي تجعلنا نستقبل تلك الثقافات ونكتسبها، هي عبارة عن عملية تتطور من خلالها المجتمعات، فالثقافة كيان متغير.

نريد من أبنائنا أن يحملوا بداخلهم ما توارثناه من آبائنا وأجدادنا، حتى لا يكون لدينا جيل بلا ذاكرة تقذفه أمواج الثقافات المختلفة بين شواطئها، فيشعر بغربة دائمة ونقص مستمر. إن صون التراث والاعتزاز به وحفظه واجب علينا دون رفض الثقافات الأخرى.

ويتميز التراث الثقافي الخاص بدول الخليج على هوية مشتركة تجمعهم تحت سقف واحد، على الرغم من اختلاف بعض الأشياء البسيطة، نظراً لاختلاف اللهجات وبعض الممارسات، فعلى سبيل المثال القصص والحزاوي الشعبية التي تتخذ بها سندريلا أسماء عديدة منها سميميكة (التراث الكويتي)، وحمدة والفسكرة (التراث البحريني)، وهناك العديد من المسميات في بقية دول الخليج العربي والدول العربية الأخرى، تحمل الفكرة والمضمون نفسهما، ولكنها لا تُذكر، وإنما طبع اسم سندريلا في ذاكرة أبنائنا، وهُمش ما يحمل طابعنا الثقافي في حمدة والفسكرة أو سميميكة، والتي لا تقل حماسة وخيالاً وفكراً جميلاً مُأطراً بعاداتنا وتقاليدنا وملابسنا الشعبية.

فتراثنا غني بكل ما هو ممتع وشائق، يحمل معه عاداتنا وتقاليدنا التي تمتاز بنكهة خاصة وأصالة وعراقة لا مثيل لها. فلا بأس من أن تستقبل أغصانك جميع الطيور، ولكن لا تقتلع جذورك من الأرض، واجعلها ثابتة.

من رياضات الماضي في التراث الموريتاني

محمدٌ سالم جدُّ
كاتب صحفي - موريتانيا

كانت للموريتانيين رياضاتهم الذهنية النابعة من موروثهم التراكمي ممزوجاً بخصائصهم الحضارية، ولهم رياضاتهم البدنية النابعة من بيئتهم، المعتمدةُ على وسائلهم، الممتزجةُ بحياتهم؛ وهي رياضات لها أدبها وقوانينها وأعرافها ومفرداتها وأساليبها ونوادرها وأبطالها وضحاياها. وإذا اقتصرت على تلك البدنية التي انقرضت تقريباً، ثم على أهم ما شاهدته بنفسي، فسأتحدث عن ثلاث رياضات، هي المسابقة والمصارعة وضرب الكرة.

1. المسابقة:

كانت تجري على الإبل، وربما جرت على الحمير، إذا كان المتسابقون أطفالاً أو نحوهم، وقد تجري على الأقدام نادراً، وسمعت أنها تجري على الخيل، ولكن هذه لم تكن في المنطقة التي نشأت بها؛ بل لم أرها قبل إقامتي بالعاصمة.

ومن شأن ذي الثقة في مركوبه ألّا يستخدم العصا، وإنما يكتفي بالهمز بقدمه أو التلويح بطرف لثامه. ومن الإبل ما يطوي المضمار (يسمونه المرجع، بترقيق الراء) بسرعة، ولكنه يرتبك في النهاية فيزيغ يميناً أو شمالاً فتزيد عليه المسافة لذلك، ويخجل راكبه، ويكون الفوز من نصيب منافسه. وغالباً ما تدور الدائرة على المتحدي، ولا أدري هل يكون تحديه سبب الانتباه إلى ذلك وشهرته.

ومن أخطر المنافسين من يخادع مسابِقَه ليفوز عليه، كأن يكبت مركوبه ويكفكفه حتى يغتر منافسه بالتقدم الوهمي، ويتعب مركوبه، فإذا قل المتبقي من المسافة أطلق المخادعُ الزمامَ لمركوبه ونهره أو ضربه، فيسبق في الخطوات الأخيرة!

كان الناس يستقبلون الفائز برمي القماش على جمله، وكان هذا يحرص على النزول فور وصوله - ولو بالوثب إن ضاق الوقت - تأكيداً لفوزه، ومن براعته أن يحط رحله قبل وصول خصمه، ومنهم من يحل الوضين والذناب في الأمتار الأخيرة من المضمار، فيُنزِل رحله معه!

ومن أطرف ما رأيت مما يتعلق بهذه الرياضة حادثة جرت قريباً نسبياً؛ ففي

الثامن والعشرين من نوفمبر سنة 1985 كانت موريتانيا تخلد مرور ربع قرن على استقلالها، وكان أول احتفاء بتلك الذكرى في عهد معاوية؛ للأمرين معاً جرى الاحتفال بطريقة استعراضية، وعلى صعد مختلفة، وبمظاهر متنوعة.

كنت يومها في وادي الناقة، وجرت الأنشطة تحت إشراف الحاكم وقتها، وكان من ضمنها مسابقة للركبان، وعند نقطة الانطلاق كان راكب يجوب الأرض لحاجته، فرأى علامات الاستعداد للسباق التي لا تخطئها عين عارف بها، فأطلق الزمام لبعيره دون معرفة بموضوع السباق، وإنما لإثبات جدارة بعيره، ووصل ثانياً فنال احتفاء من الجمهور ومن سلطات المقاطعة ووجهائها أثار استغرابه، وتسلّم عشرين ألف أوقية، وحينها بدأ يفهم كنه الأمر! ثم واصل رحلته إلى حيث لا أدري.

لم أمارس هذه الرياضة على كثرة ما شاهدت منها، وحبي لركوب الإبل؛ أو

على الأصح مارستها مرة واحدة بطريقة شاذة!

في مساء من يناير 1984 كنت وصديقاً لي في مثل عمري (21 سنة)، في سفر على جمل للصديق، وتخفيفاً لوطأة السفر كنا نلجأ إلى النوادر القولية والفعلية، فقلت له إن بإمكاني أن أسبق الجمل، فكذبني معتزاً بسرعة «الحيمر »، وأكدت له قولي، ولما أصرّ كلانا على رأيه حددنا شجرة تناهز 100 متر من حيث كنا، ونزلتُ، وانطلقنا معاً فسبقت الجمل بأمتار.

ولأن هذا ضار «بسمعة» الجمل، فقد كتمته حتى الآن جبراً لخاطر صديقي العزيز الذي ربما كان جمله أغنى عليه الزمان، كما أغنى على رأسه الذي غزاه التصحر، كما يغزو سائر المناطق الخصبة.

2. المصارعة:

كانت من رياضات الفتيان، ولها طرق لم أرها فيما قرأت عنه أو شاهدته من الرياضات، ولم تهتم السلطات الموريتانية المتعاقبة بالحفاظ عليها، بله تقديمها إلى العالم؛ وهو إهمال لا يختص بها وإنما الحديث الآن عنها.

تمثل عبارة «تِيعْرَيْشْ» إعلان التحدي، وقد يصاحبها انحناء من قائلها يشبه الركوع، إظهاراً لاقتران التحدي اللفظي بالاستعداد البدني. هنا ينهض المتحدي إلى خصمه الذي يكون في الغالب قد تأهب، فيحتزم بلثامه أو بدراعته عاقداً كميها عند قفاه، ويقلب الجزء الأسفل منها، ثم يعقد طرفيها خلف ظهره (تسمى هذه الطريقة أم اللفاغية، وقلب اللفاغية)، وقد يُمر طرفها من بين رجليه (وتسمى هذه أم اشمالة)، وربما زاد برفع رجلي سرواله وكان مواليد ما بعد الاستقلال (1960) يكتفون في الغالب بخلع الدراعة وإحكام السروال حول الوسط، أما رفع أرجل السراويل فلم يعد ممكناً بعد ما صارت تصميمات ماكينات الخياطة مستخدمة؛ لأنها تجعل فتحتي الرجلين ضيقتين يصعب أن تتجاوزا الركبتين أحياناً. لكن الواثقين بقدراتهم لا يحتزمون أصلاً، وإنما يصارعون ويمارسون أغلب الأعمال العضلية كما هم! وهو ما يعجب له غير الموريتاني حين يراهم يعومون في ثياب فضفاضة يخالها تعوقهم.

يفتل المصارع رجله برجل مصارعه (وغالباً ما تكونان اليمنيين)، ثم يكون هدف كل منهما رفع الآخر وتحريره من الجاذبية الأرضية. ومن المحرمات إمساك المرفوع بثوب رافعه، وإمساك كليهما ما لا يشارك في العملية من أعضاء البدن، فإذا رفعه بحيث لم يبق له تشبث بالأرض، ولا بما يليها من خصمه فقد غلبه؛ وأهل النخوة لا يستحسنون ضرب الأرض بالمصارع بعد إظهار القدرة عليه، وإنما يرسلونه برفق، إلا أن أغلب المصارعين يرمي قرنه إلى الأرض، ولا يبالي على أي جسده كان مصرعه! وقد تحدث الكسور جراء ذلك.

وقد يكون المصارع ماكراً، فيستسلم لخصمه حتى إذا اغتر برفعه عاد برشاقة إلى الأرض فرفعه على غرة وطوح به!

3. لعب الكرة (تسمى التود):

رياضة كانت ذات شعبية عالية، وفي بداية طفولتي كنت أرى الكرات تعد من قطع جلد محشوة بالخرق البالية بطريقة تضمن خفتها وتكويرها شبه الكاملين. ومنذ عام 1970 بدأت أرى كرات التنس التي لم أعتقد في البداية إلا أنها صنعت لأجل تلك الرياضة بالذات، وكنا ندعوها «لمزيقبه» (تصغير ذات الزغب)، تمييزاً لها عن تلك الجلدية.

كانت لهذه الرياضة – كسابقتيها - أعرافها ومفرداتها ووسائلها وأساليبها وأنصارها؛ بل وأدبها أيضاً. وربما حسم الفوز فيها النزاع بين المتفاخرين. وكان من يخطئها يرمى بأنه «أكول للزبدة» وكان الزُّبْد إداماً شهياً للطعام، وربما تجنبه الرجال لما وصم به من أن الزبدة «تنفش» الرجال!

وكان لعبها يتم وفق طريقتين تعتمدان على العصي، وينطبق على كلتيهما المثل الشعبي «المطلوب من الكرة الجري» وتتفقان في الوقت (المساء):

1. التعوام؛ ويسمى «اتْحَورِيرْ» أيضاً (بترقيق الراءين)، وهو أن يضرب كل لاعب الكرة في الهواء، فيستبق إليها من هوت إلى ناحيتهم، وغالباً ما يضربها أحدهم قبل أن تصل إلى الأرض، وكان شأنه أخف من سواه، لعدم وجود غالب ولا مغلوب فيه.
2. الغلب أو «قسمة التود»، وتجري بطريقة معقدة إلى حد ما، وتعتمد على عصي معقوفة النهايات تسمى «لغواريف» ومفردها «غَوْرَافة»،

ومنهم من يفسر بها قول النابغة الذبياني:

خطاطيف حجن في حبال متينة
تمد بها أيد إليك نوازع.

ولا يخفى عدم الانطباق التام للبيت على ما وصفته.

ولهذه الطريقة أساليب تتفق في جزئيات وتختلف في أخرى.

أ. اتراكيز؛ وهو توزيع اللاعبين على أساس تحديد كفاء لكل لاعب، ثم ينقسمون إلى فريقين بناء على ذلك.

ب. اتعاصير؛ ويقوم على أساس مواليد الفترات الزمنية (الأعصار)، بحيث يلعب لدات فترة ضد لدات أخرى (عصر ضد عصر)، وتقضي قوانين اللعبة بأن كل «عصر» ضد سابقه ولاحقه؛ فإذا كانت المباراة بين 5 و6 فإن 1، 3، 7، 9، يلعبون لمصلحة 5 تلقائياً، بينما يلعب 2، 4، 6، 8، 10، لمصلحة 6 تلقائياً أيضاً، ويسمى أقرب الأكابر من أنصاره سناً إليه آباءه، والباقون جدوده. أما أنصاره من الأصاغر فأبناؤه وإن نزلوا.

تتيح هذه الطريقة اللعب لجميع من أراد، ولكنها لا تضمن التماثل بين الفريقين؛ فهذا يعود إلى وفرة كل «عصر» ثم إلى الحاضرين منه.

ج. طريقة النقر (الانتقاء)، وتبدأ بكلمات غريبة يتبادلها اثنان من الفريقين (غالباً ما يكونان قائديهما)، أوردُها للتاريخ، ونكاية بمن عشقوا اللغات الأجنبية:

- بِتّيرْمَة (تنطق التاء شيناً فارسية ممالة).
- بِلّيرمة (اللام ممالة).
- انبتُّو (تنطق التاء شيناً فارسية مشددة).
- انحلكُ.
- انشلگُ.
- انبلگُ (اللامات الثلاثة مغلظة).
- حولي عنك بالنگره.
- انگر وابرك.
- ناگر.. (ويذكر اسم لاعب).

- ناگر.. (ويذكر اسم آخر).

وهكذا يختار كل منهما لاعباً على التناوب حتى ينتهي الحاضرون، وإذا كان في اللاعبين شخص مرغوب حرص كل منهما على أن يكون البادئ بالكلمات أعلاه؛ لأنها فردية العدد؛ ومن ثم يفضي تسلسلها بمن بدأ (قائل بِتّيرْمَه) إلى أن يختار قبل غيره. وإذا كان أحد الفريقين يلعب ضد الريح زيد بلاعب على الذي يلعب معها.

تحدد نقطتان يكون وصول الكرة إلى إحداهما انتصاراً لمن يلعب في ذاك الاتجاه، وقد يكون الفوز بتخلي المنافسين عن الدفاع؛ وهي طريقة تقوم على الصبر وطول النفس، وقد لا يتجاوز الأمر دورة واحدة خلال اليوم، وقد لا يتحقق فوز على الإطلاق.

حين يتحدد الفريقان ينبثان في اتجاهي اللعب على أساس التوجيهات والكفاءات، وينقسم اللاعبون إلى ثلاثة أقسام:

- الحواصة (بمثابة المهاجمين).
- الرياظة (المدافعين).
- الغرتالة (لاعبي الوسط).

حين يتأهب الطرفان يبدأ اللعب، وتكون انطلاقته من نقطة الوسط بين النهايتين (تسمى الْمَوْرْدَة)، إذا كانتا محددتين، فإن كان النصر بتخلي المدافعين لم تكن حاجة إلى تحديد نقطة الانطلاق.

في الحالين إما أن ترمى الكرة إلى أعلى فيتلقفها ممثلا الطرفين بعصويهما ليضربها من أصابها إلى الجهة التي يلعب إليها، وإما أن تدفن على عمق قريب، ثم ينتدب شخص من كل فريق فيبدأان ضرب موضعها بالتناوب – لكن بسرعة - حتى يصيبها أحدهما فيطيرها إلى حيث يريد؛ وبذا ينطلق اللعب.

من المحظورات لمس الكرة باليد، فإن حدث أعيدت اللعبة من البداية، وقد يكتفى بإعادتها إلى موضعها قبل المخالفة، وعلى كل يكون استئناف اللعب بدفنها أو رميها في الهواء على التفصيل الآنف.

أما لمسها بالرِّجْل فلا حرج فيه إلا أنه يعرض الفاعل للإصابة بعصي اللاعبين.

كما أن من المحظورات جعل الكرة عن يسار اللاعب، لأن في ذلك عرقلة للمنافسين الذين يلعبون في عكس اتجاهه؛ لذا يسمى «اگليع الزر» (انتزاع الجانب) ويعاقب عليه بدفع الفاعل بعنف مصحوب بكلمة «زرّك!» (جانبك!)

ومن سوء حظ الأعسر ألّا يجد من يتفهم دافعه، وإذا كان اللاعب أضبط (يعمل بيديه معاً) حمل عصوين (تثنية عصا) فلعب بيمناه في الازدحام، فإذا خلا له الميدان لعب بيسراه.

إذا أصيب لاعب أو انكسرت عصاه أو تعطل عن اللعب أعلنها فريقه بالقول: «مانَّ الكم» (لسنا لكم، والمقصود بها لسنا جاهزين)، فيوقف اللعب إلى أن يستكمل الطرف المعني استعداده، أو يعوض لاعبه أو ينقص المنافسون نظيراً له.

كان هذا في جنوب غرب موريتانيا حيث نشأت، وربما يختلف الحال باختلاف النواحي.

حان إغلاق المتحف!

من رمسة أهل الإمارات

د.سالم زايد الطنيجي
كاتب وباحث - الإمارات

يعدّ التراث الثقافي في دولة الإمارات العربية المتحدة زاخر بالكثير من مفردات الثقافة الإماراتية، وتعتبر اللغة كأداة للتواصل الاجتماعي من الأدوات المهمة في هذه العملية، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي تبذلها الدولة في الحفاظ على هذا الموروث التراثي الزاخر والغني، من خلال المهرجانات التراثية والأيام الثقافية والأنشطة والفعاليات، إيماناً منها بالدور الكبير الذي تلعبه هذه الملتقيات من التذكير بالثقافة الإماراتية من جهة، ومن جهةٍ أخرى هناك هدف آخر هو ربط الماضي بالحاضر، وربط الأصالة بالمعاصرة، ومن خلال قراءة المشهد التراثي نجد بوضوح كبير الجهود التي بذلت من قبل القائمين على المؤسسات التراثية للحفاظ على هذا الإرث الحضاري، وهذه الكنوز الغنية بالثقافة الشعبية للمجتمع، والتي توارثتها الأجيال، جيل بعد جيل، حتى وقتنا الحاضر.

وتعد اللهجة الإماراتية (الرمسة) غنية بالكثير من المفردات الشعبية، التي تستخدم في حدود واسعة، ولكنها في وقتنا الحاضر لا توظّف بالطريقة المثلى، وأحياناً يلاحظ أن بعض المفردات أصبحت في طيّ النسيان، واللهجة الإماراتية القديمة يمكننا إحياءها من جديد، من خلال وسائل وأنشطة وفعاليات عدّة؛ لأن إحياء اللهجة مرهون تماماً بمدى استخدامها في الحياة اليومية، وهذا ليس بالشأن الصعب الذي يمنعنا من القيام بذلك؛ لذا نحن جميعاً مسؤولون عن ثقافتنا الشعبية وكمسؤولية مجتمعية، يجب علينا البحث عن أدوات جديدة، تمكننا من بعث هذه الكلمات القديمة من جديد، وبما أننا نعيش عصر التحول الرقمي، وعصر التواصل الاجتماعي الذي سهّل لنا إيصال هذه الثقافة ونشرها وتوضيح تفاصيلها، يمكننا أن نستخدم هذه الأدوات ونبتكر فيها ونقدمها بطريقة إبداعية لنشرها وتوصيلها للملأ، وهذه هي الغاية السامية التي تمكننا من الحفاظ عليها، وعلى ربط الأجيال الجديدة بالماضي العريق.

والمفردات في (رمسة) الإمارات زاخرة بقوة المعاني ووضوح التعبير، ونجد الكثير من المفردات الشعبية الجميلة التي تحتاج إلى نفض التراب عنها وإيصالها للمتلقي؛ لأن الكثير من الأجيال في وقتنا الحاضر لديهم تعطّش لمعرفة هذه الكلمات لتوظيفها في السياق الصحيح. وهناك الكثير من الكلمات التي تستخدم في المواقف الحياتية، ولكنني سوف أركز على بعض الكلمات التي تستخدم في الشرب للماء أو غيره، ونجد بعض الكلمات منها مثلاً:

يَغْمَهْ: وهذه المفردة من الكلمات التي لايزال الكثيرون يقولونها في المواقف التي يتم شرب الماء فيها. فيقال سوف آخذ يغمه واحدة من الماء أو العصير أو أي مشروب بوجه عام.

شَفَّهَ: وهي كلمة تقال في أخذ شيء بسيط من الماء ويعادل الشفاه التي ارتبطت بهذه الكلمة.

شَرْبَهَ: من الكلمات التي تقال بعد الارتواء من شرب الماء، وكثيراً ما نسمع بأنها كانت شربة هنية من هذا الماء أو الحليب.

صُبُوحْ: من الكلمات التي ترتبط بالشرب كذلك، ولكنها أساساً ترتبط بشرب حليب الإبل، وهنا يقال أين الصبوح؟ هل تم

حلب الناقة وسخنّو الصبوح؟ والصبوح لدى أهل الصحراء من العادات اليومية لشرب حليب الإبل الذي لا يعرف مذاقه الكثير من الأفراد، ولكنه شيء أساسي لدى البدو.

أرَيّ: وهي مفردة من المفردات القديمة في اللهجة الإماراتية وهي دعوة من صاحب المكان، المجلس أو البيت لشرب الحليب، وخاصة حليب النوق، الذي كما أسلفت له طقوس شعبية في حلبه وتقديمه للضيوف.

غْبُوقْ: وهذه الكلمة من الكلمات المشهورة لدى البدو في الإمارات، وهي ترتبط بشرب حليب الإبل في الفترة المسائية، وهنا اعتاد مربو الإبل حلبها مساء؛ لشرب حليبها وتقديمه لضيوفهم؛ لأنه يعد من المشروبات المهمة التي تقدم لهم، كونه موجوداً بوفرة لديهم، ويرتبط بمكوناته التي تعدّ غذاء صحياً كاملاً اعتاده أبناء البادية.

شَرْقَهَ: هذه المفردة كذلك تقال عندما يحس الشارب بحدوث مشكلة ما في الحنجرة أثناء شربه الماء، فيقال فلان شَرَقْ.

وبما أن اللغة كأداة من الأدوات المهمة في التواصل الإنساني في المجتمعات، تتغير كثيراً ويطرأ على مفرداتها التبدّل، وحلول كلمات بدلاً من كلمات، ولكن (الرمسة) الإماراتية لها خصوصية ترتبط بالواقع المعاش في هذا المجتمع من قديم الزمان، هنا نجد جهوداً كبيرة تبذل في التوثيق لحفظ هذه الأداة من طيّ النسيان؛ لأننا اليوم نواجه تحديات كبيرة، وغزواً ثقافياً ليس له حدود مانعة، ومن ثم يطلب الأمر بتكثيف الجهود من الجميع للمحافظة على نكهة هذه اللهجة لارتباطها بالهوية الوطنية.

وبالتالي ثقافة الجميع هي مسؤولية الكل، ليست جهة واحدة فقط، وإنما الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام والأندية بمختلف أنواعها لها جزء من المسؤولية، ولذا تكاتف الجهود هو السبيل الوحيد لاختصار الزمن لنشر هذه الثقافة المحلية بدلاً من ترك الحبل على الغارب وجلد الذات بعد فوات الأوان.

أتمنى أن نجد الكثير من الفعاليات والأنشطة الثقافية التي توجّه لمصلحة مفردات الثقافة الإماراتية لإيصال هذه المفردات الجميلة للقراء والباحثين، صحيح أن هناك جهوداً تبذل من المؤسسات المرتبطة بالتراث، ولكننا بحاجة إلى المزيد من الجهود النوعية التي تبرز هذه الخصوصية الثقافية لهذا المجتمع المتجذر في عمق الأصالة، هذه مجرد أمنية وأنتم سفراء الثقافة الإماراتية في كل مكان.

أنتَ أبــدى..
لا والله أبداً.. الناس مقامات

عبدالله خلفان الهامور
كاتب وباحث تراثي ـ الإمارات

عبارات ومثلها كثير من الألفاظ والتي بدأنا نفقدها وتلاشت من قاموس لهجتنا وحياتنا، عبارات تحمل بين طياتها الاحترام والتقدير لكل إنسان نعرفه أو لا نعرفه، عبارات تبعدنا عن الأنانية وعن شخصية (الأنا)، هذه الشخصية التي استشرت في مجتمعنا، فأصبح بعض أفراد المجتمع يفاخر بها، ويتبع المقولة المشهورة من أحد البلدان العربية والتي تقول (يا أرض إنهدي ما عليك قدي)، لا يرى إلا نفسه، هذه حياة من يملأ فراغه بالهواء، حياة من يجمع نفسه بضياع، هذه الشخصية كانت نادرة الوجود في الماضي، كان المجتمع يعيش على التكاتف والتآزر والتعاون، ذاك المجتمع كان قليلاً في موارده الاقتصادية نعم، ولكنه كثير في موارده الأخلاقية، إن أخلاق آبائنا وأجدادنا هي حضارة بحد ذاتها.

كان (شوابنا) كي يتغلبوا على هذه الأنانية، يستخدمون هذه العبارات الأدبية الأخلاقية مثل: (أنت أبدى.. ما أتقدم عليك.. ما طيع.. ما يصير أنت أكبر.. تقدم الناس مقامات) وغيرها الكثير، وعلى حسب البيئات واللهجات الإماراتية تجد هذه العبارات الحميدة والطيبة، وتأتي هذه العبارات في مواقف عديدة، منها الدخول إلى المجالس، وعند الخروج منها، وفي الأخذ والعطاء، والجلوس في الأماكن، وغيرها من مواقف متكررة في التعاملات اليومية بين الأفراد، فمثلاً عند الدخول إلى المجلس وبوجود عدد من الرجال يقف الجميع قبل الدخول، ويبدأ معهم أمر يسمى (المعازم)، بحيث كل واحد منهم يريد من الآخر أن يتقدم بالدخول وأثناء هذا الأمر تقدم هذه العبارات الأخلاقية، والتي تنم عن سخاء وطيب قائليها، نعم إنه الإيثار على النفس، فهو هنا يقدمه على نفسه لا على غيره، وفي مثل هذه المواقف نستشعر قول الله سبحانه وتعالى: {ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة}، وقوله صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، نقول ونعيد ونكرر أن عاداتنا وأخلاقنا مستمدة من ديننا الحنيف، لذلك يتقبلها العالم وتتقبلها الفطرة السليمة.

والجميل في هذا عندما يحصل (المعازم) يكون كل منهم قد وضع يده خلف ظهر الآخر، أو يده في يد الآخر، ويدفعه بطريقه راقية إلى الأمام ليتقدمه، موقف ومنظر يدل على الروح الحميمية التي يتمتع كل منهم بها، إنها النفوس الراقية، والأجمل في هذه الكلمات أنها كما يقولها الصغير للكبير، كذلك يقولها الكبير للصغير، ولكن لو حصل أن قدم الكبير الصغير، فإن الصغير لا يتقدم أبداً، فنجد معنا مجتمعاً يحترم بعضه بعضاً، هناك تقدير واحترام متبادل بين الجميع، وفي الوقت نفسه هو تعليم ونشر هذه الثقافة بين أبناء المجتمع، إن توارث هذه الآداب يزيد من تماسك الناس واعتزازهم بهذه العادات، كم سوف أكون سعيداً عندما يقدمني أحدهم! وكم سوف يكون هو سعيداً عندما أقدمه.

في إحدى جلسات (يوم الراوي) عام 2017م في إمارة الشارقة، جلست مع الدكتورة عايدة من الصين، فقالت لي حدثني عن عاداتكم وتقاليدكم، فبدأت بالحديث عن بعض العادات والتقاليد الإماراتية، وبعد أن أنهيت حديثي، قالت: «إن عاداتكم هذه إرث للإنسانية، وليست لكم أنتم فقط، لماذا لا تنشرونها للعالم؟ ثم أردفت قائلة: كنت أظن أن الصين بلدٌ عظيم، ولكن الآن أراه صغيراً أمام هذه الأخلاق»، انتهى كلامها.

ألا يحق لنا عندما نسمع مثل هذا الكلام أن نفاخر بعاداتنا وأخلاقنا؟ أليس من الواجب على هذا الجيل أن يتمسك بعاداته ويدافع عنها ويحميها من كل ما يخدش أصالتها؟! فما بالنا اليوم نرى الابن يتقدم على والده، والشاب يتقدم على كبير السن؟! وكم نرى من هذه المناظر أمامنا في المجالس وقد دخل علينا ابن سبق والده في الدخول، ويبدأ بمصافحة الحضور وقد ترك والده خلفه لمسافة، وكأن والده لا يشرّفه في مثل هذه المجالس، ومن المشاهد التي نراها وتحصل أمام أعيننا حينما يقدم كبير السن أحد الشباب، فسرعان ما يتقدم الشاب وكأنها فرصة أتيحت له أن يتقدم على (الشايب)، والذي كان يفترض من الشاب أن يرفض هذا التقديم ويقدم الكبير، ويقول له (أنت الكبير.. لا والله.. مطّيع)، وهنا تتجلى لنا التربية في أسمى معانيها، ويبقى هذا من الاحترام والتقدير لكبار السن، نعم هذا هو المتعارف عليه في المجتمع، بمعنى لو قدمك كبير السن فأنت لا تتقدمه أدباً وإجلالاً له.

التراث والتسامح

عائشة بنت أحمد
كاتبة - الجزائر

شاهدت تلك السعادة في عيونهم، وهم يقفون لساعات عديدة يستمعون مستمتعين بعروض فولكلورية من التراث الجزائري، احتضنه البيت الغربي للتراث، بيت الشيخ سلطان بن صقر القاسمي، في شهر يناير الماضي، في عاصمة الثقافة والتراث الدائمة إمارة الشارقة.

جنسيات متعددة، بخلفيات ثقافية متنوعة، تجمهرت لليالي عدة حول فعاليات عديدة للأسبوع الثقافي الجزائري، والتي تضمنت عروض أزياء، وشعراً شعبياً، ورقصات فولكلورية من مختلف مناطق الجزائر الشاسعة، وأطباقاً شعبية من المطبخ الجزائري القديم، مثل طبق الكسكس المنتشر في منطقة المغرب العربي، إلى جانب أطباق من الحلويات التقليدية في الجزائر، خاصة تلك التي تحضر في المناسبات السعيدة والأعياد.

على الرغم من أن أغلب الحاضرين لم يكونوا من الجالية الجزائرية المقيمة في دولة الإمارات، وأغلبهم لا يفهم اللغة العربية، ومن يتكلم العربية، لا يفهم اللهجة الجزائرية المحلية، التي كان يقدم بها التراث، إلا أنهم طربوا واستمتعوا لبعض الوقت، على إيقاع أنغام لامست وجدانهم، وحركت أحاسيسهم وأنستهم لبعض السويعات، هموم الحياة وقسوة الغربة، والبعد عن الوطن والأهل، وخففت من أعبائها.

لقد سافروا إلى الجزائر على إيقاع الدف وصوت الناي ودق الطبول، وحضروا العرس الجزائري، وشاهدوا بعض تفاصيل العرس التلمساني في منطقة الغرب الجزائري، على أنغام الموسيقى الأندلسية والوهرانية التي تتميز بها هذه المنطقة، وهم واقفون في أماكنهم لم يبرحوها، وآخرون جالسين على كراسيهم لعدد من الساعات، وغادروا وهم معبؤون بفرح، ونشوة لا تقدر على صنعها إلا الفنون والثقافة والموسيقى، مهما كان منبتها وأصلها؛ لأنها ببساطة تخاطب وجدان الإنسان، أي إنسان، مهما كان عرقه أو لونه أو دينه، تخاطب فيه قيم الحب والجمال والسلام والفرح، فتفتح لها قلبوهم ووجدانهم، ويسمح لها بالعبور إلى عالم أعماقهم، دون جواز سفر أو تأشيرة، أو عملية تفتيش ومساءلة، وتبني معها جسوراً من الألفة والصداقة تعجز سنين العشرة عن بنائها.

وقف الجميع وجلسوا جنباً إلى جنب، ورقصوا جميعاً دون أن يسأل أحدهم الآخر من أين هو أو ما هو دينك أو ملتك، أو ماذا تعمل، كانت فقط لحظات للأنس والفرح يظللها التسامح ويلفها بأجنحته، لأن الذين حضروا هم «مجموعة مشاعر الإنسان»، لقد حضر الإنسان إلى جانب أخيه الإنسان، الذي يتشارك معه مشاعر الفرح نفسها، وسعيه الدائم للبحث عن لحظات للسعادة والسلام، مهما كان أصلها ومشربها، وقد استطاعت دارة الشيخ سلطان القاسمي للتراث أن توجدها، في جو من التسامح والألفة والود والبهجة، من خلال هذه الأسابيع الثقافية التراثية، واستضافة الشعوب من بلدان مختلفة المشارب والثقافات من حول العالم، تقدم تراثها وفنونها، وثقافتها التقليدية، لشعوب أخرى؛ لتبني معها من خلال هذا الإرث الإنساني جسوراً للمحبة والسلام والتلاقي، المبني على قيم التسامح الثقافي والإنساني.

أحبك هذا منطوقي

بكيت بيوم ميلادي .. على أرض الشقا ولهان
بكيت بحيل مردودي .. ألم في غربة الأشواق
بكيت وحارت العبرة .. معي في عالم الأحزان
اشوف الحلم يأسرني .. وطير الود بي خفّاق
وعدت أجمع بقا الذكرى .. ادور للقا عنوان
لقيت الدمع يرثيني .. وليلي في الجفا حراق
على شط اللقا عائر .. تجرح اهتي الحرمان
تحطم خطوتي الذكرى .. بدنيا ما بها إشراق
أعيش الحلم في ساعه .. وتطويني به الازمان
وأناحر الفضا عاشق .. طليقٍ للقا توّاق
أجدد عهد موثوقي .. مداده من دم الشريان
باسم الشوق خطيته .. مع كل الوفا دفاق
أحبك .. هذا منطوقي .. ولو صار العمر أكفان
أحبك .. لو على موتي .. حروفك تنعش الأعماق

أميرة الشوق

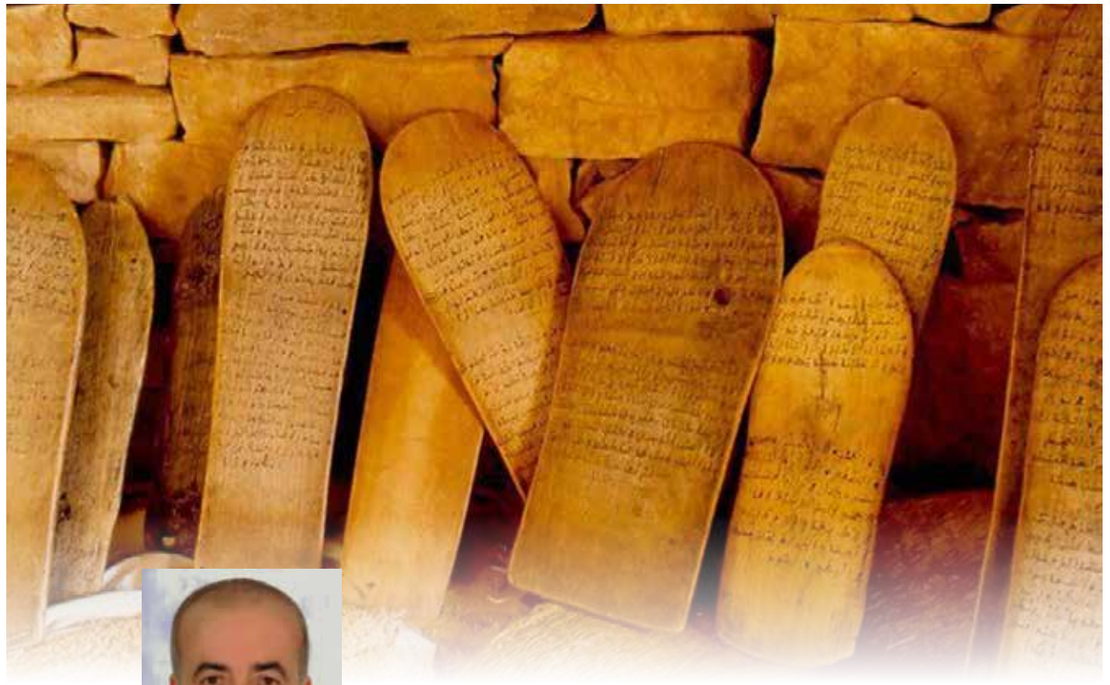

اللوح: الوظيفة والرمز

الزبير مهداد
كاتب وباحث ـ المغرب
mahdad.zober@gmail.com

يعد المكتب من أهم المعاهد الابتدائية الأولية، وقد عرف بأسماء متعددة؛ أشهرها الكتاب والمكتب، كما يعرف باسم «المحظرة» في موريتانيا، و«المسيد» في المغرب، و«المعلمة» في اليمن وجنوب الجزيرة، و«الخلاوي» في السودان.

عرفت هذه المؤسسة ازدهاراً وانتشاراً وتطوراً وتنظيماً بمرور الزمن، وكان حفظة القرآن يعملون بها، وأصبحت مورداً لتزويد حلقات المساجد والمدارس بالمتعلمين، وغدت تشكل أحد مكونات البيئة الاجتماعية، وانعكاساً لأوضاعها الفكرية والاقتصادية.

ويرتبط التعليم في المكاتب باللوح الخشبي، الذي يعد أهم أدوات ووسائل التعليم.

لوح

واللوح ما يلوح، أطلق على كل صفيحة عريضة من صفائح الخشب أو غيره[1]، فعظم الكتف العريض سمي لوحاً أيضاً، وكانت تدون عليه النصوص.

في الكتابات الصوفية هو الكتاب المبين والنفس الكلية[2]، وفي اصطلاحات ابن عربي: اللوح محل التدوين والتسطير المؤجل إلى حد معلوم[3].

وفي عالم الغيب هناك اللوح المحفوظ، أطنب المفسرون في وصف جماله. ويقابله في عالم الشهادة لوح المتعلمين. لوح خشبي بسيط يتخذ من خشب أبيض محلي مصقول، تكتب عليه النصوص والدروس، وارتبط اللوح بهذه المؤسسات

التعليمية ارتباطاً وثيقاً. لازم الحياة التعليمية العربية الإسلامية منذ 15 قرناً، فنال قدسية خاصة بسبب استعمالاته الثقافية الدينية السامية وللوظائف التي أداها.

ومن شدة ارتباط تعليم القرآن الكريم باللوح، أصبحت كلمة اللوح تعني القرآن الكريم في التعليم المحظري في موريتانيا، وأصبح مدرس القرآن يطلق عليه لقب «مدرس اللوح».

وظائفه

كان اللوح أداة تعليمية متعددة الاستعمال:

1. **فهو وعاء للعلم:** يثبت عليه الطالب ما سمعه من شيوخه؛ لذلك خصه المربون بكثير من العناية في كتبهم ورسائلهم التربوية.
2. **هو أداة شرح وإيضاح:** فقد ذكر بعض المؤرخين أن بعض المدرسين المغاربة كانوا يستعملون لوحاً أبيض بين أيديهم لشرح الأشكال والصور المنطقية لتلاميذهم، فحذق عليهم تلاميذهم هذه العلوم ونشروها بالطريقة نفسها في أنحاء المغرب[4].
3. **أداة تحفيظ القرآن:** كان طلبة العلم يكتبون على اللوح الأجزاء المراد حفظها من المتون، فيثبتون القدر الذي يريدون استظهاره، ثم يعيدون قراءته إلى أن يحفظوه عن ظهر قلب. طريقة حفظ القرآن الكريم في الألواح، تلقاها المسلمون جيلاً بعد جيل، ولايزال المغاربة يتبعونها في حفظ القرآن الكريم إلى يومنا هذا.
4. **أداة لتعليم الخط:** بعد انتشار مكاتب التعليم، أصبح معلم الكتاب مطالباً بتحفيظ الصبيان القرآن وتعليم الخط أي الكتابة، وكان شرط تحسين الخط من الأمور المعتبرة في تقدير حذقة المعلم. ولاحظ ابن جبير في رحلته إلى المشرق أن تعليم القرآن في البلاد العربية يكون بالتلقين الشفوي، ولا يكتب منه شيء، أما الخط فيتعلمه بكتابة الأشعار وغيرها، وذلك تنزيهاً لكتاب الله عزّ وجلّ، عن ابتذال الصبيان بالإثبات والمحو[5].

قداسة اللوح

اللوح قطعة من الخشب العادي اختيرت لتكون وعاء لنص مقدس، فبعد اقتطاع الجزء من شجرة، ونحته ومعالجته يصبح لوحاً، وبعد كتابة الآيات عليه يكتسي قداسة خاصة؛ لأنه أصبح وعاء لنص مقدس، لذلك يحظى لوح الطالب بالاحترام والتقدير.

ولعل قلة تكلفة الدراسة على اللوح لإمكان محوه وتجديد الكتابة عليه هي الحافز لاستعماله بدل الرق أو الورق، فالطفل أول ما يطأ بأقدامه حجرة المكتب أو المحظرة للدراسة، يصطحب معه لوحاً ليخط فيه الحروف الأولى الأبجدية ليتعلمها، والآيات الأولى من القرآن ليحفظها، ثم يواصل حياته التعليمية التقليدية عبر اللوح حتى يتمكن من حفظ القرآن حفظاً تاماً غيباً، ويتعلم اللغة كتابة وقراءة وبعض المهارات الحسابية، ويحفظ المتون التقليدية المقررة أيضاً.

ويمتلك طفل الكتاب لوحاً واحداً يتخذه لكتابة النصوص

القرآنية وحفظها وتعلم الكتابة. أما المتعلمون في المستويات العليا في المناطق الجنوبية المغربية، فقد جرت العادة على أن يمتلكوا ألواحاً عدة يدونون عليها ما يتلقونه من الشيوخ المعلمين. ولا تفارقهم لوحاتهم لا في الحي ولا في المرعى.

مسحه والتبرك به

مراعاة لاستعمالات اللوح في كتابة النص القرآني لحفظه، فقد أولته أدبيات التربية الإسلامية عناية خاصة، وكان موضوع حديث في عدد من الكتب، وخص المربون عملية مسحه بحديث مسهب، فأوصوا أن يتم ذلك في موضع طاهر مصون نظيف لا يمشى فيه بالأقدام، ثم يؤخذ الماء الذي يجتمع من المسح فيحفر له في مكان طاهر مصون عن أن تطأه قدم، ويجعل فيه أو يلقى في البحر أو البئر، أو يجعل في إناء طاهر لكي يستشفى به من يختار ذلك الماء، وكذلك الذي يغسل به الخرق بعد المسح، يجعل في موضع بحيث لا يمتهن ويشترط في الخرق الذي يمسح بها الألواح أن تكون طاهرة، وأن يكون الماء الذي تبتل به حين يمسح به طاهراً، والأفضل أن يكون الماء غير مستعمل، وإن أمكن أن يكون حلواً، فهو أولى؛ لأن من الناس من يشربه للاستشفاء به. ويتعين عليه أن يمنع الصبيان مما اعتاده بعضهم من أنهم يمسحون الألواح ببصاقهم، وذلك لا يجوز؛ لأن البصاق مستقذر وفيه امتهان، والموضع موضع ترفيع وتعظيم وتبجيل، فيجل عن ذلك وينزه[6].

وقد جرت العادة أن يستعمل هذا الماء في الاستشفاء، وفي الاحتماء من الآفات. ومرد ذلك إلى بعض السلف، وذكره ابن القيم، رحمه الله، يكتب آيات في لوح أو في صحن أو في قرطاس في زعفران مثلاً ثم يغسله ويشربه أو يرشه على بدنه لا حرج في ذلك.

الاحتفاء به

بالنظر إلى ارتباط الطالب بلوحه الدراسي، فإن اللوح كان حاضراً بقوة أثناء الاحتفاء بالطلبة وتكريمهم، ففي كثير من البلدان الإسلامية كالعراق ومصر والمغرب توارث الناس طقوساً كثيرة للاحتفاء باللوح، وإظهار التقدير للمعرفة، من خلال الاحتفاء بالطفل حافظ القرآن الذي كانت تقام له زفة تشبه زفة العرس وتسمى «زفة الختم»، ويعد لها إعداداً من قبل المعلم وأهل الطالب؛ إذ يزين المعلم لوح التلميذ الذي ختم القرآن ويزوّقه رسوم وزخارف جميلة، وبعض الآيات الكريمة من القرآن، وهي في الغالب آية الكرسي لما لها من الاعتبار في الوجدان الشعبي، وقد يكفت بالذهب والفضة ويجعلونه في خرقة من الحرير أثناء حفل الختم فيسمى «لوح الإطرافة»، يحمل الصبي هذا اللوح إلى منزله، وأحياناً يمتطي الصبي صهوة فرس مطهم معد خصيصاً للمناسبة، وهذا الموكب يتألف من الصبيان رفاق خاتم القرآن لابسين أبهى ما لديهم من لباس، يحملون الأعلام، مصحوبين بالفرق الموسيقية وقارعي الطبول الذين يرقص الصبيان على نغمات قرعهم وعزفهم في مظهر احتفالي نادر، ويختمون جولتهم بالتوقف في دار الصبي خاتم القرآن، حيث ينتظرهم حفل كبير[7].

ذكر ابن الحاج أن النساء كن يضعن عند رأس الصبي الوليد في ليلة السابع الختمة واللوح والدواة والقلم، وهي أهم الأدوات التعليمية في المكتب الدراسي، توضع هذه الأدوات بجانب بعض ما يؤكل من خبز وحلوى، وإذا كان الصباح فرقت النساء ذلك زاعمات أن فيه بركة، وأنه ينفع في علاج الصداع، ويعتقدن أيضاً بأن الملائكة تكتب بالدواة والقلم ما يجري على المولود في عمره إلى حين موته[8].

أما في «العواشر»، وهي الأيام القليلة التي تسبق الأعياد وتليها، كعيد الفطر والأضحى والمولد النبوي وعاشوراء، فقد جرت العادة أن يقوم المعلم بتزويق لوح بآيات من القرآن الكريم، ويغلفه بثوب حرير أحمر أو أرقط، ويجعله فوق قصبة يحملها الأولاد ويطوفون بها على الديار، رافعين أصواتهم بنشيد خاص، ويجمعون ما يعطى لهم من زرع أو غيره مما

يتصدق به الرجال أو النساء اللواتي يتبركن باللوح[9].

كما جرى العرف في الأقاليم السوسية الجنوبية بالمغرب، أن العروس المتعلمة، حين تزف إلى زوجها، تصحب معها إلى بيت الزوجية لوحها الذي تعلمت فيه[10]، وتضمه إلى صدرها، حتى تحظى بالتوقير والاحترام الذي تستحقه لتعلمها وحفظها القرآن الكريم، ولا تكلف بالأعمال التي لا تطيقها أو تستهجنها كالاحتطاب أو السقي أو خدمة البهائم في الحظائر أو غيرها من الأشغال التي لا تحبها النساء.

ومن طريف ما يذكر في هذا الباب أيضاً عن أهمية اللوح تأثيره في سياسة البلدان وتاريخها، فإنه كان وسيلة يستشفع بها لدى السلاطين، وقد حكى ابن غازي المكناسي أن الشيخ ابن أبي محلى منصور بن حزوز خرج مع صبيان المكاتب بألواحهم فوق رؤوسهم شفعاء لأهل بلدهم مكناسة عند سلطان الموحدين لما قدم عندهم وقبل شفاعتهم[11]، ولو لم يهتد هذا المؤدب إلى هذه الحيلة لحل بأهل مكناسة من المكروه ما لا يعلمه إلا الله.

في الأدب المحظري

كان للوح نصيب من الأدب المحظري. نظم الشيخ محمد بن حنبل الموريتاني (ت1303هـ/ 1885م) في اللوح أبيات لطيفة، نختم المقالة بهذه المختارات.

عِمْ صباحاً، أفلحتَ كلَّ فَلاحِ — فيكَ يا لوحُ لمْ أطعْ ألفَ لاحِ
أنتَ يا لوحُ صاحبِي وأنيسِي — وشِفائِي مِن غُلَّتي ولُوَاحِي
فانتصاحُ امرِئٍ يَرُومُ اعتياضِي — طلبَ الوَفْرِ منكَ شرُّ انتصاحِ
بكَ لا بالثَّرا كَلِفتُ قديماً — ومُحَيَّاكَ لا وُجوهِ المِلاحِ.

1- لسان العرب، القاهرة، دار المعارف، الجزء5، ص 4095

2- أبوحاقة: أحمد (مشرف) معجم النفائس الكبير، بيروت، دار النفائس 2007، ص 1820

3- الكاشاني، عبدالرزاق: معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق عبدالعال شاهين، دار المنار، القاهرة 1992، ص 91

4- حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1976، جزء 1 ص 98

5- رحلة ابن بطوطة، تحقيق محمد عبدالمنعم العريان، دار إحياء العلوم بيروت 1987، ص 110؛ وأيضاً رحلة ابن جبير، تحقيق علي كنعان، دار السويدي، أبوظبي 2008، ص213

6- ابن الحاج، المدخل، القاهرة، دار الحديث 1981، جزء2، ص 318، وأيضاً عبدالقادر العافية: الحياة الثقافية بشفشاون، الرباط، وزارة الأوقاف1982، ص182

7- ابن الحاج، المرجع نفسه، جزء3، ص 290

8- ابن الحاج، المرجع نفسه والصفحة أيضاً.

9- السوسي، محمد المختار: المعسول، الدار البيضاء، مطبعة النجاح 1962، الجزء 1 ص 34

10- السوسي، نفسه، الجزء3 ص40

11- العثماني، محمد بن غازي: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط، المطبعة الملكية، 1964، ص 33

12- أوردها البابطين في معجمه في الإنترنت.

الرمز في الفن الشعبي اليمني

د.ماجدة الشيباني
أستاذ مساعد بجامعة الحديدة ـ اليمن
magishebany@gmail.com

إن التراث مقوّم جوهري وأساسي من مقومات الشخصية الثقافية والحضارية، والتراث الفني من أهم المراجع لحياة الشعوب، ويمثل التراث مجموعة القيم المتواصلة التي يعيش عليها الإنسان عبر العصور، ولايزال يهتم بها ويعشقها ويخلدها؛ لأنها تمثل إنسانيته وقيمه المتبقية، وهو الجذر لكل شيء، ومن دونه لا يستقيم شيء، أو تطرد مسيرته. وترتبط الفنون الجميلة بالتراث ارتباطاً وثيقاً، والتراث هنا يعني تجارب السلف المنعكسة في الآثار التي تركوها ومازال تأثيرها حتى عصرنا الحاضر، والفنان المعاصر عليه أن يستوعب ما تركه السلف من فنون، ومعرفة ما سجله الفنان في أعماله الفنية، فكلما كانت له قدم راسخة في التراث الفني، دلّ ذلك على عمق نظرته.

والمهم في عمق هذه النظرة، أن يخرج منها بجديد، فالفنان بقدر ما يستوعب، لابد أن تكون له وجهة نظر مفسّرة ومعبرة عما هو جديد، فإضافته أو إعادة صياغته للتراث والفنون الشعبية يساعد على التطور والإبداع في أعماله الفنية.

وترجع الفنون الشعبية بصفة عامة إلى الأصول المحلية للشعوب، وتعبر عن طابعها القومي الأصيل، مما يجعل لها أهمية إنسانية كبيرة، حيث تشكل طريقاً لحضارة الإنسان عبر العصور، ومهما تعددت الفنون الشعبية وتنوعت مظاهرها ومجالاتها المختلفة، فهي مصدر مهم ومتسع يشبع إلهام الفنانين، كما أنها ترضي ذوق من يشاهدها بوعي ورؤية متفتحة، كذلك فهي من المجالات المهمة التي يمكن الاعتماد عليها في تربية النشء من الوجهة الفنية والجمالية.

والواقع أن التفاعل بين الإنسان وبيئته يتوقف على إدراكه تلك البيئة ومعرفته بها، فإلى جانب ما يحيط به من بيئة طبيعية، هناك أيضاً بيئة اجتماعية لها نظمها وعقائدها وعاداتها وتقاليدها.

وتعدّ البيئة الشعبية اليمنية بيئة غنية وزاخرة بالتراث الفني، فقد تميزت الأرض اليمنية بتاريخ قديم، وقيام حضارات مختلفة على مر الأزمنة، ونظراً لهذا التاريخ، فالإنسان اليمني ينتمي منذ القدم لأرضه وبيئته، مما جعله يبحث دوماً عن العناصر والوسائل التي تساعده على التعبير عن وجوده من خلال شتى مجالات الفنون، كالفن المعماري المنقطع النظير، فاليمنيون يهتمون كثيراً بزخرفة منازلهم أينما

كانت، فلا يكاد يخلو أي منزل في اليمن من الزخرفة أو الكتابة أو الألوان الزاهية أو الرموز المتعلقة بالمعتقدات المتوارثة... كذلك الأزياء الشعبية، والحلي الفضية، حيث الأشكال والعناصر والوحدات والتركيبات والتكوينات والصياغات التي احتوت على معانٍ رمزية تشكيلية ترتبط بثقافة المجتمع.

كما نجد أن المعتقدات التي يؤمن بها المجتمع كانت أصلاً معتقدات دينية، ثم تحولت إلى أشكال أخرى جديدة، فمثلاً كان يعتقد الإنسان الشعبي بالتمائم والتعاويذ من أجل منع الحسد واتقاء شره، فظهرت وسائل متعددة للتعبير عن ذلك بتشكيلات رمزية، أهمها رموز الحماية من الأرواح الشريرة (الجن)، أو الحسد والعين، وذلك من خلال استخدام الصورة الكتابية والرمزية التي تعبر عن الحماية أو التحصين، ويتم وضعها على الأبواب والمداخل الرئيسة. فقد حرص المعماري اليمني في شبام

حضرموت، على وضع قرون الوعول أو رؤوس الثيران في المنازل طلباً للبركة ومنعاً للحسد.

فالفنان الشعبي اليمني عند قيامه بإنتاجه الفني، يعكس ارتباطه بالمعتقدات والتقاليد الاجتماعية البدوية الموروثة، فحقق بذلك تشكيلات فنية متكاملة.

وبذلك يمكن القول إن التراث يربط الفرد بالماضي، ويجعله على وعي بالحاضر، واستشراف للمستقبل، وهو الذي يهيئ الحوافز على الإبداع والتجديد، ومسايرة التغير في البيئة للفرد، ومثل هذه الوظائف الحيوية يجعل التراث الشعبي قادراً على البقاء والتطور، محتفظاً بأصالته ومرونته.

النّاي الصّغير

شهرزاد العربي

مع أنغام الناي كان محمد يقضي أغلب أوقاته، يعزف لأوقات طويلة ألحاناً شجية، كأنها قصائد رثاء في ابنه الذي فارق الحياة مبكراً، تاركاً وراءه زوجة حُبْلى.

أخذ الحزن بمجامع نفس محمد، حتى عندما كان يُدْعى إلى الأفراح ليطرب الناس بأنغامه الأصيلة، فقد ظلت ألحانه حزينة، إلى أن تبدّد حزنه، بعد أن أنجبت جميلة زوجة ابنه مولوداً كأنه البدر.

فرح محمد بهذا الصغير، وسمّاه أحمد، وعاد إليه الأمل في أن يجعل من حفيده وريثاً له في فنه، فلم يكن هناك في جميع البلاد من يضاهي محمداً في العزف على الناي.

ومع الأيام كبر أحمد، وأصبح يرافق جده إلى كل الأفراح، الذي علمه العزف، حتى إنه صنع له ناياً صغيراً يتلاءم مع حجم يديه الصغيرتين، وأناملة الرقيقة.

أحب أحمد نايه كثيراً، لكنه كان معجباً بناي جده أكثر، وبراعته في إطلاق الألحان المختلفة منه، فما لبث أن حمله وجرب العزف عليه، كلما سمحت له الفرصة.

ذات يوم عندما كان الجد في الخارج عمد أحمد إلى الناي، وحاول العزف عليه كما يفعل جده، فلم يفلح، وببراءة طفل في عمره، فكر في أنه إذا وضع نايه الصغير داخل ناي جده يستطيع أن يتبع خطوات العزف ببراعة جده.

عندما عاد الجد إلى البيت، وقبل أن يصل، سمع ألحاناً غريبة تنبعث من بيته، فظن أن أحد أصدقائه قد جاء لزيارته، وتعجب من تلك الألحان الجميلة، التي بدت كأنها تنطلق من آلات موسيقية مختلفة، فحثَّ الخطا، ولما دخل داره وجد أحمد في ساحتها بمفرده يعزف ذلك اللحن، وكان مندمجاً فلم يتنبه إلى دخول جده.. بعد فترة أوقفه جده، وسأله:

ــ من علمك هذا اللحن يا بُنَيَّ؟!

فرد الطفل:

ــ لقد أردت من نايي أن يتبع نايك، لأتعلم أكثر أثناء غيابك عني.

دُهش الرجل مما رأى وسمع، فقد أصبحت هذه الآلة تعطي أنغاماً طويلة غير تلك الأنغام القصيرة والحادة، وكبر أحمد مع الأيام، وكبرت معه موهبته الربانية بفضل دروس جده واجتهاده.

كان أحمد يحب الخروج إلى البراري والعزف هناك، فيرى الحيوانات قد مالت برؤوسها مصغية لألحانه، عازفة عن الأكل.

وذات يوم بينما هو يعزف، إذ به يسمع صوت غناء يتردد صداه في الأرجاء، فتوقف ليستمع إلى صوت الغناء وصاحبته، لكن الصوت اختفى، فظن أحمد أنه واهم، وأن المكان هو الذي أوحى له بهذه التخيلات، فعاد إلى عزفه، فعاد الغناء من جديد، فتوقف ليتأكد من مصدره، فتوقف الغناء هذه المرة أيضاً، زاد استغراب أحمد وخاف أيضاً، فعاد إلى البيت، لكنه ظل يفكر فيما سمع، وقرر العودة إلى هناك.

عندما وصل تفحص المكان كمن يبحث عن شيء مفقود، وعندما اطمأن، تسلق جذع شجرة، واستقر

على غصن متين وراح يعزف ألحانه الجميلة، وكالعادة أحاطت به حيوانات الغابة، تستمع إليه مرة، وتتجه شمالاً مرة أخرى، متتبعة صوت الغناء.

نزل أحمد عن الشجرة، وهو مستمر في العزف يتبع الحيوانات، حيث مصدر الصوت، وفجأة وجد نفسه أمام فتاة جميلة في ثياب بلون الغابة، وشعر أسود منسدل، وعينان زرقاوان واسعتان كأنهما البحر.

دُهش أحمد من هذا المنظر، وكفَّ عن العزف، وبقي سؤاله حبيس شفتيه لا يجرؤ على النطق به.

ابتسمت الفتاة بعد أن توقّفت هي الأخرى عن الغناء، وقالت له:

ــ أهلاً بك يا أحمد، عزفك على الناي جميل جداً، حتى إنه جعل كل حيوانات الغابة تهرع إليك.

أطالت الفتاة الكلام حتى يطمئن أحمد وتهدأ نفسه، لكن ذلك لم يحدث، فسارعت إلى القول:

ــ لا شك في أنك تريد أن تعرف من أنا!

توقفت لحظة، ثم استطردت قائلة:

ــ أنا جنّية بئر الغناء، أسكن هذه الغابة منذ عهود، وظيفتي كانت حماية الحيوانات من الصيادين، فقد كان هناك كثيرون ممن عرفوا أن الموسيقى قد تأخذ بعقول الكائنات، ولهم أصوات جميلة، فكانوا يعزفون الألحان ويغنون، فتسير إليهم الحيوانات فيأخذونها طوعاً، حتى كادت الغابة تفنى، فتمَّ تكليفي الرد على غناء الصيادين بغناء آخر، فتعود الحيوانات إليَّ فتنجو.

هنا قال أحمد:

ــ لكني لست صياداً.

ــ علمت ذلك، ولهذا لم أحولك بسحري إلى حيوان أو شجرة أو حتى صخرة.

قاطعها أحمد:

ــ لكن كيف عرفت اسمي؟

ضحكت، وأجابته:

ــ أعرفك منذ كنت طفلاً صغيراً، وبالتحديد يوم وضعت نايك في ناي جدك لتتبع خطاه في العزف، فجعلني عزفك أظل يقظة لحماية الحيوانات، التي كانت تغدو كأنها لا تريد شيئاً في الوجود غير سماع الألحان

قال لها أحمد:

ــ ما كنتُ أعرفُ أن الحيوانات تحب الموسيقى بهذا القدر.

فردت عليه جنية بئر الغناء:

ــ تاريخ الموسيقى وأثرها في البشر والحيوانات والشجر والصخر معروف منذ القدم، وهناك في التاريخ البشري أساطير كثيرة عن موسيقى عازفين كانت تجعل الكائن غير واعٍ لنفسه، فتقوده الألحان حيث يريد صاحبها.

هنا كانت الشمس قد بدت تميل نحو المغيب، فقالت له الجنية:

ــ اذهب الآن، وواصل عزفك، وأنا سأحرص على سلامة مملكتي وحيواناتها.

عاد أحمد إلى البيت غير مصدق ما رأى وسمع، لكنه أخذ بكلام جنية بئر الغناء، فكان دائماً يعود ليعزف بنايه وهي تغني، وذات يوم تفقده أهله وأصحابه فلم يجدوه، وظل العزف والغناء يُسمع في غابة بئر الغناء إلى اليوم.

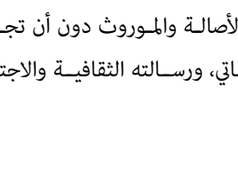

خضير الزيدي
كاتب - العراق

طابع الفنون الإسلامية جَمال في الأشكال وإبداع في المحتوى

تشكّل الفنون الإسلامية منذ عصور قديمة، حالة استثنائية في طرح مضامين الجَمال، وتنوّع الأشكال الزخرفية. وقد بدت للناظرين كأنها طاقة تفيض سحراً روحانياً، حيث يغلب عليها الدقة في التصميم والحرفة العالية في التكوين، بالإضافة إلى أبعادها الروحية والتعبيرية، ومن يقف متأملاً أمام ما شيّدته الدولة الأموية من مساجد كثيرة، وطريقة إنشاء وتصوير الزخارف واعتماد النقوش والأقواس في هذا الفن، ويتابع ما أسّسه العباسيون في بغداد من قيم في توازن الخصائص الفنية، وتناسب الخطوط واستقامتها، سينتهي به القول إلى معرفة أهمية تلك الفنون، وما وجهتُهُ مخيلة الفنان وهي تتعاطى مع الأصالة والموروث دون أن تجرد تلك العناصر من الواقع الحياتي، ورسالته الثقافية والاجتماعية،

ومن أجل معرفة المزيد من ميزات الفن الإسلامي، توقفنا مع نخبة من أساتذة الفن في بغداد، وكانت جولتنا الأولى مع الفنان الدكتور جواد الزيدي، أستاذ مادة الخط والزخرفة في كلية الفنون الجميلة في بغداد، موضحاً لنا بالتفصيل ما تعنيه هذه التسمية، وما أنواع هذا الفن العريق، وكيف تشكلت نواته، وبمن تأثر، ليرشدنا إلى معلومته التي تؤكد أن الفن الإسلامي يضم ثلاثة فنون، هي الخط العربي والزخرفة والعمارة، وتضاف إليها فيما بعد فنون التصوير الإسلامي، مثل مدرسة بغداد للتصوير أو المدرسة الفارسية وغيرها من المدارس الخمس التي ظهرت في العصر العباسي، والتصوير الإسلامي على الرغم من تماثله مع فنون التصوير الأخرى، من حيث الآلية والخامة، إلا أنه ينحرف قليلاً عن مسار هذا الجنس الفني فيما يتعلق بالرؤية الإسلامية التي تبتعد عن التجسيم أو التصوير المنظوري، وكراهية تصوير الرموز الدينية، أما العمارة فإنها تقترب بجانب، وتبتعد من جانب آخر، الأول يختص بالقصور والأبنية الحكومية، والجانب الثاني هو العمارة الدينية مثل المساجد والجوامع، بما لديها من مخططات بنائية مختلفة، ومعالجات عمارية. بينما للدكتور عاصم عبد الأمير، أستاذ الجماليات في كلية الفنون الجميلة، رأي آخر وإشارة ذات بعد تاريخي، مبيناً أن الفنون الإسلامية نتاج عقيدة وحدانية، أطاحت العقائد التعددية التي كان عليها العرب قبل الإسلام. والتي حاربت الوثنية فيها، وأبطلت تمددها في شبه الجزيرة العربية، التي لم تعرف الحضارة كما اليمن والعراق وسوريا ومصر.

أسهم الفنان المسلم بعد فتح الأمصار في تكييف الفنون البيزنطية والساسانية، بما يوافق الفكر الديني المجرد، نظرياً على الأقل؛ لأن المسلمين وبفعل التمدد في الحواضر الأخرى، أصبحوا أكثر ثراء من الكفار، حسب رأي المفكر علي الوردي، لهذا يبدو الفن الإسلامي نتاج أطروحة مزدوجة، منها ما يخص الإيمان بالعقيدة الجديدة، وأخرى تستجيب لمبدأ التحريم الذي كرّسه الفقه الديني؛ لهذا ترى سيادة التجريد والكفّ عن التشخيص، وهو ما يميز هذا الفن منذ نشأته حتى يومنا هذا، من جهة أخرى طرحنا تساؤلاً مفاده: ما الذي يميز الفن الإسلامي جمالياً، وما خصائصه الفنية والتعبيرية التي يتفرد بها هذا الفن قياساً بالفنون الأخرى؟ الفنان والناقد التشكيلي كاظم نوير، يبيّن أن ما يميزه يكمن في الروحانية والحيوية العالية التي يحملها، أي التعبير عن الجانب الروحي بوساطة الفن، فيما سمي بالفن التجريدي أو الروحي، ولذلك كان فناً تجريدياً في الغالب، أو يميل إلى التسطيح، وتغييب المنظور المادي أو الحسّي، وتغييب علاقات الزمان والمكان بوصفهما حاضنة فضائية للمادة أو الأثقال، ويميل إلى التكرار في الوحدات البصرية، لإضاعة المركز البصري، والدخول في تسبيح بصري يتصاعد ليشير إلى الذكر وتسبيح الله، والسمو الروحاني للعبد، بعد تغييبه الجسمانيات لمصلحة الروحانيات.

هناك مدارس متعددة للفن الإسلامي، أغلبها اعتمد الفنون الحضارية للبلدان قبل دخولها الإسلام، من مثل الحضارة الرافدينية أو الحضارة الفارسية، ولعل الواضح لدينا أن من خصائصه التسطيح والتجريد، وتغييب المنظور، وتعدد المراكز والانتشار، والتلاعب بالحجوم والقياسات، والميل للإحاطة والابتعاد عن الحجمية والأثقال، وتوظيف الخط بفعالية أكثر، وهو يميل إلى الزخرفية، ويميل إلى المفاهيمية والكلية، وتعدد الأزمنة والأمكنة، أو ما يسمى التزامن، وبعضه استعمل ووظف أكثر من منظور، وبعضه وظف ما سمي بالمنظور اللولبي. وهو فن في الغالب يبتعد عن الحسيات، ولكن هذا لا يعني أنه لم يوظف الأشكال الحسية في وحداته، لكنه لم يجعلها الأساس في اشتغالاته، عكس الفن الغربي. أما ما يخص الزخرفة الإسلامية، فهي فن إيقاعي وموسيقي يعتمد على العناصر الفنية المجردة في علاقات فنية وبصرية، ويؤكد التكرار. وللزخرفة أنماط متعددة منها الهندسية والعضوية والكتابية والمتداخل أو الخليط أو الهجين، يعتمد في أغلبه على الخط وحركته والألوان النقية، له بعد تزييني وجمالي صرف، ومنه له بعد روحي يرتبط ببعض سمات التي أكدها الإسلام، وبالطبع هناك آراء مختلفة في أسباب الاهتمام به عند المسلمين، وجعله في أساس الفنون الإسلامية. ومن كل هذه التوصيفات نجد أن قيمة الفن الإسلامي لم تزل حيّة، ومهما امتدت السنوات سيشكل ظاهرة جمالية لا يمكن أن تبتعد عن رؤية وذهنية المشاهد الذي يتأمل منارة المساجد وقبابها، وزخارف الخطوط وأنواعها، أو يقف بسكون حيث المقرنصات والنقوش والأقواس الهندسية التي أبدعها الفنان العربي منذ زمن الفتوحات الإسلامية حتى يومنا هذا.

رقصة غوما

تحرير: رستم كبوا
ترجمة: أسماء طارق

رقصة «غوما» هي رقصة تقليدية، وهي رقصة مشهورة في جزيرة «لامو» أو «أرخيل لامو»، الذي يقع في كينيا، ويأتي مصطلح «غوما» من كلمة «تقوما»، التي تعني الطبل الكبير الحجم، وهو طبل إماراتي يستخدم في رقصة «لليوة»، ويسمى «بالشيندو»، وهي أيضاً كلمة سواحلية تعني الصوت العالي. تجسد هذه الرقصة الشعبية تعابير الفخر والاعتزاز، حيث يظهر الرجال الراقصون اعتزازهم ضمن الحركات الإيقاعية لصوت وقرع الطبول، وباستخدام العصا (الباكورة)، وهي عصا خشبية تصنع من الخيزران، ويتم الإمساك بها باليد اليمنى، بحيث تكون أعلى من مستوى أكتافهم اليسرى، وتتشابه هذه الرقصة بالرقصة الإماراتية «العيالة والحدبية»، من حيث الحركات الجماعية، واستخدام العصا في الرقص، وطريقة الوقوف، وتعرض هذه الرقصة احتفاء بعادات المجتمع وتقاليده العريقة، من أعياد دينية ومناسبات وطنية وخاصة، كالأعراس، والختان، الحصاد، والصيد. كما يتم عرضها عند إطلاق عرض جديد.

وتوجد هناك أنواع مختلفة من رقصة «غوما» التي تأتي من أجزاء مختلفة من الجزر السواحلية، النوع الأول يكون عبارة عن صفين متقابلين من الرجال، ثم يتبادل الصفان إلقاء الشعر أو القصيد القادم من مجتمع المزارعين المقيمين على الشواطئ المقابلة للجزر.

النوع الآخر يكون من الجانب الغربي من جزيرة لامو، ويسمى «ماتوندوني» وفي هذا النوع يحملون السيوف بدلاً من العصيّ.

أما النوع الأخير، وهو الأقدم والأكثر شهرة، فهو «غوما لاسيو» وهي ولاية سواحلية، كانت قوية قبل العصر العماني، ولاقى هذا النوع إقبالاً كبيراً فهو إيقاع متناغم، وهو أصل رقصة «غوما».

أصدره الأرشيف الوطني

«جندي في شبه الجزيرة العربية» يستعرض فصلاً من تاريخ الإمارات

الكتاب: جندي في شبه الجزيرة العربية

الناشر: الأرشيف الوطني، أبوظبي، 2018م، الطبعة الأولى، 174 صفحة

تأليف: ديفيد نيلد

الكتاب سيرة ذاتية لمؤلفه، يحكي فيه مراحل حياته العملية، ويورد فيه أدق التفصيلات عن ذكرياته في أثناء عمله في قوة الساحل، وعن الأحداث التي جرت في المنطقة، ومشاهداته وانطباعاته الشخصية عن الناس والمكان، وعمله في قوة رأس الخيمة المتحركة التي أشرف عليها وقادها، وعلاقته بحاكم رأس الخيمة الشيخ صقر بن محمد القاسمي – رحمه الله - ثم مغادرته الإمارات المتصالحة، وعودته ثانية إلى الشارقة، ليشرف على إنشاء الحرس الوطني للإمارة، وأخيراً تركه الحياة العسكرية للعمل التجاري في جنوب إفريقية.

ويعدّ الكتاب فصلاً مهماً في تاريخ الإمارات العربية المتحدة قبل الاتحاد، سجّله رجل قضى زهرة شبابه في أرجائها، ومع حكامها، وبين أهلها، بأسلوب يجمع بين الجانبين العاطفي والموضوعي، يسرد حقائق الأمور والأحداث عن كثب؛ فقد كان شاهد عيان عليها في تلك الفترة.

قدم للكتاب صاحب السمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي، عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم رأس الخيمة، بقوله: «تاريخنا هو الذي يشكلنا بدرجة كبيرة، وتتأثر خبراتنا ونظرتنا إلى الحياة كثيراً بما اتخذه أسلافنا من قرارات، وما أنجزوه من أعمال؛ لذا يتعين علينا أن نعي تاريخنا جيداً وبدقة، إذا كان لنا أن نبني بحكمة على أعمال أسلافنا ومنجزاتهم، بدلاً من أن نظل أسرى لها.

وأضاف سموه تعريفياً بالمؤلف: ديفيد نيلد الذي خدم ضابطاً في «قوة ساحل عُمان» في دورتين منفصلتين، وأسهم في إنشاء قوة رأس الخيمة المتحركة، ثم في إنشاء الحرس الوطني للشارقة، وقد أكسبه التزامه وولاؤه وخبرته العسكرية المهنية ثقة الكثيرين واحترامهم، ومنهم والدي الشيخ صقر بن محمد القاسمي – رحمه الله – وفي كتابه هذا يمزج المؤلف بين روايات شاهد العيان والبحث المدقق، وهذا ما وضع خبراته في سياقها التاريخي».

وفي تمهيده للكتاب يقول المؤلف ديفيد نيلد: في عام 2012 طلب مني صاحب السمو الشيخ سعود بن صقر القاسمي، حاكم رأس الخيمة، أن أكتب أيامي (العسكرية) المبكرة بالمنطقة، مؤكداً أن ذلك يجب أن يكون رواية شخصية، ويجب أن تتضمن أيضاً التفاصيل الخلفية للأحداث المهمة التي وقعت بالمنطقة قبل قيام دولة الإمارات العربية المتحدة.

ويضيف المؤلف: وما إن تلقيت ذلك الطلب من سموه، حتى أيقنت أن الوقت قد حان أخيراً لأعيش الماضي من جديد.

وينطلق المؤلف من التمهيد إلى مقدمة طويلة يستعرض فيها علاقته بمنطقة الإمارات بشكل عام، وبإمارة رأس الخيمة بشكل خاص، وبعد أن يستحضر بعض تاريخ رأس الخيمة، وما شهدته من أحداث وصولاً إلى معاهدة عام 1820 التي جاءت بالسلام والاستقرار البحري في الخليج، وينهي المقدمة

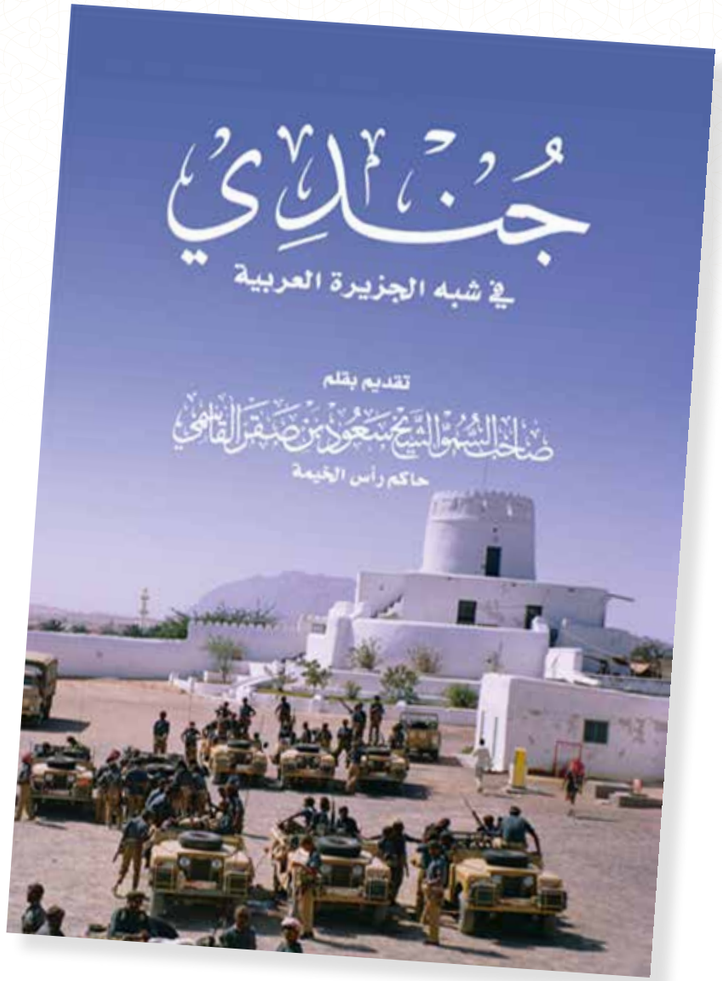

بمعلومات عن تشكيل الكشافة عام 1956، ووضعها كقوة مؤلفة من المقاتلين المتطوعين، تقوم بالحفاظ على الأمن الداخلي في الإمارات السبع.

تبدأ فصول الكتاب بالفصل الأول وعنوانه «عندما أنقذني الجنرال»، وفيه يسرد المؤلف ذكريات التحاقه بالسلك العسكري، وشغفه للانضمام إلى فريق الكشافة أثناء دراسته، ثم يتطرق إلى تاريخه العسكري في سنغافورة، والملايو، وفي تشيستر بالمملكة المتحدة، وانتقاله إلى وظيفة ضابط نقليات في «قوة الساحل».

وفي الفصل الثاني الذي يحمل عنوان «الشارقة وما وراءها»، يرصد فيه وصوله إلى الشارقة ملتحقاً بقوة الساحل في منطقة الخليج، وكيف أمضى الفترة الأولى من الخدمة، وكيف تعرف على العادات والتقاليد العربية، وتعلمه اللغة العربية، ومشاهداته عما كان يحدث في الشارقة، وعن الاستقرار الذي كانت تشهده، وعن طبوغرافية المكان، وبدايات التطور في دبي والشارقة، والأسواق التي انتشرت فيهما.

وينتقل المؤلف إلى العين، ويصف مهامه وطبيعة الحياة هناك،

وما كانت عليه العين حينذاك، ويرصد التغيرات التي حدثت في منطقة البريمي.

الفصل الثالث من الكتاب كان بعنوان «برلين، والخنافس وجون فز كنيدي»، وفيه يسرد المؤلف بعض المغامرات التي مّر بها في كينيا، وعودته إلى برلين الشرقية، ومهامه فيها بمناسبة عيد ميلاد الملكة، ثم يصف واقع الحال في برلين حينذاك، وزيارة الرئيس الأمريكي كنيدي التاريخية إلى برلين، وفي عام 1964 يغادر المؤلف برلين إلى إيرلندا الشمالية، ويحكي عن معاناته هناك، ومن ثم عودته إلى الشارقة في الساحل المتصالح.

ورابع فصول الكتاب «ثلاث بوصات» يحكي ديفيد نيلد فيه قصة تعلمه اللغة العربية في مدرسة اللغة العربية في خورمكسر، حيث كان الدارسون يسكنون في خيام فردية صغيرة ثلاثة أشهر، ولدى عودته إلى الشارقة يشير الكاتب إلى ما فاجأه من تغيرات، كان أبرزها في مجال السياسة؛ إذ نشأت موجة مؤيدة للقومية العربية بالشرق الأوسط.

في أكتوبر 1964 زار وفد من جامعة الدول العربية الإمارات المتصالحة، وقد أعقب ذلك إنشاء صندوق تطوير الإمارات المتصالحة، وفي 1965 زار الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية الدكتور سيد نوفل الإمارات المتصالحة، ويسرد الكتاب ما حدث بين الإمارات المتصالحة، وجامعة الدول العربية، ووزارة الخارجية البريطانية.

ويصف ديفيد نيلد الفترة التي قضاها في عجمان حين كانت وحدته تتمركز هناك، فيقول: كان يحكم عجمان شيخ رائع، هو الشيخ راشد بن حمد النعيمي، وكان قد تولى الحكم عام 1928، وكانت الإمارة تعتمد على صيد السمك والغوص على اللؤلؤ، وحين انهار دَخْلُ الإمارة بتدهور صناعة اللؤلؤ، بعد أن توصل اليابانيون إلى زراعته، تمكّن الحاكم حينذاك من مساعدة رعاياه بتمويل مشروعاتهم الزراعية، وانتهج سياسات جيدة لضمان انتفاع رعاياه كافة بها، فحظي بحب الجميع واحترامهم، ويصف المؤلف روابط الصداقة بينه وبين حاكم عجمان.

ويصور المؤلف الجانب الاجتماعي من الحياة في تلك الفترة، فيتحدث عن الاحتفالات الدينية، وعرض أفلام سينمائية للجنود عن رعاة البقر، ولورانس العرب، ثم يتحول إلى التدريبات التي تجريها وحدته، والدوريات التي تقوم بها. ويورد قصة زيارة أمير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح، وقيام مجموعته بمهمة حرس الشرف، ثم يعرج إلى الشيخ شخبوط بن سلطان، حاكم أبوظبي، وأساليب تصرفه بالدخل الهائل من الثروة النفطية حينذاك، وبعدئذ ما عُرف به الشيخ زايد من كرم واهتمام ليس بأبوظبي فحسب، وإنما بجميع الإمارات.

ويتحول المؤلف إلى خدمته ضمن قوة الساحل في مدينة العين، حيث تعرّف إلى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد آل نهيان، رئيس الدولة – حفظه الله - ويحكي المؤلف «الرائد ديفيد نيلد» عن لقائه الملك الحسين، عاهل الأردن، لدى زيارته الرسمية للإمارات المتصالحة، ويصف الكتاب معسكرات قوة الساحل، وتوزيع وحداتها، والأماكن التي رابطت فيها سرية «شايني بي» التي يقودها المؤلف حينذاك في الإمارات المتصالحة ومناطقها.

ثم يحكي نيلد عن استقالته من قوات صاحبة الجلالة، وانضمامه إلى قوة رأس الخيمة المتحركة برتبة مقدم، ويصف قربه الشديد من حاكم رأس الخيمة وأنجاله، وزيارته مع حاكم رأس الخيمة لتهنئة السلطان قابوس لدى تسلمه الحكم في سلطنة عمان عام 1970م.

ويطلع القارئ في الفصل السابع على الأجواء السياسية في المنطقة، ثم مغادرة المؤلف قوة رأس الخيمة المتحركة التي صار يقودها الرائد مفتاح بن عبدالله الخاطري، والشيخ سلطان بن صقر القاسمي.

ويصف المؤلف رحلته إلى بيروت في يناير 1972، وتلقيه برقية تنبئه بمستجدات ما حدث في الشارقة، فيعود إلى الشارقة ليشكل قوة متحركة، على غرار تلك التي أسسها في رأس الخيمة، وصارت تلك القوة جاهزة للقيام بالعمليات في غضون ستة أشهر، وتولت مسؤولية أمن الحاكم وأسرته.

وفي الفصل التاسع، يسرد المؤلف مرحلة «ما بعد الخليج»؛ إذ غادر إلى القارة الإفريقية، ثم عاد إلى العين في عام 2000، حين تم ترتيب لقاء لقدامى ضباط قوة الساحل، وحضر الضباط القدامى حينئذ حفل تخريج دفعة من طلبة الكلية الحربية بالعين؛ حيث ألقى صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد (ولي عهد أبوظبي حينذاك) كلمة تنمّ عن حكمته ووفائه، وتمّ تكريم نيلد وزملائه.

آخر فصول الكتاب كان عن رأس الخيمة بين الأمس واليوم، وقد تم تدعيم الكتاب بالصور الفوتوغرافية التاريخية الرائعة التي تزيده جاذبية لدى القرّاء.

صوغه.. قصائد مرتعة بالإحساس

د. منّي بونعامه

تتكئ تجربة الشاعر الدكتور عبدالعزيز المسلّم، على تراكم شعريّ ثرٍّ، تكوّن على مدى سنوات طوال، تشكّلت فيها وعَبْرَها تجربة المسلّم الشعرية المائزة لغةً وأسلوباً، وذلك ما تعكسه بجلاء قصائده الشعرية الأولى التي حلّق فيها في عوالم الشوق والتوق، وسبح في غياهب الحب مع الصّب، وتغنّى فيها بالوطن وأمجاده ورموزه، فجاءت ساحرة وآسرة، بلغة جميلة وأسلوب ماتع، حاويةً ألواناً شعريةً متنوّعةً، تحيل إلى ملمح فريد في تجربة الشاعر.

والحق أن المسلّم شاعر يمتلك حسّاً مرهفاً، وذائقة متميزة، وإن غَلَبَ على تجربته البحث في التراثِ وفنونهِ الشعرَ وشجونَه، ويبدو ذلك للرائي من الوهلة الأولى، حين يقارن ما كتبه المسلّم في الثقافة الشفهية والحكاية الشعبية والعادات القولية والأزياء التقليدية، مع ما كتبه من شعر منشور - كما تقدّم - ومع ذلك يبقى الشعر الأكثر علوقاً في ذاكرة الشاعر، والتصاقاً بشخصيته، وتماسّاً مع سجيته، كما تظل روح الشعر متوهّجةً في داخله؛ فالقصيدة، كما يقول، هي «الخيمة التي

وبالعـودة إلى البدايـات الأولى، التـي زامنـت بـزوغ الشـاعر، وواكبـت ظهـوره وبـروزه كواحـد مـن أملـع الشـعراء الشـعبيين في الإمـارات، الذيـن اخترعـوا لأنفسـهم مسـاراً شـعرياً مختلفـاً، وأبدعـوا في كتابـة المـوال وغيره مـن الأغـراض الشـعرية الأخـرى، فإننـا نجـد أن القـراءة والحفـظ هـما الرمـز الـسريّ، والفانـوس السـحريّ، في هـذه التجربـة المتميـزة، حيـث يقـول: «تعلقـت بالقصيـد حفظـاً

«الخيمـة التـي أفيء إليهـا، والواحـة التـي أسـتريح في ظلهـا، مـع اعـترافي بـأن الأمـور الإداريـة العمليـة، وهمـي الـتراثي الخـاص، قـد أخـذا مـن الإبـداع الكثـير، إلا أنهـا ضريبـة تهـون أمـام مـا ينجـز مـن مشروعـات، نـرى نتاجهـا في مـا يخـص تراثنـا الجميـل».

نـشر المسـلّم أولى قصائـده مجموعـة «سـفر الليـالي» كانـت باكـورة الأعـمال الشـعرية المنشـورة في ديـوان، تلتهـا مجموعـة شـعرية أخـرى بعنـوان: «بقايـا الليـل»، ثـم «طفولـة حـب وسـلام»، و«لحظـة»، وكـمّ هائـل مـن القصائـد الرقيقـة الشَّـفافة، التـي وقـف فيهـا عـلى مرابـع المحبوبـة، وجـال في أرجـاء الوطـن، وهـامَ وَجْـداً بمراتـع صِبـاه التـي نيطـت فيهـا عليـه التمائـم، واسـتوقف الصَّحْـب والخـلاّن بعاطفـة جيَّاشـة ومشـاعر متوقّـدة، وأحاسـيس مرهفـة.

بوح شفيف

أمـا ديـوان «صوغـه»، فهـو سِـفرٌ في حنايـا الـروح، وتعبـير عـن مكنونـات الشـاعر، ومـا يخالـج نفسـه مـن أحاسـيس صاغهـا في رباعيـات شـعرية حاويـة الكثـير مـن المعـاني الجميلـة والمتنوّعـة، ومنهـا رباعيـات وجدانيـة، وثنائيـة، وفكاهيـة، جمعـت في عمومهـا جزالـة اللفـظ وسلاسـة الأسـلوب وعمـق المعنـى وجـمال المبنـى.

يضـم الديـوان 52 رباعيـة، هـي: صوغـه، لجـل السـفر، سـم الأفاعي، عشـقي، دارنـا، الزمـن، صباحـي، الجـمال، يعـود، مسـافر، زمانـك، أريـد أكـون، أحبـك، مبحـر، سـمرا، عاشـق الـورد، همـس القـوافي، تسـبيح، فراشـة، عتـاب، عقـود الحسـن، رسـالة، سـلام، يـا قلبـك، أحـلى در، صبـاح العيـد، محبّـة، يـا عيـد عـوّد، 13 عـام، دار الحسـن، لـك الحيـاة، لحظـة، انتـي، سـاعة، موضـة، حظـوظ، سياسـة زوجيـة، طلبـات شـاعر، الشـويعر، حـظ الهنـدي، راس الهنـدي، شـيبان، فلنتيـن (فالنتايـن)، بـدي، مكيـاج عيايـز، قهـوتي، لبنيّـة.

يسـتهلّ الديـوان برباعيـة «صوغـه»، وهـي قصيـدة مترعـة الإحسـاس، باذخـة المعـاني والصـور، فيقـول فيهـا الشـاعر:

صـوغـه لفتنـا اليـوم ببقـش
من صاحبٍ غالي ولايهـون
لـوهـي زبيبـه قـلـبـنـا بـش
يفرح بها الخاطر والعيون
لجـلـه ولجـلـي طـشٍ ورش
ما ورد في كفّك يا مزيـون
لصْحاب مـا شي بينهم خش
يـا غيـر ود وسـر مـدفون

«عاشـق الـورد» مـن الرباعيـات المكتنـزة بالصـور البديعـة والمشـاكات العذبـة، واللغـة الشـعرية الرقيقـة، الشـفافة، صيغـت مفرداتهـا مـن حـرارة الوَجْـد، ورويـت بمـاء الـورد، فضوّعـت عطـراً فوّاحـاً تناثـرت مـن شـذاه الكلـمات، وانتظمـت في عِقْـده المفـردات، يقـول الشـاعر:

أشكيك أنا للورد يـا عـاشق الـورد
مدري خدودك ورد والاّ شـفاتك
تـرسم دفـا الأيـام في صفحـة البرد
وتلـوّن الأحـلام روعـة بهـاتـك
ارحم قلوب النّاس بيدك حجر نَرْد
بعثـرتهـا آهات تحمل صفـاتـك
لو قلت يا ورد ما أبيـع أنـا الـورد
يفضحك عطر الورد عطّر عباتك

ومن الرباعيات الخفيفة الظريفة، رباعية «قهوتي» التي يقول فيها:

من يـواسـيني سـواهـا
عقب ما كمّلت صومي
رشـفـةٍ زايـد حـلاهـا
ارتشـفهـا كـل يـومـي
قهـوتـي في مـلتقـاهـا
أنسى آلامي وهمـومي
شـاعـرٍ سـالى بْهـواهـا
مِسْرع ورقمه حكومي

جدات اللحظة.. أبناء اللهجة

غالية خوجة
كاتبة وشاعرة ـ سوريا

على بحيرة خالد في الشارقة، نوارس تتحادث، ورياح لا تملّ الغناء، وغيوم تنعكس مرايا على المكان والنفوس والأرواح.

وبينما ألتقط صورة متسارعة للمكان، سمعتُ النخيل يتحدث مع الغاف عن اللهجة، وكان صدى صوت د.عبدالعزيز المسلّم يتخلل الحفيف، مستعيداً حضوره من ذاكرة ندوة الثقافة والعلوم في دبي، ذات أمسية، وهو مازال يتحدث عن اللهجة الإماراتية، وتطوراتها، وتجلياتها، وبلاغتها الشعرية، وصورها الرمزية، وكيف تأثرت بالأزمنة، وأشرعة المراكب، وحياة النواخذة، والمزارعين، والقاطنين في الجبال.

النخلة المجاورة كانت تخبر الوقت عن اللهجة الساحلية، وكيف سمعتها، ذات يوم، رمال الصحراء، فذهبت معها إلى الشاطئ لتسبح مع الأسماك، وتتأمل النوارس وهي تحلق.

وهنا، مطّت شجرة الغاف رأسها قليلاً، وشاركتنا الجلسة: هناك اللهجة الصحراوية أيضاً، وكل لهجة تشبه المكان القريب منها، اللهجة واضحة مثل زرقة السماء، عميقة، تمتد مع الآفاق، ومراياها مصقولة، لكنها لا تكشف جميع دلالاتها بسرعة.

الوقت يمر، واللحظات «تسولف»، (أي تحكي)، وتتحدث، وكأن جدات اللحظة تصغين بصمت، ثم تبدأ الحكايات الموروثة بالانطلاق لترفرف فوق مياه البحيرة، بينما عائلات النوارس الأخرى ترفرف قريباً من السوق المركزي القديم، فوق الجسر، وكأنها تتخاطر مع عائلاتها الأخرى المرفرفة في سماء الإمارات، قريباً من قناة دبي، ومن كورنيش أبوظبي، ثم تعود أسراب النوارس لتهبط ببطء، فوق مياه البحيرة، وتعود للرفرفة، وكأنها تتخاطر مع عائلاتها في مختلف أرجاء العالم، وتخبرها بأن الشارقة عاصمة عالمية للكتاب هذا العام 2019.

اللهجة الإماراتية ترفرف أيضاً سعيدة، وكلما ابتسمت تصير اللهجة أشجار نخيل، وغاف، وورد زاهي الألوان.

مازالت أناشيد المكان ترفرف، وكلمات الجدات تفتح الآفاق، والمطر الذي يفكر في الهطول ينظر إلينا، وعندما يعلو الأذان، ترفرف العصافير، تزقزق، بينما الحجارة تتأمل التسابيح، واللهجة تدخل معنا إلى المساجد لتصلي.

تجليات الأيام في كتابات سلطان

د. منّى بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

في عام 2003، انطلقت الدورة الأولى من «أيام الشارقة التراثية»، في نطاق رؤية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، من أجل حفظ الهوية الثقافية الإماراتية، والتعريف بالتراث الإماراتي، وحفظه وصونه وترويجه، من خلال فعاليات متنوّعة، ترتحل بالجمهور في فضاءات أكثر رحابة واتساعاً، ضمن أيام تراثية تستحضر العادات والتقاليد الإماراتية العريقة، وتحتفي بالبيئات التراثية الأصيلة، وتتواصل مع روح العصر، من خلال الاعتماد على تقديم عروض تراثية متنوّعة ومتميزة، تصاحبها بعض الفعاليات الثقافية؛ لتكون مرتكزاً لتأكيد الهوية الإماراتية، وتأصيل الموروث الوطني بشتى جوانبه، ومحاولة الإبقاء والحفاظ عليه ليبقى ماثلاً للأجيال القادمة.

حظيت «الأيام التراثية» بمتابعة صاحب السموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حفظه الله، ودعمه وتشجيعه احتفاءً وتقديراً للدور الذي تضطلع به في صقل مواهب النشء والأطفال والشباب، وتوسيع مداركهم، ويعمل على ربطهم بتراث الآباء والأجداد، ويقرّبهم من معارفه وعناصره ورموزه، وقد رصد سموه في كتابه الفريد «حصاد السنين» ملامح الأيام التراثية، وصورتها التي استقرّت في خلده منذ أن وجّه بإطلاقها عام 2003، ودعمها مادياً ومعنوياً، وحرص على حضور حفل افتتاحها كل عام، ومتابعتها بشكل دائم، موجهاً وناصحاً ومحفّزاً ومشجعاً، يقول سموه: «مثّلت أيام الشارقة التراثية مشروعاً سياحياً تراثياً، عكس مدى أهمية الشارقة، ودورها الحضاري الثقافي الريادي في إبراز صورة حيّة ونابضة لمفردات التراث الشعبي الإماراتي بجميع صوره وأشكاله، حيث اعتبرت (الأيام) واحداً من المشاريع الثقافية الحضارية التراثية، التي تبرز القيم الجمالية التي يتمتع بها التراث الإماراتي، وجسّدت الهوية الوطنية المنفردة للإمارات، وخصوصية شعبها المعطاء».

ولم تثنِ عزيمة سموه مشاغله الجمّة وانشغالاته الكثيرة، عن متابعة فعاليات «أيام الشارقة التراثية» وحضورها شخصياً، والتفاعل مع ضيوفها ومرتادياها، والتعرّف على ما تزخر به كل دورة من دوراتها الثرية بالجديد والمفيد، وقد رصد سموه ذلك كله بعين الفاحص ورؤية المدقق، موثقاً تاريخ الأيام بما اشتملت عليه من مظاهر احتفائية، ومشاهد احتفالية، تناغم فيها التراث العميق مع التاريخ العريق.

لقد أحدثت «الأيام التراثية» في نفس صاحب السموّ حاكم الشارقة، حفظه الله ورعاه، وقعاً مهماً، وتركت صدى طيّباً وانطباعاً حسناً، ترجمه فيما كتبه عنها، وذلك ما يستشف من حديثه عن الدورة الثالثة، حيث قال سموه: «مثلت أيام الشارقة التراثية مشروعاً سياحياً تراثياً، عكس مدى أهمية الشارقة ودورها الحضاري الثقافي الريادي، في إبراز صورة حيّة ونابضة لمفردات التراث الشعبي الإماراتي بجميع صوره وأشكاله، حيث اعتبرت (الأيام) واحداً من المشاريع الثقافية الحضارية التراثية التي تبرز القيم الجمالية التي يتمتع بها التراث الإماراتي، وجسّدت الهوية الوطنية المنفردة للإمارات، وخصوصية شعبها المعطاء».

عدسة الأيام